كلية الآداب

دائرة اللغة العربية وآدابها

رسالة ماجستير

صورة المرأة في الرواية الفلسطينية

"روايتا (فرس العائلة) و(مديح لنساء العائلة) لمحمود شقير نموذجاً"

The Woman Image in the Palestinian Novels

"The Novels (Family Mare) and (Praise for Family Women) by Mahmoud Shqair as a Model"

إعداد

آيات مأمون جابر بوريني

إشراف الدكتور:

موسى خوري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب في جامعة بيرزيت- فلسطين

2017م

صورة المرأة في الرواية الفلسطينية

"روايتا (فرس العائلة) و(مديح لنساء العائلة) لمحمود شقير نموذجاً"

إعداد:

آيات مأمون بوريني

أعضاء اللجنة

- **الدكتور موسى خوري رئيساً ومشرفاً**
- **الدكتور علي خواجة عضواً**
- **الدكتور عبد الكريم أبو خشان عضواً**

الإهداء

إلى النور الذي ينير لي درب النجاح، زوجي ورفيق دربي محمود الذي وقف إلى جانبي وكان لي المعين والمساند.

إلى زهرتَيْ حياتي ولديّ أوس وسري.

إلى رمز العطاء والحنان أبي وأمي سبب وجودي في الحياة.

إلى شهدائنا الأبرار وأسرانا البواسل الذين رسموا بنضالاتهم صورة مشرّفة للعزة والكرامة.

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور موسى خوري على ما بذله من جهد ومتابعة في سبيل إنتاج هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتي في دائرة اللغة العربية وآدابها على ما بذلوه من جهد في تعليمنا.

والشكر الموصول إلى الأستاذين الفاضلين اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الدراسة: الدكتور علي خواجة، والدكتور عبد الكريم أبو خشان.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الكاتب محمود شقير على عطائه وتواصله معي.

ولا أنسى تقديم الشكر إلى زوجي محمود الذي وقف إلى جانبي طوال فترة الدراسة.

فهرس المحتويات

الإهداء ..... أ

شكر وتقدير ..... ب

فهرس المحتويات ..... ج

ملخص ..... هـ

Abstract ..... ح

مقدمة ..... ن

تمهيد 1

الفصل الأول نماذج شائعة لصورة المرأة في الرواية الفلسطينية 13

أولاً: الصورة الإيجابية للمرأة 15

- **الإيجابية المتمردة** 16
- **الإيجابية المناضلة الأم** 19
- **الإيجابية المناضلة المتعلمة** 22

ثانياً: الصورة السلبية للمرأة 25

- **السلبية التقليدية** 26
- **السلبية المضطهدة** 31
- **السلبية اللعوب** 37

الفصل الثاني: صورة المرأة في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة" 40

- **ملخص لأحداث الروايتين** 41

- صورة المرأة في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة" 45
- المرأة المحافظة على العادات والتقاليد 47
- المرأة المؤمنة بالخرافات 54
- المرأة المتمردة 60
- المرأة المتعلمة 67
- المرأة العاملة 70
- المرأة المظلومة (المضطَهَدة) 77
- المرأة الجسد 89
- المرأة الحبيبة 93
- المرأة الثرثارة وصاحبة المكيدة 96
- المرأة العطوفة (الطيّبة) 101

الفصل الثالث : صورة المرأة (الفتاة) المرغوب بها لدى محمود شقير في أدب الأطفال وتطابقاتها مع بعض صور المرأة في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة" .. 105

الفصل الرابع: البنية الفنية في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة".... 125
- عتبة العنوان 130
- صورة الغلاف 133
- المكان في الرواية 138

الخاتمة 152

ثبت المصادر والمراجع 160

ملخص

تهدف هذه الدراسة التي جاءت بعنوان "صورة المرأة في الرواية الفلسطينية: روايتا "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة" نموذجاً" إلى تتبع صورة المرأة في الرواية الفلسطينية؛ وكشفت عن تعدد صورها متراوحة بين الإيجابية والسلبية، تجلت فيها صورة الأم المناضلة التي تقدم أبناءها في سبيل الدفاع عن وطنهم، أو من خلال مساعدتها لشباب الثورة عن طريق مداواتهم، أو تخبئتهم في بيتها، أو نقل أخبار الجيش إليهم، وبرز بشكل واضح انعكاس التعليم والثقافة على فكرها ووعيها النضالي؛ ما جعل منها امرأة تشارك في المظاهرات، وتوزيع المنشورات التي تحرض على سياسة الظلم التي يمارسها المحتل؛ ما أدى ذلك إلى فصلها المتكرر من عملها، أو اعتقالها، كما تجلت فيها صورة المرأة المتمردة التي تتمرد على العقبات التي تقف في وجه تحقيق ذاتها وكرامتها وحياتها، فتُرى تكد وتعمل في سبيل تأمين لقمة العيش لأبنائها، وفي مقابل ذلك تُرى صورة المرأة التقليدية غير القادرة على صنع الأحداث بطريقة صحيحة، التي تفكر في حل المشكلات بطريقة سلبية. ظهرت –أيضاً– صورة المرأة المظلومة التي كانت ضحية مجتمع ذكوري محتل، وما تكدس فيه من أفكار وتقاليد بالية، وبالرغم من تجلي صور المرأة الإيجابية المتمثلة بنضالها وتعليمها وتمردها الإيجابي إلا أن ذلك لم يمنع ظهور صورة المرأة اللعوب في الرواية الفلسطينية التي تمارس العلاقات غير الشرعية، في سبيل تحقيق رغباتها.

تهدف هذه الدراسة –أيضاً– إلى وصف صورة المرأة في روايتي محمود شقير؛ إذ تعددت هذه الصور في هاتين الروايتين، واستطاع شقير تصوير المرأة التي تعيش في مجتمعيْ:

البداوة والمدنية بكل واقعية، بعيداً عن المبالغة أو الخيال؛ إذ صور شقير في رواية " فرس العائلة" حياة المرأة البدوية التقليدية بكل تفاصيلها، وصور التغير الذي أصابها في رواية " مديح لنساء العائلة"؛ بحكم تقدم الزمان، وانتقال العائلة من حياة البداوة إلى حياة المدنية، واختلاطها بسكان المدن، واطلاعها على مختلف الثقافات؛ فغدت –مع هذه المتغيرات– امرأة متعلمة ذات وعي وثقافة، تخرج للعمل خارج بيتها بعد أن كان عملها مقتصراً داخل البيت، أو في الزراعة ورعي الأغنام؛ ما منحها الشعور بالاستقلالية والتحرر إلى حد ما؛ إذ حظيت المرأة في هذه الرواية بمكانة متميزة، وبرز دورها بشكل إيجابي وفاعل، وهذا يُظهر فكر شقير ونظرته للمرأة من خلال إيمانه بدورها في بناء هذا المجتمع، وضرورة مساواتها بالرجل.

تهدف هذه الدراسة –أيضاً– إلى إظهار صورة الفتاة التي يتطلع إليها شقير أن تكون في المستقبل من خلال مؤلفاته الثلاثة الموجهة للفتيات والفتيان، وهي: رواية "أنا وجمانة"، ورواية "كوكب بعيد لأختي الملكة"، وقصة "بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد"؛ إذ كانت جميع هذه الصور إيجابية، أظهر شقير من خلالها نزعته التربوية التي أراد أن يوصلها لهذه الفئة، وقد تطابقت هذه الصور مع القليل من صور المرأة في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة"؛ ما يشير إلى الفجوة الكبيرة بين صورة المرأة في الواقع وبين صورة المرأة كما يرغب شقير أن تكون؛ فشقير وجّه الروايتين السابقتين –محور الدراسة– للفئة العمرية الكبيرة، لذا صور الواقع بعيداً عن الخيال. أما المؤلفات الثلاثة فكانت موجهة للفتيات والفتيان، لذا كان حريصاً كل الحرص على إظهار الصورة الوردية للفتاة؛ لإنشاء جيل في

المستقبل مؤمن بقدرات الجنسين، وبدورهما الفاعل في بناء المجتمع، وواع بعدم التفرقة بينهما.

وتناولت هذه الدراسة عتبة العنوان وصورة الغلاف للروايتين –محور الدراسة–، وبدا واضحاً انعكاس نظرة شقير للمرأة حتى في العنوان وصورة الغلاف، وأدى العنوان وظائفه الأدبية، وكان له ولصورة الغلاف ارتباط وثيق بالنص، وفي النهاية تناولت الدراسة المكان في هاتين الروايتين، وظهر جلياً بأن المكان جزء لا يتجزأ من عناصر الرواية؛ فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأشخاص الرواية وزمانها وأحداثها، واستطاع شقير رصد المكان الذي تجري عليه أحداث الرواية بكل دقة، كما أكثر من عرض الأماكن وتنوّع فيها؛ ما منح الرواية الامتداد والاتساع دون أن يُفقد رونقها، أو يشتت القارىء، وكانت هذه الكثرة وهذا التنوع منسجماً مع حالة التشظي وعدم الاستقرار التي يعيشها الشعب الفلسطيني.

قُسِّمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول مسبوقة بتمهيد عن وضع المرأة في فلسطين، وعن حياة الكاتب محمود شقير وأعماله الأدبية. تناول الفصل الأول نماذج شائعة لصورة المرأة في الرواية الفلسطينية. وظهرت هذه النماذج من خلال الصورتين الآتيتين: الإيجابية. وتفرع منها: المتمردة، الأم المناضلة، المتعلمة المناضلة. والصورة الأخرى: السلبية. وتفرع منها: التقليدية، المضطهَدة، اللعوب. تناول الفصل الثاني صورة المرأة في روايتي محمود شقير "فرس العائلة" و "مديح لنساء العائلة"، وظهرت نماذج المرأة فيهما من خلال الصور الآتية: المحافِظة على العادات والتقاليد، المؤمنة بالخرافات، المتمردة، المتعلمة، العاملة، المضطهَدة، الجسد، الحبيبة، الثرثارة وصاحبة المكيدة، العطوفة (الطيّبة). رصد الفصل

الثالث الصورة المرغوب بها للفتاة من خلال المؤلفات الثلاثة الموجهة للفتيات والفتيان: رواية "أنا وجمانة"، ورواية "كوكب بعيد لأختي الملكة"، وقصة "بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد"، ورصد تطابقات هذه الصورة مع بعض صورها في الروايتين السابقتين. أما الفصل الأخير فتناول البنية الفنية في روايتي "فرس العائلة" و "مديح لنساء العائلة" من خلال عتبة العنوان وصورة الغلاف والمكان.

وخُتمت الدراسة بمجموعة من النتائج التي توصلت إليها الباحثة، تلتها قائمة بالمصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها في هذه الدراسة.

Abstract

This study, which is holding the name “the Woman’s Image in the Palestinian Novel: “The Family’s Mare” and “Praise to Family’s

Women" as a Model" aims at tracing the woman's image in the Palestinian novel; which revealed that they vary from negative to positive, The novels featured the struggling mother's image, who sacrifices her children to defend the homeland or through helping the revolution's youth by informing them on the army's movements, or by providing medication or hiding them in her house. The education and is clearly reflected on her thoughts and struggle- awareness that made her a woman, who participates in demonstrations, disseminating leaflets inciting against the prejudices imposed by the occupier, which resulted her discharge from work or arresting her several times. The positive image was also evident in the image of the rebellious women who rebelled against the obstacles facing her self-fulfillment, dignity and life. She is seen working hard in order to provide livelihood for her children. In the other side, you see the image of the classic woman, who cannot correctly control the circumstances and thinks negatively when solving a problem. It also appears in the image of the prejudiced woman, who is a victim of male society under occupation and filled with longstanding traditions

and habits. Despite of the evident positive image of the woman, represented in her education, struggle, positive rebellion, however, this did not prevent her to appear in the image of the playful woman, who practices illegal relations, in order to fulfill their wishes.

This study aims at describing the woman's image in Mahmoud Shuqair's two novels. Shuqair was able to depict the woman living in the Bedouin and Urban societies with full reality away from exaggeration or imaginations. Shuqair's described in details the classic Bedouin life of the woman in "The Family's Mare" novel and described how it changed in the "Praise for Family's Women" novel due to the advent of time, the transition of the family from the Bedouin's life to the city's life, through intermingling with the urban dwellers, and through exploring the different cultures. With these changes, she became an educated woman with awareness and culture. She went out to work after her work was confined to the house and grazing sheep. This gave the woman a sense of independence and freedom to some extent; the women got a distinguished position in this novel, where her role emerged to be

positive and efficient. This reveals Shuqair's mindset and his view of women through his belief in her role in building the society and the necessity to equalize her with men.

The study also aims at showing the image of the girl that Shuqair aspires to be in the future through his three books directed to girls and boys: the novel "I and Jumana" and the novel "A distant Planet for My Sister Queen" and the story "a Girl and Three Boys in the City of the Ancestors". All images are positive, where Shuqair showed through them his educational approach that he desires to address to this group. These images were little similar to the images in the novels "The Family's Mare" and Praise to Family's Women", which indicates that there is a wide gap between the woman's image in reality and the woman's image, which Shuqair wishes her to be. These two novels (the main novels of the study) are addressed to adults, therefore he depicted the reality away from imagination. The other works however, directed to girls and boys, therefore, he was keen to display the ideal image to the girl, in order to grow a future

generation believing in the abilities of the of the two sexes, and their active role in building the society.

The study also researched the tile and the cover page of these two novels (the main novels of the study), where Shuqair's view on the woman was clear even in the title and the cover page, where the title performed its literary role and the cover page has strong connection with the content. At the end, the study researched the place in the two novels, where it was clear that the place is an integral part of the elements of the novel, as it is closely related to the personalities, dates and events of the novel. Shuqair could accurately monitor the place, where the novel's events are taking place. He also displayed so much places with variety, which offered the novel extension and width, however without losing its luster or distracting the reader. This diversity and variety is consistent with the state of fragmentation and instability, the Palestinian people live.

This study is divided to four chapters, preceded with preface on the woman situation in Palestine and Mahmoud Shuqairs' life. The first chapter researched common models of the woman's image in the

Palestinian novel; which appeared through these two images: The Positive, which is divided to the rebel, the struggler and the educated struggler. The other image is negative and is divided to: The Classic, the abused and the playful. The second chapter researched the woman's image in the two novels "The Family's Mare" and Praise to Family's Women", where woman models in them appeared as follows: The preserver of customs and traditions, the believer in superstitions, the rebellious, the educated, the working, the oppressed, the body, the beloved, the talkative plotter and the compassionate (the good). The third chapter shows the desired image of the girl through the three-works directed to the girls and boys: the novel "I and Jumana", the novel "A Distant Planet for My Queen Sister, and the story " a Girl and Three Boys in the City of the Ancestors"; matching this image with some of its images in the two previous narrations. The last chapter researched the artistic structure in the novels "The Family's Mare" and "Praise to the Family's Women" through the the title, the picture of the cover and the place.

The study ended up with a set of conclusions made by the researcher, followed by a list of the sources and references referred to in this study.

مقدمة

تنهض هذه الدراسة التي تحمل عنوان: (صورة المرأة في الرواية الفلسطينية روايتا "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة" لمحمود شقير نموذجاً) على مرتكز أساسي هو وصف صورة المرأة في أدب محمود شقير من خلال هاتين الروايتين، والعمل على إبراز النماذج النسوية التي جسّدها الكاتب تبعاً لتعدد مستويات وعي المرأة وتباين مواقفها، وتحليلها بطريقة فنية؛ لمعرفة ما إذا كانت هذه الصور مستمدة من واقع اجتماعي حقيقي، أم خيالية ابتدعها الكاتب ليعكس رؤية فكرية من خلال الفن السردي.

وكان من أسباب اختيار صورة المرأة في هاتين الروايتين لتكون موضوعاً للدّراسة أنّ مجتمعنا يتغير نحو النّضج في لهفةٍ وترقّب، و"هذا هو ما يجعل تجربة فتاة الجيل الجديد من أخصب التجارب في مجتمعنا، لا لأنها تكوّن سمة هامة من سمات مجتمع المستقبل فحسب، بل لأنها تكشف مشاعر التغير التي يمر بها المجتمع ككل بحيث يمكننا أن نقول إنها تصلح، من الناحية الفنية، أن تكون رمزاً له".[1]

ومن خلال الاطّلاع على العديد من الدراسات السابقة التي سيتم ذكرها لاحقاً، لوحظ العديد من الكتب والمقالات التي تحدثت عن المرأة الفلسطينية، وأخرى تحدثت عن صورة المرأة في الرواية الفلسطينية، أما بالنسبة لروايتي محمود شقير فلم تتطرق إليهما الدراسات الحديثة باستثناء بعض المقالات المنشورة على الانترنت أو في المجلات التي تحدثت عن موضوعات لا تختص بالحديث عن المرأة وصورها، من هنا جاء اختيار موضوع هذه الدراسة التي كانت اجتهاداً شخصياً؛ فتحليل النصوص باب مفتوح للتأويلات المتعددة.

[1] شكري عياد، تجارب في الأدب والنقد، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967، ص273،272.

المرأة في المجتمع العربي والفلسطيني

ينهض النظام الأسري العربي– بما فيه الفلسطيني – على الأبوية، التي تقوم على الهرمية وتفوّق الرجال ودونية النساء؛ فالأنثى تربى منذ الصغر في بيتها على صفة الأنوثة، التي تعني عدم المساواة والقوامة، بالإضافة إلى الطاعة وخدمة الذكر والخضوع له؛ ما يجعل تفكيرها عند الزواج منصباً على دورها الذي يقتصر على الطاعة والخدمة وإنجاب الأولاد.[2]

هيأت الأحداث السياسية التي مرت بها فلسطين للمرأة دوراً لا بأس به في النضال السياسي، ويمكن القول بأن ما حصل يعد تطوراً مهماً في دور المرأة على الصعيد النضالي؛ إذ خرجت في المظاهرات والاعتصامات، وشاركت في القتال ضد الاحتلال؛ ما عرضها للاعتقال، أو الضرب، أو الاستشهاد، كما قدمت فلذات أكبادها للدفاع عن الأرض، ولكن كان تحركها عفوياً، في حدود ما تسمح به التقاليد. وبالرغم من تشكّل حركة نسوية نشطة في سبعينيات القرن العشرين إلا أن المرأة ما زالت تعاني من الدونية، والتمييز وعدم المساواة؛ فالحركة النسوية التي أسست لم تعن بأمور المرأة وقضاياها بقدر ما كانت تعنى بمسألة الوطن والنضال، ويمكن القول بأنها تأسست لدواع نضالية، وليست لدواع اجتماعية. وبعد مجيء السلطة الوطنية الفلسطينة لم تصل أيضاً مشاركة المرأة السياسية إلى المستوى المطلوب، ولم يحدث تغييرات جوهرية في مشاركتها، بل ظلت ضعيفة وهامشية، بالرغم من أنها بدأت تشق طريقها إلى المناصب السياسية العليا، وبقيت تعاني من عدم المساواة الفعلية مع الرجل، فما

[2] عمر رحال، المرأة في النظام السياسي الفلسطيني، ط1، المعهد العربي للنشر، كندا، 2012، ص105.

زال الكثير من الناس ينظر إليها على أنها ذات قدرات أقل من الرجل، وخاصة قدرتها على العمل السياسي، واتخاذ القرارات المهمة، وأن الرجل أكثر عقلانية منها.[3]

مشكلة الدراسة:

كيف استطاع محمود شقير بروايتيه أن يعكس صورة المرأة الفلسطينية، وهل كانت صور المرأة صوراً مستمدّة من واقع اجتماعي حقيقي، أم هل كانت خيالية ابتدعها من وحي خياله الأدبيّ ليعكس رؤية فكرية؟.

أسئلة الدراسة:

ستجيب هذه الدراسة عن الأسئلة الآتية:

1. من هو محمود شقير؟ وما أهم أعماله الأدبية؟
2. ما أبرز صور المرأة التي قدمتها الرواية الفلسطينية؟
3. ما أبرز صور المرأة التي أظهرها شقير في روايتي " فرس العائلة " و" مديح لنساء العائلة"؟
4. هل استمد الكاتب صوره من الواقع أم هل كانت خيالية ابتدعها من وحي خياله الأدبي؟

[3] عمر رحال، المرأة في النظام السياسي الفلسطيني، مرجع سابق، ص107،100، 159.

5. ما التطابقات بين الصورة المرغوب بها للمرأة في أدب الأطفال وبعض صورها في روايتي " فرس العائلة " و"مديح لنساء العائلة"، ثم دلالات ذلك في الكشف عن مواقف شقير تجاه قضية النوع الاجتماعي؟
6. كيف تجلى البناء الفني في هاتين الروايتين، على مستوى عتبة العنوان وصورة الغلاف والمكان؟ وما مدى علاقته بأحداث الروايتين؟

منهجية الدراسة:

تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع صورة المرأة في روايتي " فرس العائلة، ومديح لنساء العائلة "، وتحليلها بطريقة فنية.

فصول الدراسة:

جاءت فصول الدراسة على النحو الآتي:

مقدمة

تمهيد: المرأة في المجتمع العربي والفلسطيني.

محمود شقير: حياته وأعماله الأدبية.

الفصل الأول: نماذج شائعة لصورة المرأة في الرواية الفلسطينية.

أولاً: الصورة الإيجابية للمرأة

– الإيجابية المتمردة

- الإيجابية المناضلة الأم
- الإيجابية المناضلة المتعلمة

ثانياً: الصورة السلبية للمرأة

- السلبية التقليدية
- السلبية المضطهَدة
- السلبية اللعوب

الفصل الثاني: صورة المرأة في روايتي " فرس العائلة " و" مديح لنساء العائلة".

- المرأة المحافِظة على العادات والتقاليد
- المرأة المؤمنة بالخرافات
- المرأة المتمردة
- المرأة المتعلمة
- المرأة العاملة
- المرأة المضطهَدة
- المرأة الجسد
- المرأة الحبيبة
- المرأة الثرثارة وصاحبة المكيدة
- المرأة العطوفة (الطّيّبة)

الفصل الثالث: الصورة المرغوب بها للمرأة في أدب الأطفال عند محمود شقير وتطابقاتها مع بعض صورها في روايتي "فرس العائلة " و"مديح لنساء العائلة".

الفصل الأخير: البنية الفنية في روايتي "فرس العائلة" و "مديح لنساء العائلة".

- عتبة العنوان
- صورة الغلاف
- المكان

خاتمة

ثبت المصادر والمراجع

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من أنها تسلط الضوء على صورة المرأة كونها عنصراً فاعلاً في هاتين الروايتين التي لم تتطرق إليهما الدراسات الحديثة.

الدراسات السابقة:

هناك الكثير من الكتب والمقالات التي تحدثت عن المرأة الفلسطينية، من أبرزها: "المرأة في التراث الشعبي الفلسطيني[4]" لخليل حسونة، "اتجاهات الكتابة حول المرأة الفلسطينية[5]" لخديجة الحباشنة، "المرأة الفلسطينية بين الدمج والتهميش[6]" لدنيا الأمل إسماعيل، "أدوار المرأة الفلسطينية في الخمسينيات حتى أواسط الستينيات[7]" لفيحاء عبد الهادي، "المرأة والعمل في فلسطين العثمانية[8]" لسميح حمودة.

كما تحدثت العديد من الكتب عن المرأة وصورها في الرواية الفلسطينية، من أبرزها: "المرأة في الرواية الفلسطينية[9]" لحسان الشامي، "المرأة في الرواية الفلسطينية[10]" لزكي العيلة، "أنموذج المرأة في أدب سميرة عزام[11]" لسمير أحمد الشريف، "صورة المرأة في الرواية المعاصرة[12]" لطه وادي، "نماذج المرأة البطل في الرواية الفلسطينية[13]" لفيحاء عبد الهادي،

---

[4] خليل حسونة، المرأة في التراث الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع، ع58، 2015.

[5] خديجة الحباشنة، اتجاهات الكتابة حول المرأة الفلسطينية، مركز الأبحاث: منظمة التحرير الفلسطينية، رام الله، 2014.

[6] دنيا الأمل إسماعيل، المرأة الفلسطينية بين الدمج والتهميش، مجلة سياسات، مجلد32، 2015.

[7] فيحاء عبد الهادي، أدوار المرأة الفلسطينية في الخمسينيات حتى أواسط الستينيات: المساهمة الساسية للمرأة الفلسطينية: روايات النساء: نصوص المقابلات الشفوية، ط1، مركز المرأة الفلسطينية للأبحاث والتوثيق، البيرة، 2009.

[8] سميح حمودة، المرأة والعمل في فلسطين العثمانية، مجلة التراث والمجتمع، ع58، 2015.

[9] حسان الشامي، صورة المرأة في الرواية الفلسطينية 1965–1985، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.

[10] زكي العيلة، المرأة في الرواية الفلسطينية، ط1، مركز أوغاريت، رام الله، 2003.

[11] سمير الشريف، أنموذج المرأة في أدب سميرة عزام، المجلة الثقافية، ع.43، 1998–1999.

[12] طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1994.

[13] فيحاء عبد الهادي، نماذج المرأة البطل في الرواية الفلسطينية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

"صورة المرأة في روايات سحر خليفة[14]" لوائل علي الصمادي، وهناك رسالة ماجستير بعنوان "المرأة في روايات سحر خليفة[15]" لغدير طوطح.

أما بالنسبة لهاتين الروايتين فلم تتخصص كتب في الحديث عنهما باستثناء بعض المقالات القصيرة المنشورة على الإنترنت أو في المجلات، فهناك مقالة لصبحي فحماوي بعنوان "سحر ربوع البداوة الفلسطينية[16]" في رواية "فرس العائلة" نشرت على الإنترنت، والتي تحدث فيها عما صورته الرواية من حياة البدو بتفاصيلها الدقيقة. ومقالة أخرى نشرت في صحيفة الحياة الجديدة بعنوان "فرس العائلة، نداء من أجل حرية الوطن![17]" لعاطف سعد، تحدث فيها عن حياة البدو كما صورها شقير، فهي غير مقتصرة على العيش بالخيام، والتنقل من مكان إلى آخر كما نعلم فحسب، بل صور حبهم للزوجات وعشقهم لهن، وصور مشاركتهم بالنضال وتعرفهم على القادة السياسيين، والمثقفين، والشعراء، كما صوّر كفاحهم ضد الجهل والأمية. وهناك مقالة نُشِرَت في مجلة شؤون فلسطينية بعنوان "البطولة الجماعية في فرس العائلة[18]" لمحمود شاهين، والتي تحدثت عن هذه البطولة التي لم تقتصر على بطل واحد، أو اثنين، بل كانت معظم شخوص الرواية أبطالاً.

---

[14] وائل الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، دروب، عمان، 2010.

[15] غدير طوطح، المرأة في روايات سحر خليفة، رسالة ماجستير، جامعة بيزيت– فلسطين، 2006.

[16] صبحي فحماوي، مقالة بعنوان "سحر ربوع البداوة الفلسطينية"، موقع القدس العربي، 2013 متوفر على الموقع الالكتروني http://www.alquds.co.uk/?p=41800 تاريخ الزيارة 2017/4/4.

[17] عاطف سعد، "فرس العائلة"، نداء من أجل حرية الوطن، موقع بانوراما، 2013، متوفر على الموقع الالكتروني http://www.panoramafm.ps/?ID=13993 تاريخ الزيارة 2017/4/4.

[18] محمود شاهين، البطولة الجماعية في فرس العائلة، مجلة شؤون فلسطينية، ع.254،253، متوفر على الموقع الالكتروني http://www.shuun.ps/page-187-ar.html تاريخ الزيارة2017/4/5.

ونُشرت مقالة لمحمود شاهين في مجلة مشارف مقدسية بعنوان "عناق الشكل والمضمون في مديح لنساء العائلة[19]"، تحدث فيها عن الشكل والمضمون في هذه الرواية، ومقالة لعبد الله دعيس بعنوان "قراءة في رواية مديح لنساء العائلة[20]"، تحدث فيها عن التغيرات السياسية والاجتماعية التي مرت فيها أحداث الرواية، ومقالات أخرى تحدثت عن لغة الرواية وأسلوب سردها. وبالرغم من هذه المقالات إلا أنه لم تختص مقالة في الحديث عن المرأة كما صورها شقير.

وثمة رسالة ماجستير تتحدث عن "الفن القصصي عند محمود شقير[21]" لسامي السرخي، لكنه لم يتطرق فيها إلى الحديث عن هاتين الروايتين؛ لأن الروايتين صدرتا بعد نشر هذه الرسالة بعدة سنوات.

هذا الغياب في الدراسات التي تتحدث عن المرأة كما صورها محمود شقير في هاتين الروايتين كان من المسوغات لهذه الدراسة.

[19] محمود شاهين، عناق الشكل والمضمون في مديح لنساء العائلة، مجلة مشارف مقدسية، ع2، 2015.

[20] عبدالله دعيس، قراءة في رواية مديح لنساء العائلة، موقع دنيا الوطن، 2015، متوفر على الموقع الالكتروني https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2015/01/28/355466.html تاريخ الزيارة 2017/4/5.

[21] سامي السرخي، الفن القصصي عند محمود شقير، رسالة ماجستير، جامعة القدس– فلسطين، 2007.

تمهيد

عانت المرأة العربية ولا تزال من ظلم المجتمع وطغيانه، وعاشت قروناً طويلة تعاني من الدونية والتهميش؛ فالمرأة العربية تعيش في مجتمع يتصف "بالأبوية أو البطركية والنزوع إلى الاستبدادية على مختلف المستويات"؛[22] فالأب يحتل في العائلة رأس الهرم، ويكون تقسيم العمل وتوزيع الأدوار فيها على أساس الجنس. للأب في هذه العلاقة الهرمية حق السلطة الكاملة على أفراد عائلته، يلقي عليهم الأوامر والإرشادات دون أن يسمح لأحد بمناقشته، وإن كان لأحد من العائلة طلب، فعليه أن يطلب ذلك بطريقة الاسترحام والتوسل. [23] ويُرجع الكاتب هشام شرابي "الكثير من الأمراض والانهزامات العربية إلى التركيب الاجتماعي البطركي وهيمنة السلطة الأبوية ليس في العائلة فحسب، بل في مؤسسات التربية والعمل والدولة. وتتجلى نزعة الهيمنة في رأيه على مستوى العائلة في أساليب التنشئة الاجتماعية؛ حيث تتكون الشخصية البطركية التي يكون بين أهم ركائزها دونية المرأة، حتى أصبح تحريرها شرطاً لتحرير المجتمع. من دون ذلك لن تجدي الانقلابات والثورات، وتصبح قضية المرأة قضية قومية في صميمها".[24]

وإذا انتقلنا إلى وضع المرأة الفلسطينية، فهو ليس بأفضل؛ فهي تعاني معاناة مزدوجة، الأولى بسبب الظلم الواقع عليها من المجتمع الذكوري، والأخرى بسبب وجود الاحتلال؛ إذ عاش الشعب الفلسطيني في ظل الحكم العثماني الذي استمر قرابة الأربعة قرون، تلاه

---

[22] حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص34،33.

[23] المرجع السابق، ص367، 368.

[24] المرجع السابق، ص34.

الانتداب البريطاني، وانتهى هذا الانتداب بإحلال الاحتلال الإسرائيلي الذي ما زال قائماً حتى الآن.

وبالرغم من وجود الاحتلال الذي ضاعف معاناة المرأة الفلسطينية، إلا أنه يمكن أن يُعَدّ "سلاحاً ذا حدين"؛ فوجود الاحتلال سمح للمرأة الفلسطينية بالدخول إلى ساحة النضال السياسي؛ إذ شاركت في النشاطات السياسية، وتذكر الكاتبة وصال العزاوي بأن هناك مصادر مختلفة تشير إلى أن أول نشاط سياسي نسائي ملحوظ للمرأة الفلسطينية كان عام 1893، حين خرجت النساء الفلسطينيات في مظاهرة في العفولة احتجاجاً على إنشاء أول مستوطنة يهودية في ذلك الوقت. وشاركت المرأة كذلك في النضال الوطني ضد الاحتلال البريطاني؛ فقد شكلت معركة البراق عام 1929 نقطة تحول هامة في مشاركة المرأة الفلسطينية؛ إذ أسفرت عن مقتل تسع نساء برصاص الجيش البريطاني. [25]

يُذكر أن أول اتحاد نسائي فلسطيني تشكل عام 1921، وكان ينظم المظاهرات، وألف عدة لجان للوقوف في وجه الانتداب البريطاني والوجود الصهيوني، ولكن هذه اللجان في البداية اقتصرت على نساء الطبقات العليا اللواتي حصلن على جزء من التعليم ولم يعانين من الاضطهاد المجتمعي الذي تعانيه النساء الأخريات، واللواتي كانت ظروف بيئتهن تمنحهن جزءاً من الحرية التي تسمح لهن بالتحرك. وبعد ذلك أنشئت الجمعيات النسائية التي قامت بجمع التبرعات وتوزيعها على عائلات الشهداء والأسرى، ونزلت بعض النسوة إلى ساحة القتال، واستشهد العديد منهن. [26]

---

[25] وصال نجيب العزاوي، المرأة العربية والتغيير السياسي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، 2012م، ص115.

[26] زكي العيلة، المرأة في الرواية الفلسطينية، مرجع سابق، ص17،14،13.

وزادت هذه المشاركة إثر اشتعال نكبة فلسطين؛ فقد كانت النسوة – بالرغم من القهر الاجتماعي الذي يعانين منه–، يقمن بتضميد الجروح في المستشفيات، وحمل الطعام والماء للثوار، وحفر الخنادق، ولكن مع ضياع الأرض والبيت، وفقدان الأزواج والأبناء وتشتت العائلة، اضطرت المرأة أن تخرج للعمل لإعالة أسرتها بعد أن كانت التقاليد تحرمها من هذا العمل، كما خرجت إلى التعليم بعد الوصول إلى نتيجة بأن التعليم هو الطريق الذي يحقق دخلاً مقبولاً، وقد ساهم ذلك نوعاً ما في تحررها من قيود البيت، وأكسبها نوعاً من الاستقلالية؛ إذ أخذت الفتيات يسافرن وحدهن إلى أقطار البترول للبحث عن عمل. ومع نكسة 1967م واندلاع انتفاضة 1987م، ازدادت مساهمة المرأة في المظاهرات والمسيرات ضد الاحتلال الصهيوني، وإقامة الاعتصامات؛ ما أدى إلى تعرضها للفصل من العمل، أو النقل إلى أماكن بعيدة، أو السجن والتعذيب، أو الإبعاد، أو وقوعها شهيدة.[27]

وبالرغم من مشاركة المرأة في النضال الوطني، وخروجها إلى التعليم والعمل، إلا أنها لم تصل إلى درجة المساواة مع الرجل، ولم تتخلص من القيود التقليدية التي يفرضها عليها المجتمع، وكانت قضية المرأة اجتماعياً منفصلة عن قضية نضالها السياسي؛ إذ غلب اهتمامها بالقضية الوطنية على اهتمامها بقضايا المرأة.

بعد مجيء السلطة الوطنية الفلسطينية، لم يكن الوضع أفضل بكثير؛ فبالرغم من محاولة السلطة الفلسطينية النهوض بالمرأة الفلسطينية، وإشراكها في العملية التنموية، وتبنيها بعض الأساليب لتحقيق ذلك، فقد كان هناك قصور واضح، ولم يتم تحويل هذا التبني النظري إلى

[27] زكي العيلة، المرأة في الرواية الفلسطينية، مرجع سابق، ص28،27،22.

مرحلة التطبيق العملي،[28] ويمكن القول، بأن المرأة لم تنل ما كانت تريده، حتى بعد مجيء السلطة الفلسطينية، وبالتالي ظلت قضية تحرير المرأة مؤجلة حتى إشعار آخر.

قضية المرأة الفلسطينية ودورها في المجتمع الفلسطيني ليست قضية بسيطة، ومن الطبيعي أن تحتل حيزاً كبيراً في صفحات الكتب والروايات والقصص. لقد حظيت هذه القضية – بالفعل– باهتمام الكثير من الكتاب والروائيين والقاصين الذين حرصوا على إبراز دورها في الحياة المجتمعية، وإظهار صورها المختلفة، ومن بين هؤلاء الكاتب الفلسطيني محمود شقير.

محمود شقير: حياته وأعماله الأدبية

ولد محمود شقير في جبل المكبر القسم الغربي من عرب السواحرة، جنوب القدس عام 1941م. ينتمي إلى عشيرة الشقيرات التي تُعد إحدى أكبر اثنتي عشرة عشيرة منها العشيرة التي تسكن قرية عرب السواحرة، وقد استقرت هذه العشيرة في بيوت حجرية بعد أن كانت تقيم مضاربها في البرية بحثاً لأغنامها عن المياه والطعام.[29]

تلقى شقير تعليمه الابتدائي في مدرسة السواحرة الغربية الابتدائية، ثم انتقل بعدها إلى المدرسة الرشيدية طالباً في الصف الأول الإعدادي، ثم حصل على شهادة الدراسة الثانوية عام 1959/1958، بعدها التحق بالكلية الإبراهيمية في القدس، وحصل على شهادة

[28] تقرير حول وضعية المرأة الفلسطينية بالاستناد إلى اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، مركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي، القدس– فلسطين، 2001، ص19.

[29] سامي السرخي، الفن القصصي عند محمود شقير، مرجع سابق، ص2،3.

التوجيهية المصرية التي كانت في حينه متطلباً لدخول الجامعة. كان يرغب في الالتحاق بإحدى جامعات مصر، لكن الظروف المادية منعته من تحقيق تلك الرغبة، فتقدم حينها بطلب للحصول على وظيفة. عُيّن محمود شقير عام 1959 مدرّساً في قرية خربثا بني حارث التي تبعد عن القدس حوالي أربعين كيلو متراً وأمضى فيها أربع سنوات، ثم انتقل إلى المدرسة الهاشمية الثانوية في مدينة البيرة، وأمضى فيها ثلاث سنوات عاش خلالها مع عدد من التيارات السياسية، ثم نُقل إلى مدرسة الملك غازي الثانوية في قرية بدو– وهي من قرى شمال غرب القدس.[30]

ابتدأ شقير الكتابة عام 1962، نشر العديد من قصصه ومقالاته في صحف فلسطينية وأردنية وعربية. حصل على ليسانس فلسفة واجتماع من جامعة دمشق عام 1965م، وعمل محرّراً للشؤون الثقافية في صحيفة الجهاد المقدسية، ثم صحيفة القدس (1965– 1967)، بعدها أصبح نائباً لرابطة الكتّاب الأردنيين وعضو الهيئة الإدارية للرابطة لمدة عشر سنوات (1977–1987)، وعمل في صحيفة الرأي الأردنية محرراً لشؤون الأرض المحتلة (1978– 1980)، ثم أصبح عضواً للأمانة العامة لاتّحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين (1987– 2004)، وعضواً للمجلس الوطني الفلسطيني (1988– 1996)، كما عمل في صحيفة الرأي الأردنية كاتباً لمقالة أسبوعية (1991– 1993)، ورئيسَ تحرير لصحيفة الطليعة المقدسية الأسبوعية (1994– 1996)، ومشرفاً عاماً لمجلة دفاتر ثقافية الصادرة

[30] سامي السرخي، الفن القصصي عند محمود شقير، مرجع سابق، ص8،7.

عن وزارة الثقافة الفلسطينية (1997– 2000)، ومحرّراً للشؤون الثقافية في مجلة صوت الوطن الصادرة في رام الله (1997– 2002).[31]

اعتقله الاحتلال الإسرائيلي عام 1969م؛ بسبب نشاطه السياسي، ومنذ اللحظة الأولى من اعتقاله تم فصله من سلك التدريس، وأفرج عنه عام 1970م، وبعدها عمل في مدرسة خاصة هي مدرسة المعهد العربي، وهي مدرسة ثانوية تديرها هيئة عربية مرتبطة بوزارة التربية والتعليم الأردنية، ولكنه فصل من عمله بحجة التحريض على التظاهر وتوزيع المنشورات التي تدعو إلى مقاومة الاحتلال، بعدها عين مدرساً في دار الأيتام الإسلامية في البلدة القديمة في القدس، لكنه ترك العمل فيها؛ كي يصبح متفرغاً حزبياً. [32]

عايش محمود شقير نكبة عام 1948م، وما تلاها من أوضاع معيشية صعبة عانى منها الشعب الفلسطيني والعربي أيضاً؛ ما كان له الأثر الكبير الذي جعل منه شخصاً نشطاً سياسياً.

يُعدّ شقير من كتّاب الواقعية الاشتراكية التي تهتم بالطبقة الفقيرة، وتصور واقعها الإنساني، وتدافع عن حقوقها من خلال إبراز التناقضات بينها وبين طبقة الأغنياء؛ فهو منحاز إلى الطبقات الكادحة، وقصصه كانت انعكاساً لفكره ومعتقداته اليسارية. [33] كان لانتساب محمود شقير للحزب الشيوعي وتبنيه الفكر الماركسي الأثر الكبير على فنية قصصه، إذ أصبح للأيدولوجية تأثير واضح في بعض قصصه، بطريقة قد تضعف العمل الفني؛ وقد أفقده ذلك

---

[31] جميل السلحوت، محمود شقير أديب مدينة السلام، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، إعداد وتحرير ياسين كتاني، ج3، مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها، 2013م، ص459.

[32] سامي السرخي، الفن القصصي عند محمود شقير، مرجع سابق، ص9.

[33] المرجع السابق، ص10.

عفويته وبراءته في التعامل مع العالم من حوله؛[34] فقد كان يصور الشخصيات والواقع في القصص التي يكتبها تصويراً مقدماً، حسب نظرته الأيدولوجية المسبقة، بحيث تصبح الشخصيات وصفاتها حسب موقفه الأيدولوجي من الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها، وليس السياق الذي يحكم القصة والشخوص. ولكن بعد تعرض شقير إلى النفي، سواء في بيروت أو في عمان، أتاح له ذلك العودة إلى أجواء الثقافة العربية، والاطلاع على الآداب الأجنبية؛ ما دفعه ذلك إلى رؤية الوطن من زوايا مختلفة، فكتب بأسلوب جديد، دون أن يتخلى تماماً عن أيدولوجيته، ودون أن يتخلى عن الهم الوطني، بل تخلى قليلاً عن التزامه بالأيدولوجيا التي تقلل من جدارة النص الأدبي حين تخالف شروطه الفنية، فالمنفى جعله يطور أدواته الفنية.[35]

اكتفى شقير بكتابة القصص القصيرة والقصص القصيرة جداً، ولم يكتب الروايات؛ إذ صرح بأنه ما زال يتهيب من كتابة الروايات؛ كونها فناً يحتاج إلى كثير من الاستعدادات الثقافية والفنية، إضافة إلى التجربة الواسعة في الحياة. حاول كتابة رواية في أواخر السبعينيات من القرن الماضي، وبعد أن أنجزها وأرسلها إلى مجلة شؤون فلسطينية في بيروت قام بسحبها؛ لشعوره بأنها غير مقنعة. كما كتب – أيضاً– في أوائل الثمانينات رواية ولكن لم يجرؤ على نشرها؛ لعدم قناعته بها، واكتفى بنشر فصول منها في مجلة أفكار الأردنية. كانت أول تجربة له في كتابة الرواية عام 2000، رواية كتبها للفتيان والفتيات "أنا وجمانة"، وبالرغم من أنها لاقت استحساناً من بعض النقاد، إلا أن ذلك لم يشجعه على كتابة الرواية، واقتصر

[34] إبراهيم صموئيل، أفق التحولات في القصة القصيرة: شهادات ونصوص، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، دارة الفنون، عمان– الأردن، 2001، ص96.

[35] سامي السرخي، الفن القصصي عند محمود شقير، مرجع سابق، ص13،12.

على كتابة القصص التي يرى بأنه قادر على إظهار المفاجآت فيها. [36] ولكن في الفترة الأخيرة حصل تحول مفاجيء؛ إذ نشر شقير في عام 2012 رواية "فرس العائلة"، وأتبعها في عام 2015 برواية "مديح لنساء العائلة"؛ فقد وصل أخيراً إلى قناعة بأن ما اكتسبه من خبرة وثقافة جعله قادراً على كتابة الرواية، بالإضافة إلى إلحاح بعض الأصدقاء عليه وخاصة محمود درويش بضرورة كتابة الرواية، وذلك بعد قراءتهم لكتابه "ظل آخر للمدينة"، وإدراكهم بأن ما فيه من تقنيات يؤهله لكتابة الرواية. [37]

ترشحت روايته "مديح لنساء العائلة" إلى جائزة البوكر العربية لعام 2016، واختيرت مع خمس روايات من بين 159 رواية مرشحة للجائزة من عدة بلدان.

كتب شقير الكثير من القصص القصيرة، والقصص القصيرة جداً، وقصص الأطفال، والروايات، وروايات للأطفال والفتيان، والمسرحيات، وأدب الرحلات، وعدداً من المسلسلات التلفزيونية، وصدرت له كتب بلغات مختلفة؛ فقد ترجمت بعض قصصه القصيرة إلى عدة لغات، منها: الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والكورية والصينية والألمانية، حاز على جائزة محمود سيف الدين الإيراني للقصة القصيرة عام 1991، وجائزة محمود درويش للحرية والإبداع عام 2011. [38]

وبالرغم من مؤلفات شقير التي حظيت بالإعجاب والاهتمام الكبير، إلا أنه يمكن القول بأنه كاتب مكثر في مؤلفاته، وبعض كتاباته لم تحظ باهتمام العديد من النقاد والقراء.

---

[36] من موقع الكاتب محمود شقير، حوارات ، عصام حجاج، متوفر على الموقع الالكتروني
تاريخ الزيارة 2016/7/20. http://mahmoudshukair.com/ar/modules/news/article.php?storyid=446

[37] مقابلة أجرتها الباحثة مع الكاتب محمود شقير، تاريخ المقابلة 2016/7/21.

[38] جميل السلحوت، محمود شقير أديب مدينة السلام، مرجع سابق، ص 463،465.

صدرت له المؤلفات الآتية: [39]

*** مجموعات قصصية :**

- خبز الآخرين "مجموعة قصصية" (1975).
- الولد الفلسطيني "مجموعة قصصية" (1977).
- طقوس للمرأة الشقية "قصص قصيرة جداً" (1986).
- صمت النوافذ "قصص قصيرة جداً" (1991).
- مرور خاطف "قصص قصيرة جداً" (2002).
- صورة شاكيرا "مجموعة قصصية" (2003).
- ابنة خالتي كوندليزا "مجموعة قصصية" (2004).
- باحة صغيرة لأحزان المساء "قصص قصيرة جداً" (2004).
- احتمالات طفيفة "قصص قصيرة جداً" (2006).
- الأعمال القصصية الكاملة "قصص قصيرة" (2012).

*** مجموعات قصصية للأطفال :**

- الجندي واللعبة "مجموعة قصصية للأطفال" (1986).
- الحاجز "مجموعة قصصية للأطفال" (1986).
- أغنية الحمار "مجموعة قصصية للأطفال" (1988).

---

[39] المرجع السابق، ص460–463 .

انظر أيضاً: محمود شقير، مديح لنساء العائلة، الأهلية، الأردن، 2015، آخر صفحتين في الكتاب (غير مرقمة).

- مهنة الديك "مجموعة قصصية للأطفال" (1999).
- تجربة قاسية "قصة للأطفال" (2001).
- الولد الذي يكسر الزجاج "قصة للأطفال" (2001).
- طيور على النافذة "قصة للأطفال" (2001).
- الملك الصغير "قصة للأطفال" (2004).
- قالت لنا الشجرة "مجموعة قصصية للأطفال" (2004).
- علاء في البيت الصغير "قصة للأطفال" (2004).
- كلب أبيض ذو بقعة بيضاء "قصة للأطفال" (2008).
- رحلة الحمار وقصص أخرى "قصص للأطفال" (2011).
- قطقوطة في المدرسة وقصص أخرى "قصص أطفال" (2012).
- أولاد الحيّ العجيب "قصة للأطفال" (2012).
- بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد "قصة للأطفال" (2012).
- أنا وفطوم والريح والغيوم "قصة للأطفال" (2013).
- عصفور سناء "قصة للأطفال" (2014).

*** قصص وروايات ومسرحيات للفتيان والفتيات:**

- قالت مريم... قال الفتى "قصة طويلة للفتيان والفتيات" (1996).
- مريم وكنعان وقصص أخرى "قصص للفتيان والفتيات" (2014).
- أنا وجمانة "رواية للفتيان والفتيات" (2000).

– كوكب بعيد لأختي الملكة "رواية للفتيان والفتيات" (2007).

– أحلام الفتى النحيل "رواية للفتيان والفتيات" (2010).

– كلام مريم "رواية للفتيان والفتيات" (2013).

– الرُّبّان "ثلاثة نصوص مسرحية للفتيان والفتيات" (2003).

*** أدب رحلات:**

مدن فاتنة وهواء طائش "أدب رحلات" (2005).

*** روايات :**

– فرس العائلة "رواية" (2012).

– مديح لنساء العائلة "رواية" (2015).

بالإضافة إلى هذه الأعمال صدر له أيضاً:

– ظل آخر للمدينة "سيرة للمكان" (1998).

– الحطّاب "حكاية شعبية" (2004).

– مرايا الغياب "نصوص نثرية" (2007).

– قالت لنا القدس "نصوص، يوميات وشهادات" (2010).

– القدس وحدها هناك (2010).

– قراءة في مئة كتاب فلسطيني (2010).

– مدينة الخسارات والرغبة (2011).

– مديح لمرايا البلاد "يوميات" (2012).

- القدس مدينتي الأولى "سيرة للفتيان والفتيات" (2014).

الفصل الأول

نماذج شائعة لصورة المرأة في الرواية الفلسطينية

برز دور المرأة بشكل واضح، في الروايات الفلسطينية، التي صورت المعاناة المزدوجة للمرأة الفلسطينية؛ كونها امرأة تعاني من عقلية المجتمع الذكوري، وفي الوقت ذاته تعيش في ظل هذا المجتمع المحتل الذي ضاعف حجم شعورها بالاغتراب. لذا، كان من الطبيعي أن تحتل

قضية المرأة حيزاً بارزاً بحيث يصعب تهميش دورها حتى في الأدب؛ فكتب الكثير من الروائيين عن المرأة ودورها في المجتمع.

قدمت الرواية الفلسطينية مجموعة من النماذج النسوية المختلفة. وبعد الاطلاع على العديد من الكتب التي تناولت صور المرأة في الرواية الفلسطينية، ومن بينها: كتاب "المرأة في الرواية الفلسطينية" لزكي العيلة، و"صورة المرأة في روايات سحر خليفة" لوائل علي الصمادي، و"الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة والقطاع"[40] لمحمد أيوب، وكتاب "المرأة في الرواية الفلسطينية" لحسان الشامي؛ لوحظ تنوع صور المرأة في الرواية الفلسطينية؛ فقد جاءت صور المرأة لديهم في عناوين واضحة وشاملة إلى حد كبير، بحيث شملت معظم النماذج المختلفة لصور المرأة التي وردت في الأدبيات الأخرى[41] التي تم الرجوع إليها.

وقبل البدء بتقديم نماذج صور المرأة في الرواية الفلسطينية، لا بد من عرض النماذج التي وردت عند هؤلاء الكتاب، – وليس بالضرورة أن تكون كل هذه النماذج مجتمعة عند كاتب واحد –؛ فقد استخلصوا نماذج مختلفة لصور المرأة في الرواية الفلسطينية، وهي: الصورة الإيجابية للمرأة، والصورة السلبية لها، وصورة المرأة المناضلة، وصورة المرأة المتعلمة، وصورة المرأة المتمردة، وصورة المرأة العاملة، وصورة المرأة المضطهدة، وصورة المرأة الأم،

---

[40] محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة والقطاع1967 –1993، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1997.

[41] الأدبيات الأخرى:

سمير أحمد الشريف، أنموذج المرأة في أدب سميرة عزام، المجلة الثقافية،ع.43، 1998–1999.

فيحاء عبد الهادي، نماذج المرأة البطل في الرواية الفلسطينية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

غدير طوطح، المرأة في روايات سحر خليفة، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت–فلسطين، 2006.

وصورة المرأة اللعوب. ولكن من المآخذ على هذه التصنيفات أنها متداخلة، ويصعب الفصل بينها في بعض الحالات، بحيث يمكن القول بأن بعضها لا يصلح أن يكون عنواناً رئيساً، فمثلاً: الصورة الإيجابية للمرأة عنوان عام وشامل يصلح أن يندرج تحته صورة المرأة المناضلة، والمتعلمة، والعاملة، وكذلك بالنسبة للصورة السلبية للمرأة التي قد يندرج تحتها صورة المرأة اللعوب، والمضطهدة. لذا، اختير تصنيف آخر يختلف عن تصنيفات أولئك الكتاب، بحيث وُضِعَت نماذج صورة المرأة في الرواية الفلسطينية تحت عنوانين رئيسين، هما: الصورة الإيجابية للمرأة، والصورة السلبية للمرأة، وأُدرِجَت الصور الأخرى للمرأة تحت هذين العنوانين.

أولاً: الصورة الإيجابية للمرأة

قدمت الرواية الفلسطينية صورة إيجابية للمرأة القوية الفاعلة، التي تثبت وتقوى في مواجهة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي فُرضت عليها في ظل مجتمع بطريركي ذكوري، بالإضافة إلى سيطرة الاحتلال. تتميز الشخصية الإيجابية "بقدرتها على صنع الأحداث، والمشاركة في تطورها، واغتنام الفرص لكي تسهم في تشكيل حركة الحياة، والتأثير فيمن حولها من الشخصيات، واتخاذ مواقف إيجابية في انفعالاتها ومشاعرها، ومواقفها من الآخرين".[42] هذه المرأة الإيجابية التي تنعكس إيجابيتها على من حولها، بحيث تؤثر فيهم، وتحاول أن تدفع بهم إلى الأمام، تُرى تكد وتعمل؛ كي تتغلب على ظروفها الصعبة؛ بهدف

[42] عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، ص120، نقلا عن محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة والقطاع 1967–1993، مرجع سابق، ص52.

تحسين أوضاعها. ولهذه المرأة صور مختلفة، منها: المرأة المتمردة، والمرأة المناضلة الأم، والمرأة المناضلة المتعلمة.

- المرأة الإيجابية المتمردة

"تنبع إيجابية البطل من حركته البناءة نحو تغيير واقعه مجتازاً ما يعترضه من عقبات. وقد كثرت نماذجه استجابة لما في واقع المجتمع من أحداث، وما توفَّر لدى الروائيين من تفاعل مع هذا الواقع".[43] ويمتاز الإنسان الإيجابي، سواء أكان بطلا أم لا، بقدرته على تغيير الأحداث نحو الأفضل، ومحاولة التغلب على العقبات التي تعترض طريقه، والتمرد على التقاليد والعادات التي تجره إلى الخلف، خاصة في ظل الأحداث السياسية التي يمر بها الشعب الفلسطيني، فأصبح من الطبيعي تفاعل الروائيين الفلسطينيين مع تلك الأحداث؛ ما أدى إلى إظهارهم لنموذج المرأة الإيجابية المتمردة في رواياتهم.

ومن نماذج هذه الصورة سعدية في رواية (عباد الشمس، 1980م) لسحر خليفة، التي تحمّلت تقوّلات نساء الحارة، وبعض رجالها؛ لخروجها عن المألوف في تنقلها وبحثها عن عمل بعد أن أصبحت أرملة، عقب استشهاد زوجها (زهدي). كان شحادة يزودها برزم القمصان المقصوصة التي يأتي بها من إحدى شركات تل أبيب، حتى يتسنى لسعدية تجهيزها في مشغلها البيتي، وبذلك تستطيع تلبية احتياجات أولادها، خاصة ابنها (حمادة)، الذي كان يدرس في جامعة في القاهرة.

---

[43] يوسف نوفل، قضايا الفن القصصي، ص51، نقلا عن محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة والقطاع، مرجع سابق، ص52.

كانت سعدية تحلم بشراء قطعة أرض في الجبل المشمس كي تبني عليها غرفة؛ هرباً من نسوة حارتها اللواتي يكثرن من الكلام عليها، خاصة بعد عودتها من تل أبيب ومعها أجرة الخياطة، برفقة عتال يحمل لها أكياساً ورقية مليئة بكل ما كانت تحلم بأكله، فينظرن إليها من النوافذ بنظرات الحسد والتشهير "تعمل العمايل وترخي الشمايل، واحد طالع وواحد نازل وتقول من خير الله والماكينة. الله الله يا ماكينة سعدية، الله، الله...".[44]

كما كانت تقف في وجه شحادة، الذي يريد الزواج منها، وتصده، رافضة المقارنة بين زوجها زهدي، الرجل الحقيقي، وذلك الرجل الشاحب؛ فعندما تطاول عليها، وناداها باسمها المجرد معتبراً أنها حرمة، وأنه مسؤول عنها أثناء ذهابهما لقبض أجرتيهما، تقف في وجهه بكل قوة وشراسة قائلة: "من إيمتى تناديني سعدية حاف يا شحادة؟ ناديتني سعدية أول مرة وبلعتها، ويمكن لأني بلعتها أول مرة تماديت، ونسيت حدك. أولاً: أنا أم حمادة ومش سعدية. وثانياً: أنا مش حرمة، أنا مثلي مثلك، أنت صاحب مصلحة وأنا صاحبة مصلحة. وثالثاً: ما حدا مسؤول عني غير الله ونفسي، مفهوم؟".[45]

كانت سعدية صورة للمرأة الإيجابية المتمردة التي رفضت الاستسلام للواقع الصعب الذي تعيشه؛ فقد أبت أن تجلس في بيتها تنتظر شفقة الناس وعطفهم عليها وعلى أولادها، لذلك كدّت وخرجت عن المألوف من خلال عملها، وتمردت على عادات مجتمعها وتقاليده، وتحملت الحياة الصعبة كي تنفق على أولادها؛ إذ كانت لهم الأم والأب، كما تحملت كلام نسوة حارتها عليها، ورفضت أن ترضخ لكلامهن، وأصرت على العمل. كان رفضها للزواج

---

[44] سحر خليفة، عباد الشمس، دار الكاتب، القدس، 1980م، ص24.

[45] المصدر السابق، ص90.

من شحادة – أيضاً– يمثل القوة والإرادة والتمرد الإيجابي؛ فقد كانت تستطيع أن تتزوج منه كي تخفف عن نفسها عناء الحياة، ومع ذلك رفضته، ووقفت في وجهه، وأجبرته على احترامها، ورفضت مجرد المقارنة بين زوجها الشهيد وبينه.

تُلمح الإيجابية والتمرد – أيضاً– في شخصية صفية في رواية (ضوء في النفق الطويل، 1983م) لعلي الخليلي. صفية امرأة صلبة، في الأربعين من عمرها، تتسم بالجمال والجاذبية، تقرر بعد هروب ابنتها ساجدة أن تترك هي الأخرى بيتهم الرطب المظلم (القبو)، الذي يرمز للخنوع، باحثة عن عمل يقيها ذل الجوع، ثم تعمل عند الحاج مطيع – صاحب مشغل خياطة – حيث يوافق على تشغيلها بعد أن يعلم أنها خياطة ممتازة، مشترطاً عليها عدة شروط.

كانت صفية تتعرض للتوبيخ من الحاج عندما كانت إحدى الفتيات تخطىء في عملها، ذلك الحاج الذي كان يختلي بها في ساعات المساء بعد أن يغادر الجميع؛ مشتهياً جسدها، فتلوذ بالفرار، محافظة على عرضها، ولكن حاجتها إلى العمل تضطرها للعودة إلى المشغل مرة أخرى، وعندما ينجح في الانفراد بها، تقاومه وتأخذ مقصاً وتغرزه في بطنه حتى تَخرج أمعاؤه "شد بيديها. حاول أن يلقي بها على الأرض. قاومت. وقاومت. قررت أن لا تصيح أبداً... لم يعقل الحاج مطيع. واشتد به الهوس. فضربها على عنقها، ثم على صدرها، وقفاها، فتناولت مقصاً، ودسته في بطنه، ثم دسته، ودسته، فاندلقت الأمعاء والدم والفضلات".[46]

[46] علي الخليلي، ضوء في النفق الطويل، ط1، منشورات الأسوار، عكا، 1983، ص109.

لم تندم صفية على فعلتها، ورفضت أن تكون امرأة ساقطة مهزومة، وعادت تبحث عن نوال التي تعرف أخبار ابنتها ساجدة وعلاقتها بالفدائي الذي أحبته، حتى تخبرها بكل فخر بأنها أنقذت نفسها من كابوس الحاج مطيع، طالبة منها أن توصل خبراً لابنتها ولفواز أيضاً أنها ستكون بخير.

تتمثل الإيجابية في شخصية صفية من خلال تمردها على بيتها المظلم الرطب الذي يرمز للخنوع، وفي بحثها عن عمل كي تحمي نفسها من ذل الجوع؛ فقد تحملت مشاق العمل، والشروط التي فرضها الحاج مطيع عليها. وتتمثل قوتها وإيجابيتها –أيضاً– في تمردها على الحاج مطيع الذي كان يشتهي جسدها، رافضة الاستسلام والخنوع له، محافظة على شرفها، مفضلة قتله على النيل منها، غير نادمة على ما فعلته؛ ما يدل على ايجابيتها وتمردها على الوضع الذي كانت تعيشه.

– المرأة الإيجابية المناضلة الأم

قدمت الرواية الفلسطينية صوراً مشرقة لنساء فلسطينيات، كان لهن دور نضالي بارز، حملن قضية وطنهن، وشاركن في المقاومة والنضال؛ فأم سعد في رواية (أم سعد، 1987م) لغسان كنفاني، تلك الفلاحة البسيطة التي هُجِّرت من قريتها في فلسطين إثر نكبة 1948، وأصبحت لاجئة في أحد مخيمات بيروت، تمثل نموذج الأم الإيجابية المناضلة؛ إذ كانت تشجع ابنها سعد على الالتحاق بالعمل الثوري، ومحاربة المحتل، والدفاع عن أرضه. ولم

تقف عند هذا الحد، بل تمنت أن يكون لديها عشرة أولاد مثله؛ كي يدافعوا عن وطنهم في وجه العدو.

عندما التحق ابنها سعد بالعمل الثوري، لحقته على مدخل المخيم، وزغردت؛ تعبيراً له عن فرحها؛ ما ينم عن الحالة النفسية التي ملأت أم سعد؛ فلم تودعه بالدموع والبكاء، بل ودعته بالزغاريد كالتي تستقبل ابنها الذي يزف يوم عرسه، وتمنت أن تلحق به وبالفدائيين؛ كي تطبخ لهم وتخدمهم. دفعت – أيضاً– ابنها الصغير "سعيد" إلى التدريب العسكري مع صغار المخيم، حتى يسير على طريق أخيه في العمل الثوري والنضال، وكانت تعي بأن اللاجىء العادي يختلف عن اللاجىء المناضل الثوري عندما قالت "خيمة عن خيمة تفرق"،[47] فكأن خيمة اللاجىء العادي، كما ترى، تقود إلى الذل والهزيمة، أما خيمة اللاجىء المناضل فتقود إلى النصر والحرية.

صورت هذه الرواية صورة إيجابية للمرأة المناضلة الأم التي قدمت أغلى ما تملك للدفاع عن الوطن؛ امرأة تجسدت إيجابيتها في عطائها وتضحيتها بأبنائها؛ امرأة اختارت طريق المقاومة، ورفضت الاستسلام والخنوع.

الست زكية، في رواية (باب الساحة، 1990م) لسحر خليفة، كان لها دور نضالي واضح هي الأخرى؛ فقد قدمت الكثير من الخدمات لشباب الانتفاضة؛ إذ كانت تداوي الجرحى، وتسعف المصابين، وتخبىء المناضلين، وتكشف الطريق لهم، وتنقل أخبار الشباب إلى

[47] غسان كنفاني، أم سعد، ط4، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت– لبنان، 1987، ص28.

أمهاتهم بالرغم من كبر سنها؛ وبحكم عملها، كقابلة، كانت تعود إلى بيتها في ساعات متأخرة من الليل، وتتعرض للتفتيش من جنود الاحتلال.

كانت الست زكية تساند الشباب، وتستقبلهم في بيتها، وتقدم لهم الطعام والشراب والخدمة، وترشدهم حول تحركات الصهاينة وعددهم ومواقعهم.

"سألها شاب: "يا ست زكية شفتِ الجيش؟ "

هزت رأسها:

"شفته، شفته".

"والنواضير"؟

"وحاملين سلاح"؟

"مثل دايماً".

"عددهم كبير" ؟

" الله أعلم، يمكن عشرين، يمكن خمسين، يمكن مية، ما قدرتش أعد".[48]

ومن شدة جرأتها وشجاعتها، كان الملثمون وأهل الحارة يلقبونها بأم الشباب التي لا تخشى العتمة؛ فقد كانت تمشي في الأزقة في العتمة دون خوف من جنود الاحتلال.

لم يمنع كبر سن الست زكية، عن القيام بدورها النضالي المتمثل بمساندة الشباب المناضلين؛ فقد كانت بمثابة الأم الحانية عليهم؛ فهي القابلة التي ولّدت أمهاتهم، وهي الممرضة والطبيبة. ومما ساعد في قيامها بهذا الدور طبيعة عملها التي جعلتها تتحرك

[48] سحر خليفة، باب الساحة، ط1، دار الآداب، بيروت، 1990، ص216،217.

بسهولة من بيت إلى بيت؛ ما يتيح لها نقل الأخبار السارّة وغير السارة، وتحركات الجيش وأعدادهم، ويجعلها تعود في ساعات متأخرة من الليل، ما يُبعِد عنها الشك من قبل جنود الاحتلال.

قدمت الرواية الفلسطينية صوراً نيرة للمرأة والأم الفلسطينية المناضلة، فتُرى أم سعد الأم المناضلة القوية التي ضحت بأبنائها في سبيل الدفاع عن الوطن، وتُرى الست زكية الأم الحانية التي قامت بدور المساند للشباب من خلال مساعدتها للثوار في نقل الأخبار لهم، ومداواتهم، وتخبئتهم، وكشف الطريق لهم. فدور الأم المناضلة لم يقتصر على مساعدة الشباب المناضلين فحسب، بل تعداه إلى تقديم فلذات أكبادها للالتحاق بالمناضلين.

- المرأة الإيجابية المناضلة المتعلمة

لم تكتف الرواية الفلسطينية بتقديم الصورة الإيجابية للمرأة الأم البسيطة المناضلة فحسب، بل صورت المرأة المناضلة ذاتها امرأة متعلمة، جمعت بين ثقافتها وفكرها وبين نضالها؛ إذ قدمت صوراً للمرأة الإيجابية المناضلة المتعلمة، التي انعكس تعليمها ومعرفتها على فكرها ومعتقداتها وحياتها؛ فخرجت إلى العمل لتقف جنباً إلى جنب مع الرجل، وسارت على درب النضال في الدفاع عن وطنها، لإدراكها بأن هذا هو السبيل لنيل الحرية والتحرر. وهذا الأمر ليس غريباً؛ فطبيعة الظروف السياسية التي شهدتها فلسطين، جعلت من الطبيعي أن تكون الفتاة المتعلمة مناضلة وصاحبة أفكار ثورية.

تمثل ندى، في رواية (العشاق،1977م) لرشاد أبو شاور، أنموذج المرأة الإيجابية المناضلة المتعلمة، حيث تعمل معلمة في مدرسة بنات المخيم بأريحا. استطاعت ندى أن تخطو على درب العمل الثوري بتشجيع من خطيبها محمود، الذي كلفها بنقل رسالة شفوية إلى القيادة في عمّان بشأن إخبارها عن وضع المقاومة في فلسطين، والطلب إليهم تزويد المقاومة بالتوجيهات والسلاح. "ستخبرينهم بتصفية الجنود الصهاينة على طريق القدس، والبحر الميت، وبعملية مهاجمة دورية في مخيم النويعمة، وقتل وجرح كل عناصرها، واستشهاد المناضل أبو جمال.... وستطلبين إليهم تزويدنا بتوجيهاتهم، فضلاً عن السلاح، ووسائل الاتصال".[49]

تكمن إيجابية ندى في قدرتها على إكمال تعليمها، وحصولها على شهادة جعلتها تعمل معلمة في إحدى المدارس؛ كي تقف إلى جانب أبيها، تسانده في تحمل صعوبات الحياة، خاصة بعد وفاة أمها. ومع هذه الظروف الصعبة لم تستسلم للحياة، بل تابعت مسيرتها العملية، وسارت – أيضاً– على درب العمل النضالي؛ فلم تتردد في إنجاز المهمة التي كلفها بها خطيبها، بل أبدت حماسها واستعدادها لذلك بعيداً عن الشعور بالخوف أو الضعف.

شهد الصمدي في رواية (بوصلة من أجل عبّاد الشمس، 1980م) لليانة بدر تمثل – أيضاً– أنموذج المرأة الفلسطينية الإيجابية المناضلة المتعلمة. هذه الشخصية تتميز بالوعي والإخلاص لمبادئها، وللثورة التي آمنت بها. كانت شهد، دون كلل، توزع مع صاحبتها المنشورات السياسية الممنوعة، كما كانت تلصق المنشورات على جدران المعهد الذي كانت

[49] رشاد أبو شاور، العشاق، ط1، دار العودة، بيروت، 1977، ص273.

ملتحقة به في عمان، وكانت تحرض على المظاهرات ضد سياسة القمع، كما كانت تحرض على الثورة على المحتل الغاصب؛ فاعتقلتها السلطات الأردنية هي وصاحبتها، وقامت بالتحقيق معهما، وعندما لم تعترفا عمن وراء هذه المظاهرات أُخذتا إلى السجن. "إلى السجن أيتها الطائشتان هناك ستتعلمان درساً لا غنى عنه، وستكونان مع أولئك النسوة القذرات فتندمان على صمتكما".[50]

لم تكف شهد عن نضالها حتى بعد تخرجها وتعيينها معلمة في إحدى مدارس وكالة الغوث؛ فقد كانت تبث الأفكار الثورية في رؤوس تلميذاتها؛ ما أدى إلى تعرضها للفصل من المدرسة ومن مدارس أخرى، بسبب نشاطاتها السياسية، "سمعتها إحدى المعلمات وهي تسألهن عن معنى كلمة جيش. الجيش هو النار والبارود والمنازل المهدمة.....قالت الناظرة لها: هذه الورقة لك. وكانت ورقة الفصل والطرد موقعة من أحد هؤلاء المخبرين الذين يتعقبونها أينما ذهبت".[51] وبالرغم مما تعرضت له من الفصل المتكرر، ومن ملاحقة بعض المخبرين لها، إلا أنها لم ترضخ لهم، ولم تستسلم، بل استمرت في مسيرتها النضالية.

مرت شهد بظروف صعبة في طفولتها بعد استشهاد والدها، وأثناء دراستها لسنوات طويلة في مدرسة اليتامى الداخلية؛ فقد كانت ترتدي، في المدرسة، فستاناً واحداً طوال أيام السنة، وتقف في الطابور المزدحم تنتظر كأساً واحداً من الحليب، وتنتظر بفارغ الصبر الكيس البني الذي تأتي به أمها، تحمله في نهاية كل شهر، وفيه حبات قليلة من البرتقال، والزعتر الناشف، والصابون النابلسي.

---

[50] ليانة بدر، بوصلة من أجل عباد الشمس، ط2، مكتبة الوحدة، نابلس، 1980، ص16.

[51] المصدر السابق، ص19.

لا شك أن النشأة الصعبة التي عاشتها شهد منذ طفولتها كان لها الأثر الكبير الذي جعل منها فتاة ثورية؛ فالحياة الصعبة تجعل من الإنسان شخصاً قوياً لا يهاب شيئاً؛ إذ رفضت شهد أن تحصل على شهادة حسن سلوك تؤهلها للعمل في أفخم المدارس، وتصبح أحسن معلمة مقابل إدلائها بأيّ معلومة، حتى لو كانت ملفقة للمخابرات؛ فقد أصبحت تعمل سكرتيرة في شركة تجارية بعد أن كانت معلمة؛ ما يدل على مدى إيمانها بأفكارها ومبادئها التي تنتمي إليها.

صورت هذه الرواية شهد شخصية مناضلة ثورية متعلمة، تمتلك الإرادة القوية، والوعي الفكري والثوري؛ ما جعلها تمارس دورها النضالي بعيداً عن الشعور بالخوف والضعف بالرغم مما تعرضت له من مشاكل وعقبات، فهي تؤمن بالعلم والعمل والشجاعة والإرادة التي ترى أنها قادرة على خلق الإنسان المناضل المكافح، المدافع عن أفكاره ومبادئه ووطنه.

دور المرأة المناضلة لم يقتصر على مساعدة المناضلين، وتقديم الخدمات لهم، بل تعداه إلى المشاركة الفعلية في العمل النضالي؛ فقد خرجت المرأة كذلك إلى المظاهرات، وحرضت على مقاومة المحتل، وتعرضت للاعتقال والفصل من العمل. ومن خلال الاطلاع على العديد من الروايات، لوحظ إكثار الروائيين من تصوير نماذج المرأة الإيجابية المناضلة، سواء أكانت أماً بسيطة أم فتاة متعلمة؛ وتنوعت أدوار تلك النماذج بين دور المساند ودور المشاركة الفعلية في النضال.

ثانياً: الصورة السلبية للمرأة

عرضت الرواية الفلسطينية صوراً سلبية للمرأة؛ منها: الصورة السلبية للمرأة التقليدية، والمرأة المقموعة المضطهدة، والمرأة اللعوب.

تتسم المرأة السلبية التقليدية بالعفوية والسذاجة التي تجعل حدود تفكيرها ضيقة؛ ما يجعلها ضعيفة، غير قادرة على صنع الأحداث بطريقة صحيحة. تعاني المرأة المقموعة المضطهدة من ظلم المجتمع الذكوري؛ فهي ضحية عادات وتقاليد بالية؛ إذ تُظهر الرواية الفلسطينية النظرة السلبية للمجتمع لها من خلال التحكم بحياتها ومستقبلها، أما المرأة اللعوب، فقد لجأت إلى العلاقات غير الشرعية؛ إما للوصول إلى غاية معينة، أو لإشباع رغباتها؛ حيث تشير مواقفها إلى سلبيتها وتصرفاتها غير السليمة. تشترك هذه الصور جميعها في صفة السلبية (عدم الإيجابية).

- **المرأة السلبية التقليدية**

"تتسم الشخصية السلبية بالحياد، تراقب الأحداث دون أن تشارك في صنعها، وهي شخصية مترددة ضعيفة، تتلقى الأحداث كما هي، فإذا ما فشلت فإنها تصاب بالإحباط، وتبرر فشلها بسوء الحظ، وهذه الشخصية تخضع للعادات والتقاليد، سهلة الانقياد للآخرين، تتقبل آراءهم دون تدقيق، وتعاني من القهر والعزلة"،[52] وتتصف هذه الشخصية عادة بالبساطة والعفوية، وقد تصل إلى حد الأنانية.

[52] عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، ص120، نقلاً عن محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة والقطاع، مرجع سابق، ص52.

تمثل "عبير الصالح"، في رواية (انتفاضة، 1998م) لجمال بنورة، أنموذج المرأة التقليدية، بالرغم من تعليمها ودراستها في جامعة بيت لحم. تكمن سلبية عبير في شدة عشقها لخطيبها رأفت، وانشغالها الدائم به إلى حد الأنانية، وانتظارها، بلهفة، اليوم الذي ستزف فيه إليه؛ فهي تبدو غير متحمسة لانضمام رأفت إلى المظاهرات وانشغاله عنها؛ فالمظاهرات هي الحد الفاصل الذي يمنعهما من الحديث عن مستقبلهما. وفي هذا، تتضح أنانية عبير واهتمامها بنفسها فقط، دون احترامها لتفكير رأفت، غير مبالية بقضية وطنها ومستقبله.

عندما ينضم رأفت إلى المظاهرات، ويتعرف على رانية، التي تعطيه شالها ليتلثم به، وتساعده في الوصول إلى بيته، تبدي عبير غيرتها الشديدة من هذه الفتاة، وخوفها الشديد على رأفت من أن تسرقه منها، وكأنها غير واثقة من نفسها، أو لشعورها بعدم ولع رأفت بها، ربما لأنها هي التي فرضت نفسها عليه؛ فجرأتها دفعت بها إلى أن تبادر بعرض الزواج منه. "..... حتى سمع على لسانها أنها تخطط للزواج منه قبل أن يقول كلمته في ذلك، وقالت أيضاً أن رأفت ابن عمها وهي أحق به من غيرها... وأنه يريد أن يتزوجها...".[53]

تتضح سلبية عبير من خلال أنانيتها واهتمامها بمستقبلها، دون الاكتراث لخطيبها ووطنها، حين قالت له: "ماذا سيكون حالي.. إذا سجنوك.. أو.. جرى لك شيء؟".[54] فهي تفكر بمصيرها إذا سجن أو استشهد، ولم تكن إيجابية تدفعه إلى النضال والمقاومة، بل كانت تثبطه، وتذكره بنفسها وبزواجهما؛ فقضية الوطن لم تكن تشغل بالها، وعندما خرجت للاعتصام احتجاجاً على الاعتقالات التي يشنها الاحتلال ضد الشباب المقاومين، بمن فيهم

[53] جمال بنورة، انتفاضة، ط1، دار الشروق، رام الله– فلسطين، 1998، ص35.

[54] جمال بنورة، انتفاضة، مصدر سابق، ص110.

رأفت، خرجت إرضاء لرأفت، لتبقى الحبيبة التي تملأ قلبه، في الوقت الذي كانت تشعر فيه بالغيرة الشديدة من رانية. وفي النهاية، تنتهي قصتهما إلى فسخ الخطوبة بعد إلحاحها عليه بالأسئلة عن زواجهما وحبه لها.

الشخصية السلبية الثانية هي أم صابر في رواية (الصبّار، 1999م) لسحر خليفة، امرأة تقليدية بسيطة غير متعلمة، تمارس دورها التقليدي في البيت، من الطبخ والغسيل والتنظيف، وتجلس مع الجارات تستغيب، وتكثر من القيل والقال، دون أن يكون لها تأثير إيجابي فعال في المجتمع.

تظهر السلبية في شخصيتها حين قُطعت أصابع يد زوجها اليمنى أثناء عمله في إسرائيل من غير تصريح. "لطمت أم صابر صدرها وصاحت: إيده اليمين؟ يا كسرة قلبك يا عيشة..... ومن أين نأكل؟..... ومسحت دموعها بكفيها، فتلألأت الأساور الذهبية في معصميها وخشخشت. حملقت في الذهب وندبت: بكرة ينباع. كله ينباع. كنت خايفة من عمايل اليهود. كنت خايفة من منع التجول. ومن اليوم صارت حياتنا كلها منع تجول".[55]

تتجسد سلبية أم صابر من خلال موقفها من قطع أصابع يد زوجها، فلطْمُها وصياحُها دليلان على ضعفها، وعلى النمط التقليدي الذي يسيطر على شخصيتها؛ فاللطم والصراخ هما الطريقة التقليدية التي تعبر بها المرأة السلبية عن مصيبتها؛ فلم تقف بقوة، ولم تصمد عند سماعها الخبر، بل لجأت إلى هذه الطريقة التي لا تفيد بشيء، وتضاعف حزنها؛ لأن البتر أصاب يده اليمنى وليس اليسرى؛ فاليد اليمنى هي اليد التي كان يعمل بها أبو صابر،

[55] سحر خليفة، الصبار، دار الآداب، بيروت، 1999، ص52.

وهي الوسيلة التي تجلب لهم الرزق؛ فبدونها لم يعد باستطاعته العمل؛ ما يؤثر سلباً على عائلته؛ فرب الأسرة فقد عمله طوال الحياة، لذا تمنت أن يكون البتر بيده اليسرى بدلاً من اليمنى.

يكشف موقف أم صابر عن خوفها الشديد من تأمين لقمة العيش أكثر من خوفها على زوجها الذي بُترت أصابع يده اليمنى، كما يكشف عن خوفها على أساورها الذهبية من البيع؛ ما يدل على التقليدية الغارقة بها أم صابر؛ فهي، كأي امرأة تقليدية، تؤمن بضرورة وجود الذهب لديها، إما من أجل التزين به وإظهاره والتباهي به أمام النساء، أو ربما يكون كنوع من الذخر تخبئه لوقت الحاجة والشدة؛ ومع أن السبب الثاني ليس له أي نوع من الصحة، لأنه لو كان صحيحاً، لما كانت ردة فعل أم صابر بهذه الطريقة، فخوفها على ذهبها من البيع يدل على أنها لم تفكر مرة ببيعه إذا لزم الأمر، ولم يكن في حسبانها أن تبيع قطعة منه في وقت الشدة، وما أكد ذلك موقفها عندما طلب زوجها منها أن تبيع أسوارة من الذهب لتصرف بثمنها على البيت، رفضت ذلك، وقامت بإقناع ابنها بترك مدرسته، كي يعيل أسرته، مفضلة ضياع مستقبله على بيع أسورتها؛ فهي ليست مستعدة للتضحية، وتحمل مسؤولية بيتها وأولادها وزوجها؛ ولم تقبل ببيع قسم من ذهبها إلى حين يستلم أبو صابر التعويض من شركة التأمين، بالرغم من أنها تملك ما لا يقل عن ربع كيلو من الذهب. يقول أبو صابر: "الحرمة رأسها يابس ولا تفهم إلا في قضايا المطبخ والأولاد. سمعتها الليلة تهمس في أذن صابر محاولة إقناعه بترك الدراسة. والمسكين وافق".[56]

[56] سحر خليفة، الصبّار، مصدر سابق، ص154.

تتضح سلبية أم صابر وبساطتها – أيضاً– من خلال إيمانها بالشبة والحجابات؛ فحين ارتدت ملابسها للذهاب إلى المستشفى، خرجت وهي توصي ابنتها بأن تطلب من أم بدوي أن تشوي لها شبة؛ لتخرج العين التي أصابت أباها؛ فمواقفها تشير إلى إيمانها بالخرافات وأساليب الدجل؛ إذ كانت تعزو كثرة المصائب إلى العين الحاسدة والأرواح الشريرة، وتحاول معالجة ذلك بالحجابات وشي الشبة.

كانت أم صابر تترك زوجها المصاب بالساعات، وتجلس تثرثر مع أم بدوي، تستغيبان نساء الحارة، وتنشغلان بالقيل والقال، وكأنها تحاول الهروب من همومها بالثرثرة والانشغال بالكلام على الناس؛ فسلبيتها لم تدفعها إلى التفكير بحل إيجابي بنّاء ينقذ بيتها وعائلتها من الضياع، وضعفها جعلها تعالج الأمور بطريقة تقود إلى الفشل، مبعدة نفسها عن أي تنازل، رافضة أن تكون المضحية.

سلبية أم صابر وصلت بها إلى حد الأنانية، فعند الحاجة، فضلت الاحتفاظ بذهبها، وعدم التفريط بالقليل منه على إكمال ابنها تعليمه، مصدّقة بالخرافات والأفكار التقليدية، غير مؤمنة بضرورة التعليم وأهميته خاصة في ظل الفقر والمعاناة اللذين تعيشهما عائلتها؛ إذ كانت حدود رؤيتها محدودة ضمن إطار نفسها.

سلبية أم صابر لم تأت من فراغ، ولم تولد معها، بل جاءت نتيجة لكثرة مشكلاتها، ولشدة معاناتها من ضغوطات مفروضة عليها من مجتمع ذكوري محتل لا يَرحم ولا يُرحم. وتؤكد

هذا الرأي نوال السعداوي في كتابها "المرأة والجنس"؛ حيث ترى أن "سلبية المرأة ليست صفة طبيعية في المرأة، ولكنها صفة غير طبيعية نتجت عن ضغوطات المجتمع وكبته لنموها".[57] هكذا ظهرت صورة المرأة السلبية التقليدية، التي لا تتغير نحو الأفضل حتى في أصعب الظروف، ولا تقدم أفكاراً إيجابية بناءة لخدمة الغير.

- المرأة السلبية المضطهدة

عانت المرأة الفلسطينية من الظلم والاضطهاد في ظل مجتمع بطريركي ذكوري محتل. قدمت بعض الروايات صورة لهذه المرأة المقموعة الضحية، التي كان سببها المجتمع، وما تكدس فيه من أفكار وتقاليد بالية. يقصد بالصورة السلبية للمرأة المضطهدة هنا نظرة المجتمع السلبية (الدونية) لها، وليس مواقفها السلبية؛ فهي ضحية مجتمع يمجد الذكر ويهمش الأنثى.

تُرى شخصية "هند النجار"، في رواية (وتشرق غرباً، 1988م) لليلى الأطرش، أنموذجاً للمرأة المظلومة المضطهدة؛ إذ ظهر الظلم في مواقف كثيرة من الرواية، وذلك من خلال تدخل الجدة في مستقبل تعليمها، ورفضها لفكرة ذهابها إلى أمريكا للتعلم هناك؛ فالبنت ليست كالولد؛ حيث يحق لأخوتها السفر للتعلم هناك، بينما هي لا؛ كونها بنتاً. استهجنت الجدة – أيضاً– أن تدرس هند المحاماة، وعلقت على ذلك بقولها: "من القفّة على أذنيها!! نسوان من

[57] نوال السعداوي، المرأة والجنس، ط2، ص53. متوفر Pdf

بيت أمان محاميات!"؛[58] فالعلم عندها مقتصر على الرجل؛ لأن عادات وتقاليد تلك المجتمعات الذكورية المتمثلة في حرمان المرأة من حقها في التعليم جرت هكذا.

عندما طلبها من والدها شاب قريب يعمل في الكويت، أبدى الوالد القبول على هذا الزواج أمام عمال المصنع، دون أن يفكر للحظة أن عليه أخذ رأيها في الموضوع الذي يتعلق بمستقبلها. وعندما ثارت عليه زوجته، وبينت له أن البنت صغيرة وتريد أن تتعلم، أجابها بأنه أعطى كلمة للرجل، وأنه لا يريد أن يتراجع عن كلامه حتى لا تهتز رجولته أمامه وأمام العمال؛ فإثبات رجولته وكلمته التي لا يريد أن يتراجع عنها أهم من مستقبل ابنته.

يتضح اضطهاد هند حتى في أبسط أمور حياتها؛ إذ لم يسمح لها بالذهاب مع صديقتها سلمى إلى عرس صديقتهما زينب إلا بعد استعمال جميع كلمات الاسترحام والاستعطاف من قبل الزوجة لإقناع زوجها، وبعد أن أبدى أخوها الصغير رغبته بمرافقتهما إلى مكان العرس؛ فخروج البنت وحدها دون أحد من أفراد العائلة أمر غير مسموح به؛ فإن رافقها أحد من أخوتها الذكور – حتى لو كان صغيراً – يسمح لها؛ فهم بذلك يعطون الأخ حق القيادة على أخته الأكبر منه وهو صغير، وهذا الحق يكبر معه حتى يشعر بأنه أصبح ولياً عليها؛ فيتدخل في أبسط حقوقها، بينما هي لا يحق لها التدخل في خصوصياته. والأهل – في ذلك– كأنهم يبدون عدم ثقتهم بابنتهم؛ ما ينزع ثقة البنت بنفسها، ويغرس داخلها الشعور بالخوف من العالم حولها؛ فتشعر وكأنها تعيش في غابة.

[58] ليلى الأطرش، وتشرق غربا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988، ص69.

تقول خالدة سعيد: "لو سألنا عن هوية امرأة ما، لقلنا هذه زوجة فلان أو بنت فلان أو أم فلان أو أخته.....هي أنثى الرجل، هي الأم، هي الزوجة. وهي باختصار تعرف بالنسبة إلى الرجل، إذ ليس لها وجود مستقل. إنها الكائن بغيره لا بذاته. ولأنها كائن بغيره فلا يمكنها، في إطار الأوضاع التقليدية، أن تعيش بذاتها. لا هي تشعر بالاكتمال بذاتها، ولا المجتمع يقبلها ككائن بذاته. إنها المثال النموذجي للاغتراب"،[59] ومن الصعب في ظل هذه العلاقة أن تجد حريتها الحقيقية.

وفي موقف مشابه لذلك، يصر أخو هند (حسام) أن يوصلها إلى المدرسة؛ كي يحميها من عيون طلاب مدرسة البنين، بينما هو ينتظر الوقت الذي سيتخرج فيه ويسافر عند أخيه في أمريكا؛ كي يحب البنات بالجملة.

هذا هو المجتمع الذكوري، الذي يسمح للرجل أن يحب ويعشق، ويتفاخر بحبه جهراً؛ لأن ذلك يثبت ذكوريته، بينما يسلب من المرأة الحق في الحب، ويصبح من العار أن تصرح بذلك الحب، وكأنها من جماد لا تملك مشاعر وأحاسيس.

حرمت هند أن تتزوج من الرجل الذي أحبته (الدكتور مروان نصار)؛ لأن تقاليد بيت أمان لا تسمح لفتياته بالزواج من الغرباء من خارج عشيرتهم وغير دينهم، بينما سُمح لأخيها عماد أن يتزوج من فتاة أمريكية، ولم يصدر أي تعليق تجاهه، حتى عندما أخبرت أخاها بحبها لمروان في رسالة أرسلتها له، رد عليها بأن هذا الزواج محكوم عليه بالفشل؛ لأنه ضد تقاليد المجتمع الذي يعيشونه؛ فعماد، الذي كان زواجه مخالفاً لتقاليد مجتمعه، ولم يلق بالاً لهذه

[59] خالدة سعيد، المرأة، التحرر، الإبداع، نشرالفنك، الدار البيضاء، 1991، ص70.

التقاليد، يُرى يتكلم عنها حين تعلق الأمر بأخته، وعندئذ أصبح حريصاً على شعور والده "أما أنت يا عماد؟ كيف تغيرت؟ ولماذا أبحت لنفسك كل شيء ثم تكتب عن شعور الوالد وتقاليد البلدة.... تقاليد استبحت كل ما فيها ثم تحرمها على الآخرين، وتحميك تلك التقاليد بكل ما تملك لأنك الرجل!!".[60]

هذه النظرة السلبية للمجتمع تجاه المرأة التي تحرمها من أبسط حقوقها هي نتيجة لسلطة الأب وهيمنته داخل نظام العائلة؛ فظلم هند واضطهادها ليس غريباً في مجتمع بطريركي ذكوري، تُهمش فيه المرأة، وينظر إليها بدونية، وتحاسب فيه على أمور لم تفعلها، لمجرد تخيل أفراده لأفكار تسير في خاطرهم، وتخوفهم من تقولات الناس وكلامهم.

شخصية هزار، في رواية (رائحة الزمن العاري، 2011م) لهيام قبلان،[61] تمثل صورة المرأة السلبية المظلومة المضطهدة، التي ترضخ لعادات وتقاليد العائلة، وتحرم من الرجل الذي أحبته. قصتها تقترب كثيراً من قصة هند النجار.

هزار فتاة مثقفة، حريصة على مطالعة الكتب واستعارتها من المكتبة، تتحلى بالحس الوطني، أحبت نبيلاً الشاب المناضل الشريف المدافع عن وطنه، ولكن والدها وعمها وقفا لها بالمرصاد، وأجبراها على الزواج من ابن عمها كريم حسب أعراف العائلة وتقاليدها؛ ما جعل نبيلاً يترك القرية ويسافر خارج البلاد. كان كريم متعاوناً مع السلطة، مخلصاً لليهود،

---

[60] ليلى الأطرش، وتشرق غربا، مصدر سابق، ص155.

[61] الأديبة هيام قبلان من مواليد قرية عسفيا في جبل الكرمل عام 1956م، من أب سوري وأم لبنانية. لها العديد من المؤلفات الشعرية، منها: آمال على الدروب (1975)، وأخرى نثرية، منها: طفل خارج من معطفه– قصص قصيرة (1998). كانت رواية "رائحة الزمن العاري" أول رواية تصدر لها. تقع هذه الرواية في 228 صفحة من الحجم المتوسط، الطبعة الأولى منها في دار التلاقي للكتاب في القاهرة عام 2010، والطبعة الثانية في مدينة نابلس عام 2012. دارت أحداث الرواية حول موضوع المرأة الأرملة في مجتمع ذكوري.

كأبيها وعمها، ومن بعدهم أخوها نزار، الذي أصبح، بعدما كَبُر، من المخبرين المتعاونين مع السلطة.

عانت هزار من الاضطهاد في بيتها منذ أن كانت صغيرة؛ فقد عوملت، هي وأختها "دلال"، على أساس التفرقة الجنسية بينهما وبين أخيهما نزار منذ لحظة ولادتهم؛ إذ حظي نزار بالدلال والاهتمام، واسْتُقبل بالذبائح والتهاليل وطلقات الرصاص التي تنم عن السعادة والفرح بقدوم ذكر العائلة الذي سيحمل اسمها، ثم تربى بعد ذلك على النزعة الذكورية المتسلطة التي لا ترحم أنثى، بينما كانت العائلة تتعامل مع الأختيْن بالقسوة وشد الضفائر، وليس غريباً ذلك في عائلتها التي تتعامل مع أمها "كالنعجة"، كما كان يناديها زوجها، الذي وصفته الكاتبة بـ"الجزّار". "فهي لا تذكر أن أمها لامست شعرها الطويل، بل كانت تعقص لها ولأختها "دلال" الضفائر، ولا تَذْكُر أنها وقفت أمامها ونظرت في عينيها، وأحست ما بداخلها من صدق وحب وحاجة، ولا تذكر أنها مرّت بأناملها فوق جسدها الغض وهي تستحم..... أما والدها، فكان يتعامل بمفهوم عقليته الذكورية المتداعية، وبكبريائه الرجولي، وكان يحرّم على نفسه احتضان بناته"!**[62]**

حرمت هزار من أبسط حقوقها؛ فلم يكن لها الحق في اختيار شريك حياتها الذي ستعيش معه؛ إذ كانت عائلتها لها بالمرصاد، وهذا من أسوأ أنواع الاضطهاد التي تعاني منه المرأة، ولم يقف الاضطهاد هنا، بل اختاروا لها شريك حياتها، دون أن يكون لها أي كلمة في الموضوع الذي يتعلق بها، وبالرغم من وطنيتها وحبها في الدفاع عن وطنها؛ فقد اختاروا لها

[62] هيام قبلان، رائحة الزمن العاري، ط1، دار التلاقي للكتاب، القاهرة، 2011، الفصل العاشر متوفر على الموقع http://www.alnoor.se/article.asp?id=169917 تاريخ الزيارة 2017/3/2.

رجلاً عميلاً متعاوناً مع السلطة، لذا، اضطرت بالقوة إلى الزواج به، وأنجبت منه طفلة (سمر). عاشت معه خمس سنوات وهي تعاني من الاضطهاد؛ إذ كان يمارس حقه في جسدها دون الاهتمام بعواطفها وبرودة جسدها.

لم تتخلص هزار من الاضطهاد والظلم، حتى عندما توفي زوجها، وأصبحت أرملة، بل أضحت كالفريسة؛ إذ أخذ الرجال يتزاحمون عليها، ويشتهونها بعد أن أصبحت أرملة ضعيفة تعيش دون زوج يحميها؛ إذ اعتدى عليها البستاني الذي أتى للاعتناء بحديقة بيتها حين كانت في الحمام، وحين التقت بالشاب أدهم، صاحب اللوحات في المعرض، وقعت في حبه، وبادلها الشعور ذاته، ولكن عندما أخذ منها ما يريد، تركها وخطب امرأة أخرى. كما زاد تدخل أخيها بها وبابنتها، بعد وفاة زوجها، فيُرى يراقب تحركاتهما، وكان قامعاً لموهبة أخته الفنية؛ إذ كانت هزار مولعة برسم اللوحات الفنية الجميلة، لم يعترف بموهبتها وحقها في نشر لوحاتها. عانت هزار– أيضاً– من ظلم المجتمع؛ فقد كانت نساء الحارة يرقبن تحركاتها؛ كونها أرملة، وكانت هزار تخشى من ألسنتهن.

بعد مرور عدة سنوات، عاد نبيل من غربته؛ ليحافظ على كرامة الوطن من الضياع، ويؤسس مؤسسة ترعى الفنانين والمواهب الشابة؛ فيلتقي بهزار، وتعود العلاقة بينهما، ويشجعها على رسم لوحاتها. وحين علم أخوها بعلاقتهما، زاد تدخله بها، وحذّرها من الالتقاء بنبيل مرة أخرى، ثم تمكن من حبسه بتهمة توزيع المنشورات بين طلاب الجامعة، للقيام بمظاهرة ضد التجنيد الإجباري، وضد التمييز، إلا أن نبيلاً خرج لعدم وجود أدلة على ذلك.

ولكن القدر باعد بين المحبين؛ فقد استشهد نبيل بين يديّ هزار برصاص قوات الشرطة أثناء قيامه بمظاهرة في الناصرة.

لم تستطع هزار التخلص من الاضطهاد الذكوري الذي عانت منه وهي صغيرة، وما زالت تعاني منه حتى وهي كبيرة ولديها ابنة؛ فبعد وفاة زوجها، لم يتوقف أخوها عن التدخل بحياتها وحياة ابنتها، ولم يقنع بنبيل زوجاً لها، بالرغم من اقتناعهما ببعضهما البعض، وكبر سنهما، ورجاحة عقلهما، وقدرتهما على التمييز بين الصواب والخطأ.

عانت المرأة الفلسطينية (هند وهزار) معاناة مزدوجة. الأولى من نظرة المجتمع السلبية لها؛ بسبب تسلط المجتمع الذكوري وطغيانه واضطهاده لها، والثانية بسبب وجود الاحتلال الذي شكل لها معاناة كبيرة، وأشعرها بالاغتراب عن وطنها.

- المرأة السلبية اللعوب

عاشت المرأة الفلسطينية شتى أنواع القهر والظلم النفسي والاجتماعي والاقتصادي في ظل الاحتلال. ومع ذلك، تحملت وصبرت وحافظت على شرفها وكرامتها، مبعدة نفسها عن الوقوع في الحرام. وهذا ما صورته الكثير من الروايات الفلسطينية، ولكن ذلك لا يعني خلو بعض الروايات من ظهور صورة المرأة المنحرفة التي تمارس العلاقات المحرمة؛ لإشباع رغباتها الجنسية، أو لاستخدام ذلك وسيلة للوصول إلى غاية معينة.

تمثل مريم الصفار، في رواية (البحث عن وليد مسعود، 1978م) لجبرا إبراهيم جبرا، أنموذج المرأة السلبية اللعوب التي تقيم علاقات غير شرعية. مريم الصفار امرأة جميلة، بيضاء اللون، في الثلاثينيات من عمرها، أستاذة جامعية، تحمل درجة الماجستير، متزوجة

من رجل يدعى هشام الصفار، كانت علاقتها به مضطربة، فأقدمت على خيانته مع رجال كثيرين، من بينهم وليد مسعود الذي أحبته بولع.

إقامة مريم للعلاقات المحرمة مع الرجال، كانت بغية إشباع شهوتها، معتمدة على جمالها الجسدي الفاتن؛ فعلاقتها مع زوجها متوترة، تتخللها الخيانة؛ بسبب الخلل الكامن في شخصيتيهما، وفي علاقة بعضهما ببعض؛ إذ تعاني مريم من اضطرابات نفسية وصداع شديد. وبالرغم من زواجها من رجل صاحب مركز، وامتلاكها بيوتاً وسيارات، وكثرة سفرها، إلا أنها كانت غير سعيدة معه، غير مقتنعة به كزوج لها، تشعر بالوحدة معه؛ فقد كان أكثر ما يشغل باله تمسكه بالكرسي الذي يجلس عليه في عمله، بينما مريم تلتهب عاطفتها وشهوتها في بيت رجل لا يهتم إلا بنفسه، فوجدت طريقها من خلال ممارسة الرذيلة والعلاقات غير الشرعية، وانتهت علاقتهما بالطلاق "كان رجلا صنعته الوظيفة: شديد الانضباط... شديد التفاهة. لا أحسبه كان يجد أهدافاً في حياته أعظم وأبهى من الكرسي الجلدي الأسود وراء منضدة خشبية.... ومريم كقطعة من جمر، تتأجج في البيت عاطفة، وخيالاً، وتحرقاً للحياة، يقابلها رجل لا يتمتع إلا بتهرؤ مؤخرته على مقعد سلطة موهومة....وحالما يخرج الزوج... تلجأ مريم إلى التلفون. لا تتصل بصويحباتها فقط، بل بعشاقها".[63]

نادية –أيضاً– زوجة (محمود) الرجل الكادح، في رواية (الذين يبحثون عن الشمس، 1979م) لعبدالله تايه، تقيم، في الخفاء، علاقة جنسية مع المحامي (سمير)، معتمدة على

[63] جبرا إبراهيم جبرا، البحث عن وليد مسعود، ط1، دار الآداب، بيروت، 1978، ص147.

جسدها الفاتن الذي تستخدمه للوصول إلى المال الذي تحلم به، دون مراعاة لكرامتها، أو كرامة زوجها. كما تتقرب من (حمدي عبد العال)، الرجل الثري الذي ورث المال من أبيه، وهو يجد في جسدها فريسة يحاول اصطيادها. ويحاول زوج نادية العمل في إحدى شركات حمدي، فيحاول الأخير تعيينه للتقرب من زوجته نادية، وبالرغم من علمها بأن الرجلين (حمدي ومحاميه سمير) يريدان أن يوظفا زوجها طمعا في جسدها، إلا أنها لم تلق بالاً لذلك، بل ترى في ذلك لذة لإشباع رغبتها الجسدية.[64]

"يكفيني أن يكون حمدي غنياً.. سأصطاده.. سأكذب عليه.. وسيغدق عليّ الأموال فهو مغرور... هكذا أقرأ في عينيه وهو يتأمل صدري البارز الذي تعمدت أن يكون كما رآه... أما سمير فهو شخصية ثانية.. أنيق وجذاب.. بل هو مثير..... أسلمته جسدي..... إن الجسد الذي أمتلكه سيحول قدري ومصيري.. ومحمود زوجي.. ذلك القذر الذي يترك فراشي كثيراً باحثاً عن أعمال أخرى سأتركه يتمتع بالفقر والشقاء كما يريد".[65]

شخصية نادية تمثل أنموذج المرأة اللعوب التي تبيع جسدها؛ لإشباع رغباتها، والحصول على المال؛ وتنتقل من رجل إلى آخر، دون أن تبالي بكرامتها، وكرامة زوجها الذي تنقم عليه؛ لأنه ينشغل عنها بأمور أخرى، فكأنها تبرر لنفسها ممارسة الرذيلة والخيانة بانشغال زوجها عنها.

قدمت الرواية الفلسطينية نماذج للمرأة السلبية المنحرفة التي كرست اهتمامها بإقامة علاقات غير شرعية؛ لتحقيق غاياتها دون أن تبالي بالأعراف والأخلاق والدين. وبالرغم من وجود

---

[64] زكي العيلة، المرأة في الرواية الفلسطينية، مرجع سابق، ص123.

[65] عبد الله تايه، الذين يبحثون عن الشمس، وكالة أبو عرفة، القدس، 1979، ص22،23.

هذه النماذج الساقطة، إلا أن معظم الروايات التي تمت دراستها في هذه الدراسة والاطّلاع عليها[66] قدمت صوراً للمرأة القوية الصامدة التي تقوى على صعوبات الحياة، وهي محافظة على نفسها وكرامتها.

هذه كانت نماذج من صور المرأة في الرواية الفلسطينية؛ إذ قدمت الروايات الفلسطينية – كما ظهر في هذا الفصل – صوراً متنوعة للمرأة، جاءت تحت بندين رئيسين، هما: الصورة الإيجابية للمرأة، والصورة السلبية للمرأة. تفرع من الصورة الإيجابية صور أخرى، هي: المرأة المتمردة، المناضلة الأم، المناضلة المتعلمة. أما الصورة السلبية، فتفرع منها صور: التقليدية، المضطهَدة، اللعوب. وكانت تلك الصور واقعية تعكس واقع المجتمع العربي الفلسطيني، بعيداً عن الخيال أو المبالغة، ظهرت فيها، بوضوح، الثقافة المجتمعية الذكورية، إضافة إلى وجود الاحتلال الذي أثر على حياة الفلسطينيين، بمن فيهم المرأة.

الفصل الثاني

[66] سحر خليفة، الميراث، ط1، دار الآداب، بيروت، 1997.
أحمد عمر شاهين، وإن طال السفر، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1977.
رشاد أبو شاور، البكاء على صدر الحبيب، دار العودة، بيروت، 1975.
سحر خليفة، مذكرات امرأة غير واقعية، دار الآداب، بيروت، 1986.

صورة المرأة في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة"

قبل البدء بتناول صورة المرأة لدى محمود شقير في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة"، لا بد من تقديم عرض موجز لأحداث الروايتين؛ لمعرفة القضايا الأساسية التي تدور حولها الأحداث، ومعرفة زمان الرواية، ومكانها الذي تجري فيه هذه الأحداث، ولتكون مقدمة بسيطة للتعريف بالشخصيات الرئيسة في الروايتين؛ حتى يستطيع القارىء التحرك في بيئة حميمة، حين يوضع في وسط الظروف المحيطة بالشخصيات، وخصوصاً المرأة.

- ملخص لأحداث الروايتين

رواية "**فرس العائلة**" هي الرواية الأولى لمحمود شقير. تنهض هذه الرواية على أسلوب السرد الروائي من قبل الراوي نفسه، ويتخلل هذا السرد أسلوب الحوار أحياناً. تتألف الرواية من 315 صفحة من القطع المتوسط، صادرة عن دار نوفل في بيروت عام 2013م. يُقسِّم الكاتب هذه الرواية إلى أرقام وصلت إلى اثني عشر رقماً، ولم يقسمها إلى عناوين.

يمتد زمن هذه الرواية منذ أواخر الحكم العثماني لفلسطين إلى أواخر الانتداب البريطاني لها؛ أي فترة بعد الحرب العالمية الثانية. تدور أحداثها حول قصة عشيرة "العبداللات" التي تعيش في البراري، وتعتمد في حياتها على الزراعة وتربية المواشي. تعاني العشيرة من سنوات القحط التي أثرت في محاصيلها ومنتوجاتها، فتقرر الرحيل إلى أطراف مدينة القدس، وتسكن في قرية رأس النبع. تُظهر الرواية الصراع والتحول الذي طرأ على أفراد العشيرة من خلال هجرهم بيوت الشعر وسكنهم في بيوت حجرية حديثة، وتركهم الدراسة عند الشيخ إلى الدراسة في مدارس حديثة، وبداية تحضرهم وانتقالهم من حياة التنقل والترحال والعمل في الزراعة وتربية المواشي إلى حياة الاستقرار والعمل في المدينة، واحتكاكهم ببيئة المدينة التي تختلف عن بيئتهم؛ ما أدى إلى حدوث تغيرات كثيرة في حياتهم.

بعد وفاة مختار العشيرة (الشيخ محمد) تنتقل الزعامة إلى ابنه منان ليصبح مختاراً لهذه العشيرة، ويتزوج عدة زوجات كوالده، وكما هو شائع في القبيلة، فزوجاته الست هن: فاطمة ومثيلة ووطفاء وسميحة وصفية ووضحاء، لكن فاطمة ووطفاء توفيتا. أنجب منان ثمانية عشر ولداً وتسع بنات، وكان لديه ثلاثة أولاد يحملون الاسم نفسه، هو اسم جدهم محمد، ولكن تمييزا لهم، سمى الأول: محمد الكبير، والثاني: محمد الصغير، والثالث: محمد

الأصغر. تجري أحداث الرواية حول زوجاته وأولادهن، وأعمامه عثمان الذي كان مولعاً ببيع الأجهزة الحديثة التي يجلبها معه من المدينة، وعمه عبد الودود المعروف في القبيلة بالطاعة لزوجته نجمة وتلقي الأوامر منها. تتحدث الرواية عن جرأة نجمة وخروجها عن الأعراف التي اعتادت عليها نساء العائلة، ومن بينها: إصرارها على تعليم ابنتها نوال وإرسالها إلى الشيخ الخطيب عبد القادر لتعليمها.

تطرح الرواية ظواهر شائعة في القبيلة؛ كظاهرة تعدد الزوجات، وولع الرجال بإنجاب الذكور والإكثار منهم، وإيمان النساء بالخرافات والأرواح الشريرة، وتحمُّس الرجال لسماع القصص والأخبار والحكايات الشعبية. تتحدث الرواية عن فرس العائلة الغائبة الحاضرة التي تظهر بصهيلها في بعض الليالي؛ لتذّكر بالوفاء والحنين والإخلاص إلى فارسها الراحل الذي قتل غدراً (الشيخ عبدالله جد منان). تتحدث الرواية – أيضاً– عن الهجمات التي كان يشنها الإنجليز ومحاولتهم التدخل في شؤون العشيرة، وتسهيلهم للهجرة اليهودية إلى فلسطين، والتحاق عدد من أبناء العشيرة في المقاومة ضد الغزاة الجدد، وزيارة بعض القادة الأبطال للعشيرة؛ كعبد القادر الحسيني وفؤاد نصار. تنتهي أحداث الرواية بموت الراوية الجدة صبحاء (والدة منان)، لتسلم راية رواية الأخبار والقصص إلى زوجة ابنها وضحاء.

أما رواية "**مديح لنساء العائلة**" فهي امتداد لرواية "فرس العائلة" والجزء المتمم لها. تتألف الرواية من 208 صفحات من القطع المتوسط، صدرت لأول مرة عن دار هاشيت أنطوان في بيروت عام 2015م، وقُسمت إلى أرقام وصلت إلى ثمانية. ترشحت الرواية لجائزة البوكر العربية لعام 2016 ودخلت في القائمة النهائية القصيرة. تتحدث الرواية عن التغير

الذي أصاب العشيرة بحكم تغير الزمان والمكان؛ فاقتراب أفراد العشيرة من المدينة وعيشهم في بيوت إسمنتية في القرية أحدث تغيرات كثيرة وخصوصاً على النساء؛ كخروجهن إلى الحمامات العامة، وانضمامهن للتعليم، وانخراطهن في العمل الذي تختلف طبيعته عما كانت عليه النساء في المضارب، وخلعهن اللباس الريفي، وارتدائهن الثوب المدني، كما أحدث تغيرات نوعية كزواج محمد الأكبر من زوجة تختلف عنه في الديانة (مريم المسيحية)، وكذلك زواج عطوان بن منان من جيزيل البرازيلية.

يعتمد شقير في هذه الرواية على "تعدد الرواة وتنويع الأصوات في عمله، فينتقل من راو لآخر في الفصل الواحد. ينوع بين الرجال والنساء في السرد، يتكىء على الأحلام تارة، والرسائل تارة أخرى في مسعى لاستكمال الفصول وتلوين إيقاع السرد".[67]

"يتقصى شقير سيرة منان عبداللات ونسائه وأولاده ونسائهم، وعلاقاتهم المتشعبة وتنقلاتهم بين المشرق والمغرب، وكيف أن أسرة منان تعد أنموذجاً للأسر الفلسطينية التي وقعت فريسة التشظي والتشرد بشتى أنواعه؛ فهناك من تشرد داخل البلد، وهناك من حاول البحث عن ذاته في الخارج".[68]

الراوي الرئيسي للرواية (محمد الأصغر) يعمل في محكمة شرعية بالقدس في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وبحكم عمله الذي يفرض عليه التعامل مع سكان المدينة والاطلاع على مشاكلهم العائلية التي تتسبب في حدوث الطلاق بين الزوجين، بالإضافة إلى

---

[67] هيثم حسين، "مديح لنساء العائلة" توثق تفاصيل من حياة المقدسيين، شبكة الجزيرة الإعلامية، متوفر على الموقع الالكتروني http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2016/1/8/ تاريخ الزيارة 2017/3/5

[68] المرجع السابق.

رؤيته بأن المرأة في عائلته مظلومة، قرر أن يكتب قصة تتحدث عن ظلم المرأة واضطهادها؛ فهو غاضب من هذا الوضع الذي ما زالت المرأة تعاني منه.

محمد الأصغر متزوج من سناء، يعيش معها في انسجام تام، يرفض فكرة تعدد الزوجات بالرغم من أن سناء عاقر.

تدور أحداث الرواية فترة ما بعد نكبة 1948 بين الخمسينيات والثمانينيات، ولكنها تعود إلى الوراء أحيانا لتذكر بأحداث جرت منذ زمن الاحتلال البريطاني، وثورة 1936، مروراً بالنكبة، إلى هزيمة 1967، وتنتهي أحداث الرواية بموت المختار منان بعد وصيته وهو على فراش الموت بأن يُدفن بجانب قبر أمه.

– صورة المرأة في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة"

رسم محمود شقير في رواية "فرس العائلة" صوراً لعدة شخصيات نسائية، لكل واحدة منهنّ ملامحها التي تميّزها عن غيرها، ولكنهن في العموم نساء أكثرهنّ تابعات للرجال غير قادرات على التصرف بمفردهنّ، يؤمنَّ بالسحر والشعوذة والخرافات، ويعشقن الثرثرة والقيل والقال، ويتلذذن في استغابة الناس وخصوصاً النساء، وفي الوقت ذاته نسوة يمارسن عملهن الذي تفرضه عليهن حياة البداوة؛ إذ كنّ يحلبن النعاج، ويخرجن لإحضار الماء، أو يرعين الأغنام. هنّ في المعظم نسوة مؤمنات وخاضعات للتقاليد التي فرضت عليهن من قبل المجتمع البدوي الذكوري، فيستسلمن مثلا لفكرة تعدد الزوجات، أو لفكرة عدم إعطاء المرأة الحق في المشورة أو إبداء رأيها في قضية ما، ولكن هذا الوضع تغير، خصوصاً مع رواية

"مديح لنساء العائلة" التي أصبحت فيها المرأة قادرة على التمتع بحريتها بقدر أكبر؛ فقرب العائلة من المدينة أحدث تغييراً على الحياة الاجتماعية والاقتصادية؛ إذ نالت المرأة قسطاً من التعليم، وخرجت إلى العمل، وباتت ترفض الكثير من الأفكار والعادات التي كانت سائدة في العائلة، ولم يقتصر الأمر على الرفض فحسب، بل خرجت عن هذه التقاليد إلى حد ما.

تتسم حياة المدينة بانفتاح أكبر على العالم الداخلي والخارجي؛ فمدينة القدس – كونها مدينة دينية مقدسة، وفيها خط سكة حديد يربط بينها وبن يافا–، يأتي إليها السياح من مختلف العالم؛ ما أدى إلى تنوع الثقافات، وتنشيط سوقها الاقتصادي، وازدهارها تعليمياً وثقافياً؛ إذ حظيت بانتشار المدارس والجمعيات النسائية والأندية الأدبية ودور الصحافة والمجلات والمكتبات والمسارح.

لهذا النمط من الحياة المدينية الأثر الكبير على نساء عائلة العبداللات اللواتي يقطنَّ بالقرب منها؛ فأصبحت المرأة متأثرة بنساء المدينة، في لبسهن وتعليمهن وعملهن، كما كان للسينما والمسارح والمكتبات الدور الكبير في تفتح وعيهن وثقافتهن.

ظهرت صورة المرأة في الروايتين من خلال صور بارزة؛ إذ جاءت متنوعة واقعية، تعكس الواقع البدوي الفلسطيني والتغيرات التي طرأت عليه مع مرور الزمان وتغير المكان. جاءت هذه الصور مقسمة بطريقة تختلف عما جاءت في الفصل الأول، وقد استُحضِرَت صورة المرأة في الرواية الفلسطينية، ولكن تم التقيد في التقسيم بإملاءات صورة المرأة في روايتي محمود شقير. وكانت هذه الصور متداخلة، لكن بُوِّبَت في عناوين منفصلة سعياً للتصنيف، وبرزت هذه العناوين من خلال الصور الآتية:

– المرأة المحافظة على العادات والتقاليد

تتسم المرأة المحافظة على العادات والتقاليد بحرصها على كل ما هو قديم، وعلى كل ما اعتادت عليه، كما تتسم بالحنين والوفاء للمكان والأشخاص الذين اعتادت عليهم. وهذه الصورة تمثلها شخصية **صبحاء** (أم منان) في رواية "فرس العائلة"، التي اتسمت بمحافظتها على عادات وتقاليد العشيرة التي تربت عليها، ورفضها لكل ما هو جديد، وبإخلاصها ووفائها لزوجها وللمكان الذي تنتمي إليه.

صبحاء هي الزوجة الأولى لشيخ العشيرة، ووالدة منّان الذي أصبح شيخاً للعشيرة بعد وفاة والده. رفضت صبحاء مغادرة البرية بعد وفاة زوجها؛ إذ ولدت وعاشت فيها طيلة حياتها، "وكيف يُمكنها هجر المكان الذي يحتضن قبر زوجها والعيش في مكان آخر بعد هذا العمر؟[69]"؛ فالبرية بالنسبة لصبحاء ليست مجرد مكان فحسب، بل هي علاقة عميقة تتمثل في الحب والانسجام والالتحام. وبعد محاولات منان العديدة لإقناعها بالمغادرة، استطاع أن ينجح في ذلك؛ فالانتقال إلى أرضهم التي تقع عند مشارف القدس أصبح ضرورياً؛ حتى لا يستولي عليها المهاجرون اليهود، مع اهتمامه بطمأنة أمه بأن أرضهم التي في البرية لن يتم التخلي عنها، وسيتم زراعتها في سنوات الخصب. وبعد انتقال العائلة إلى مشارف القدس لم تستطع صبحاء نسيان البرية، وظلت تهذي بحبها لها دائماً؛ إذ كانت متعصبة لها وللحياة فيها، ولم تستطع التأقلم مع الحياة الجديدة، وظلت تشعر بالاغتراب المكاني وهي تعيش

[69] محمود شقير، فرس العائلة، دار نوفل، بيروت، 2013، ص10.

خارج حياة البرية، فيغلب عليها الحنين إليها بكل ما فيها من أصالة وعزة وشجاعة؛ إذ غدا المكان "البرية" بالنسبة لها حلماً تشتهي العودة إليه. وفي ذلك تذكر عائشة الدرمكي أنه: "كلما استمر فقدان المكان طويلاً كلما تحوّل (المكان) إلى (حلم، أسطورة، مشتهى، مبتغى)، وهذه العلاقة المستمرة يمكن التعبير عنها بالخطاطة الآتية:[70]"

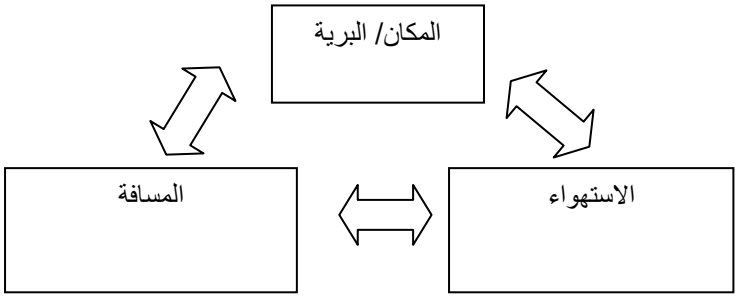

هذا الشكل في علاقة الذات بالمكان الجديد يمثل العجز الذي هو الشعور الثابت النافي لتحقق ألفة مع قرية راس النبع؛ فلا ألفة جديدة في مقابل ألفة سابقة؛ فمكانها الأصلي البرية، وبالتالي عنصر المسافة/البعد يحقق وظيفة تواصلية؛ فالغربة/ البعد/ راس النبع تجدد شعور الاشتياق للمكان السابق (البرية)[71].

يُمكن النظر إلى شخصية صبحاء بأنها نموذج للمرأة المحافظة المتمسكة بالعيش في مسقط رأسها، الرافضة لتبديل عاداتها وتقاليدها؛ فهي تعيب على النساء تخليهنّ عن الزي التقليديّ ولبس الملابس غير الساترة ووضع المكياج الصاخب؛ فلم تعتد المرأة الريفية، والبدوية بالضرورة، على الخروج وهي تضع المكياج الصارخ على وجهها بحسب ما ذكر عابد الزريعي في كتابه؛ إذ أشار إلى "أن الدور الذي تؤديه إلى جانب زوجها في الحقل وفي

[70] عائشة الدرمكي، سيميائيات المكان في النص الأدبي، مجلة أيقونات، ع3، 2012، ص92،93، ملف pdf.

[71] علي خواجة، الذاكرة والإبداع "قراءة في روائي فلسطيني معاصر"، ط1، مجمع القاسمي للغة العربية، 2014، ص115.

البيت، يؤثر سلباً على التعاطي مع الزينة، وبالتالي تكاد الأمور أن تقتصر على الحناء في المناسبات وزجاجة الريحة الصغيرة وبعض الأساور الفضية والذهبية وربما أصبع أحمر الشفاه يحضره الزوج الذي يسوّق المحصول في المدينة؛ حيث تقوم المرأة بدهن شفتيها قبيل اللحظة التي تندس فيها في الفراش إلى جانبه. أما البنت غير المتزوجة فلا علاقة لها بهذه الأمور الخاصة "بالنسوان" ما عدا بعض الزينة التقليدية كالحلق مثلاً[72]". كانت صبحاء تعيب على النساء –أيضاً– الخروج إلى الحمامات العامة، وتقبّل العادات الجديدة؛ فعندما خلعت زوجة ابنها (نجمة) الثوب الطويل وارتدت الثوب المدني، اعتبرت ذلك خلاعة وفجوراً. وكادت تلطم وجهها عندما سمعت أن حفيدتها نوال تمشي في السوق بملابس غير ساترة، وأخذت صبحاء تضرب كفاً بكف وتقول: "الدنيا آخر وقت، ولازم القيامة تقوم[73]". إن حرص صبحاء على تقاليد المجتمع الذي عاشت فيه جعلها ترفض فكرة التغير الاجتماعي الذي يحصل في المدينة؛ بحكم اختلاف البيئة، واختلاف العادات والتقاليد، إضافة إلى تغير الزمان.

صبحاء امرأة قوية متوهجة الذاكرة برواية الأخبار، وتتناقل رواياتها الأجيال من شخص إلى آخر، تحب سرد الأخبار والحكايات القديمة كحكاية الغول ذي الرؤوس السبعة، وحكاية نص انصيص. وعندما تضجر الكلام تغني بصوت منخفض أغنية من الزمن القديم؛ فحكاياتها وأغانيها تدل على مدى حفاظها على الأشياء التقليدية الأصيلة، حتى غناؤها بصوت

[72] عابد الزريعي، المرأة في الأدب الشعبي الفلسطيني، ط3، دار الأسوار، عكا، 1989، ص120.

[73] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص280.

منخفض يشير إلى مدى حرصها على التقاليد، فمن غير الطبيعي من وجهة نظرها أن يُسمَع صوت المرأة وهي تغني.

صبحاء امرأة حريصة على صلاتها كذلك؛ فقد كانت تتوقف عن سرد الحكايات؛ كي لا تفوتها الصلاة، ثم تواصل السرد بعد الانتهاء من واجبها الديني. وفيما يتعلق بموضوع الوازع الديني لدى البدو؛ فقد اختلف بعض الباحثين حول المعتقدات الدينية لدى البدو؛ فزهير مشارقة رأى "أن البدو في عصرنا الحديث ليسوا أحسن حالاً من أسلافهم، من حيث الفقه في الدين، ومعرفة أوامره ونواهيه، ومناسكه وعبادته. فهم يجهلون ذلك كله، وكل ما لديهم من دين، هو أنهم يعتقدون بوحدانية الله، ونبوة رسوله، وأما باقي الفرائض فلا يقيمون لها وزناً.... ولا يصلون الأوقات الخمسة على الترتيب، بل يصلون كلما خطر لهم أن يصلوا[74]". ويوافق هذا الرأي الباحث (ألويس موزل التشيكي)؛ فهو من خلال دراسته لإحدى القبائل البدوية والاحتكاك بهم، "لم يشاهد بدوياً واحداً يقيم فروض الصلاة".[75] وفي مقابل ذلك رأى أحد الدارسين الرواد (بركهارت) "أن أكثر البدو يصومون رمضان بكل دقة ويتقيدون بأكثر الشرائع التي سنّها الإسلام".[76]

يبدو أن موضوع مدى عمق الوازع الديني لدى البدو أو ضعفه أمر مختلف فيه، وقد يعود هذا الضعف إلى غياب المؤسسات الدينية الرسمية عن البدو، ولكن الذي يهمنا هو حرص صبحاء على صلاتها بالرغم من اختلاف الآراء حول مدى تمسك البدو بمعتقداتهم الدينية.

---

[74] حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، مرجع سابق، ص196.

[75] المرجع السابق، ص197.

[76] المرجع نفسه، ص197.

ظهر، مع كل ذلك، تغيّر في شخصية صبحاء بعد وفاة زوجها، وقد برز دورها كقوة مؤثرة في أحداث الرواية، وأصبح لها كلمتها؛ إذ كان ابنها منّان يُشاورها في شؤون القبيلة ويسمع نصيحتها، تجلّت فيها صورة الأم المكافحة بكبريائها ، فلم يُربكها غياب زوجها، بل ظلّت قوية صامدة، متمسكة بالفرس حتى آخر لحظات حياتها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة؛ ما يؤكد حفاظها على الأصالة والعراقة، والوفاء إلى فارسها الذي قُتل غدراً، فآخر جملة نطقتها قبل أن تدخل في غيبوبة: "هاتوا لي فرس العيلة. بدي فر...س...العي... ".[77] وقبل أن تموت نظرت إلى وضحاء وقالت: "هالحين إجا دورك انتِ في الحكي"،[78] وكأنها تسلّم راية الرواية لوضحا لمواصلة مسيرتها في نقل الأخبار من جيل إلى جيل.

ظلت صبحاء محافظة على العادات والتقاليد التي تربت عليها في البرية؛ فلم تنحز عنها، وكانت مخلصة لكل شيء تقليدي قديم، كحياة البرية، و زوجها، وفرس العائلة، وسردها للقصص والأخبار والحكايات القديمة، بالإضافة إلى تمسكها باللباس التقليدي الذي اعتادت نساء البرية ارتداءه، وظلت متمسكة بحبها لزوجها ووفائها له وللمكان الذي عاشت فيه حتى وهي على فراش الموت؛ فقد أوصت أن تُدفَن في البرية بجانب زوجها.

تظهر صورة المرأة المحافظة – أيضاً– في شخصية **وضحاء** (زوجة منان الأخيرة) في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة"، التي لم يجد مثلها منان امرأة كما قالت صبحاء؛ فقد أسلمتها والدة زوجها دور رواية الأخبار والحكايات بعد وفاتها، فكانت تسرد القصص والحكايات لأبناء العائلة، وتتحدث عن ذكرياتها السعيدة مع زوجها منان في البرية،

[77] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص310.

[78] المصدر نفسه، ص310.

وعن تفاصيل عرسهما ووفائه لها من خلال عدم تفكيره بالزواج من امرأة أخرى بعدها. كانت تعيد سرد حكايات الجدة صبحاء؛ دلالة على مدى وفائها لذكرى الجدة، ولم تكن تتقيد بنصوص الحكايات، فتضيف عليها أو تحذف منها وفق ما تراه مناسباً، فتقول: "الحكاية أنثى مسالمة، والإضافة الصحيحة إليها لا تقلل من قيمتها".[79] فهي تؤدي دور الراوية ليست لأنها ترغب في ذلك فحسب، بل لأنها تواصل تقليداً أصّلته صبحاء بين أبناء العائلة.

تظهر الشخصية المحافظة في وضحاء من خلال الموقف الذي ردت فيه على نساء العشيرة عندما كنّ يستغبن نوال (ابنة نجمة وعبد الودود)، ويتهمنها بأنها على علاقة مع الخطيب عبد القادر الذي علمها القراءة والكتابة؛ إذ ادّعت إحداهما أنه كان يداعب جسدها، فقامت وضحاء بذكر اسم الله سبع مرات، وطلبت من النساء عفة اللسان وعدم رمي المحصنات؛ ما يدلل على مدى التزامها بأخلاقها. كما تظهر الصورة المحافظة لديها في رواية "فرس العائلة" من خلال خجلها وحيائها عندما ذهبت مع منان إلى المدينة؛ فقد شعرت بارتباك عندما دخلت معه إلى محل التصوير، وعندما نظر إليها المصور خجلت أكثر وكادت تغطي وجهها بطرف منديلها، كما رفضت أن تخلع منديلها عند التصوير عندما طلب منها زوجها ذلك مختبراً موقفها؛ فقد أجابته بكل ثقة ودون تردد: "ولا يمكن أشلحه".[80]

يمكن القول بأن شخصية وضحاء تنطبق على المجتمع الفلسطيني الذي يرى محمود شاهين بأنه "في عموميته لا يزال مسكوناً بالميثولوجيا الدينية، والفكر البدائي، والعادات والتقاليد القديمة،... أي أن كل الطفرات والتحولات النوعية لم تنتج ثقافة جديدة ومجتمعات حديثة

[79] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، الأهلية، عمّان، 2015، ص33.

[80] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص214.

بمعنى الكلمة،...حتى الأدوات المستخدمة بما فيها السيارة والغسالة لم تؤثر إيجاباً على تكوين العقل العربي".[81] وقد يُتفق مع هذا الرأي إلى حد ما؛ فبالرغم من التغيرات الحديثة التي طرأت على المجتمع، إلا أنه ما زال متأثراً بالمعتقدات القديمة التي قد تصل به إلى حد الازدواجية التي تدفعه إلى قول شيء وفعل شيء آخر؛ فقد يُرى أنه يصلي ويخاف الله، وفي الوقت ذاته لا تزال فكرة أخذ الثار والانتقام تسيطر عليه. وقد تسيطر عليه – أيضاً– فكرة الخوف من التغيير والتجديد، والخوف من المستقبل المنتظَر؛ ما يجعله أقل رغبة في التغيير وأكثر قبولاً للواقع، إضافة إلى سهولة انتقاده للآخرين، وعدم استيعابه لفكرة انتقاد نفسه، ولا تزال الأفكار البدائية –أيضاً– تسيطر عليه، كالعصبية القبلية، والانتخاب القائم على أساس العائلة أو الحزب وليس حسب الأكفأ، وهذا قد يُعزى إلى عدم تسلح هذا المجتمع بالثقافة الكافية التي تصقل شخصية الفرد بطريقة أكثر وعياً وإدراكاً للأمور من حوله، وتجعل عقله منفتحاً على مختلف الثقافات.

وبالرغم من اتسام وضحاء بطابع المحافظة وحرصها على التقاليد، إلا أنه يمكن القول بأن انتقالها من حياة البداوة إلى حياة القرية القريبة من المدينة قد أحدث بعض الاختلافات في شخصيتها التي يمكن وصفها بالازدواجية؛ فالفرق الكبير بين الحياتين جعلها تفعل شيئاً وتقول شيئاً آخر؛ ففي الوقت الذي نراها محافظة على تقاليدها ومعتقداتها، يُلاحظ خروجها إلى محل التصوير الذي لم تعتد عليه من قبل، فهذا الشيء قد يكون مخالفاً لتقاليدها التي اعتادت عليها، ولكنها في الواقع فعلته، وكذلك بالنسبة لعدم إيمانها بالأجهزة الحديثة كالتلفاز

[81] محمود شاهين، عناق الشكل والمضمون في مديح لنساء العائلة، مشارف مقدسية، اللجنة الوطنية للقدس، ع2، 2015، ص205.

والمذياع والغسالة؛ فهي ترفض استعمال الأجهزة الكهربائية، وفي الوقت نفسه تكره العتمة وتتذمر عندما تنقطع الكهرباء؛ فتأثيرات الحياة الجديدة عليها جعلتها ذات شخصية متذبذبة، غير قادرة على التكيف مع المجتمع الجديد الذي تعيش فيه، وهذا ما سيتم توضيحه تحت صورة المرأة المؤمنة بالخرافات التي ستتفرع من صورة المرأة المحافظة على العادات والتقاليد؛ لارتباط الصورتين ببعضهما ارتباطاً وثيقاً؛ فبالرغم من تصنيف شخصية وضحاء ضمن صورة المرأة المحافظة، إلا أنها ستصنف –أيضاً– ضمن صورة المرأة المؤمنة بالخرافات، والفصل بين الصورتين لا يعني وجود تناقض بينهما، ولكن وُضعت صورة المرأة المؤمنة بالخرافات في تصنيف آخر؛ لما لهذه الصورة من وجود كبير في الروايتين، لذا من الأجدر وضعها في عنوان آخر، وفي الوقت ذاته وُضعت هذه الصورة تحت صورة المرأة المحافظة على العادات والتقاليد بِعَدِّها صورة تابعة لها.

– المرأة المؤمنة بالخرافات

أظهر شقير العديد من أنموذجات المرأة في العائلة التي تؤمن بالخرافات، وتجعل الفتاحين والمشعوذين طريقها للخلاص من الحسد، وتعزو المشاكل التي تتعرض لها إلى الحسد والعين، فتلجأ إلى هذه الحلول غير المجدية. وظهر هذا الأنموذج بطريقة واضحة في صورة **وضحاء** زوجة المختار منّان في الروايتين.

ظهرت وضحاء سابقاً تحت صورة المرأة المحافظة على تقاليد المجتمع البدوي وعاداته، وهذا لا يناقض بأن تظهر أيضاً تحت صورة المرأة المؤمنة بالخرافات؛ فخضوعها للعادات

والتقاليد التي ورثتها عن آبائها وأجدادها جعلها تفكر بطريقة غير مجدية، دون استخدام العقل والمنطق؛ فالعادات التي تكون في زمن الأجداد قد تصبح غير مقبولة في زمن الأبناء لتغير الزمن والحياة وتقدمهما، لكن وضحاء ورثت هذه العادات وتبنتها؛ لأنها تربت على ذلك دون أن يكون لعقلها أي تأثير إيجابي في قبول الصواب أو غير الصواب، والدليل على ذلك إيمانها بالخرافات والسحر والحسد والشعوذة؛ فعندما مرض ابنها محمد بررت سبب مرضه بالحسد، وأخذت تبحث له عن علاج من خلال ما تسمع من الجارات، فاستخدمت حليب الناقة، وعلّقت عظمة من ساق الذيب على كتف ابنها؛ معتقدة بأن ذلك سينفعه، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل ذهبت إلى الفتّاح ليكتب لها حجابا، ثم علّقت هذا الحجاب بجانب العظمة والخرزة الزرقاء اللتان وضعتهما لتحمي ابنها؛ خوفاً من الحسد.

كانت وضحاء مقتنعة بأن المرأة ذات العيون الزرقاء هي التي حسدت ابنها وأصابته بالعين، وكذلك بالنسبة لابنتها عزيزة التي توفيت، والتي عزت سبب وفاتها إلى الأرواح الشريرة التي كانت تنتشر في الأماكن المعتمة، وحاولت معالجة مرضها من خلال أساليب الدجل عن طريق الحجابات والذهاب إلى الفتاحين وغيرها وكأنها لم تؤمن بقضاء الله وقدره، ويتضح من خلال أفعالها أنها مؤمنة بأن الإنسان قادر على أن يصيب الآخرين بالشرور، سواء كان مرضاً أو موتاً أو خصاماً.

إيمانها بالخرافات لم يقف عند نفسها فحسب، بل وصل إلى زوجة ابنها سناء التي لم تنجب؛ إذ أخذت تسعى لتزويج ابنها من خلال استعمال "الحجاب"، وكانت مقتنعة بأن عدم حمل سناء قد يكون بسبب الأرواح الشريرة التي مستها، أو بسبب تعرضها لخوف، وكانت تطلب

من سناء تبخير طرف ردائها لإبعاد الحسد عنها، ووصل بها الأمر إلى حد تخويف زوجة ابنها واختراع قصة موت ابنها (زوج سناء)؛ كي تعرضها للخوف حتى يذهب خوفها السابق وتحمل. وذكرت سامية الساعاتي في كتابها "علم اجتماع المرأة" "قد تنصح الناصحات من العجائز والقريبات المعروفات بالخبرة في هذه المسائل.. بأن يحدثوا للزوجة العقيم..أو الذي تأخر حملها حالة تعرف بالخضة. والخضة تشبه الصدمة إلى حد كبير، لأنها نوع من المفاجأة المزعجة التي تجعل الزوجة تضطرب وتخاف، ثم حسب المعتقد الشعبي تحمل بإذن الله".[82]

أوهام وضحاء وتصديقها لها جعلتها تطبق كل ما يدور في رأسها حتى ولو على حساب مشاعر الآخرين وأعصابهم؛ فهي بهذا الفعل قد تؤذي سناء وتعرضها للخطر، ولكن ذلك لم يكن يهمها، المهم عندها أن يزيد نسل عائلة العبد اللات مهما كانت النتيجة.

وضحاء تفكر دائماً بالأمور السلبية؛ فعند وقوعها بمكروه تخاف من شماته ضرتها مثيلة وابن ضرتها فيها، تفكر بردود الآخرين السلبية نحوها، ولا تفترض الشيء الإيجابي أو صفاء النية، وتهتم كثيراً بكلام الناس والقيل والقال.

كانت وضحاء تخاف من أي تطور تكنولوجي يدخل في حياة القبيلة، وتعتقد بأنه مسكون بالأرواح الشريرة والجن، كالمذياع التي كانت تبتعد عنه وتتجنبه؛ فعندما تسمع الأصوات من داخل المذياع، تعتقد أن هناك أناساً يسكنون بداخله، تخاف وتدعو ربها بأن يحفظ العائلة من شرورهم.

[82] سامية الساعاتي، علم اجتماع المرأة: رؤية معاصرة لأهم قضاياها، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص237.

يمكن وصف وضحاء بأنها شخصية مضادة تقف ضد حركة التغيير في المجتمع؛ فهي لم تشجع التطور، بل ترفضه وتضع كل وساوسها فيه. وظهر ذلك عندما وُصلت الكهرباء في قرية رأس النبع، ودخلت الغسالات والثلاجات وأجهزة التلفاز إلى البيوت، رفضت وضحاء النظر إلى التلفاز وظنت أنه مسكون بالجن، كما رفضت الغسالات المسكونة بالجن – كما تعتقد – فأيدي الجن هي التي تحرك الغسيل كما تظن؛ فشخصية وضحاء لا تستطيع التفاعل مع المتغيرات أو التكيف مع المستجدات، لهذا تلجأ إلى الحنين والإخلاص لكل ما هو قديم.

ويرى أدونيس (علي أحمد سعيد) أن الحداثة تَولّدت "من التفاعل أو التصادم بين موقفين أو عقليتين، في مناخ من تغير الحياة، ونشأة ظروف وأوضاع جديدة"،[83] وهو "الصراع بين قيم الثبات الماضوية، وقيم التحول المستقبلية"[84] ويرى أن الماضوية –كما أسماها– من السمات التي سادت المجتمعات العربية نتيجة لسيادة قيم الثبات، ويقصد بها: "التعلق بالمعلوم ورفض المجهول، بل الخوف منه. وفي هذا ما يفسر المناخ العقلي الذي ساد، وهو أن الإنسان لا يقدر أن يتكيّف إلا مع الأشياء والأفكار التي يستطيع خياله أن يجاريها ويقبل بها، أما تلك التي يعجز عن تفسيرها، فإنه يرفضها ولا يواجهها[85]". وهذا ما يفسر موقف وضحاء من الأجهزة الحديثة التي رفضتها، وظلت متعلقة بكل ما هو قديم في الماضي.

---

[83] علي أحمد سعيد، الثابت والمتحول: بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، ج3: صدمة الحداثة ، دار العودة، بيروت، 1974–1979، ص11.

[84] المرجع السابق، ج1: الأصول، ط7، دار الساقي، بيروت، 1994، ص59 ملفpdf .

[85] علي أحمد سعيد، الثابت والمتحول: بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، ج1، الأصول، مرجع سابق، ص58،59.

الجهل الذي استفحل في وضحاء جعلها تؤمن بالخرافات والحسد والشعوذة والدجالين؛ فهي شخصية يمكن وصفها بالمتناقضة أو الازدواجية بين الماضي والحاضر، تقول شيئاً وتفعل شيئاً آخر، تذكر اسم الله وتصلي، وفي الوقت ذاته تؤمن بما حرمه الله، تخاف من العتمة وترفض استعمال الأجهزة الكهربائية، وفي الوقت ذاته تتذمر عندما تنقطع الكهرباء، و"عندما تعود تتنفس الصعداء وتحمد الله، وتزداد قناعة بأن الكهرباء ما هي إلا نور الملائكة التي أرسلها الله، جلّ جلاله، لتنير البلاد رأفة بالعباد"؛[86] فانتقالها من حياة البداوة إلى الحياة القريبة من المدينة جعل شخصيتها متذبذبة غير قادرة على التكيف مع المجتمع الجديد والتفاعل معه. وذكر الدكتور إحسان الحسن في كتابه "علم اجتماع المرأة" بأن "المرأة الانتقالية تتسم بازدواجية الشخصية أي تقول شيئاً وتفعل شيئاً آخر يناقض ما تقوله وتصرح به".[87] يرى شقير بأن هذه المرأة صورة تقليدية منتزعة من بيئتنا الفلسطينية، وقد أثبت التطور اللاحق أن موقفها كان خاطئاً، ولم يصمد أمام الزمن.[88]

تؤمن صبحاء كذلك كثيراً بالخرافات، وتخاف من المجهول؛ فعندما كانت تفتح شبابيك البيت في الصباح، تستعيذ بالله خوفاً من الجن، وترش العتبة والساحة، وتدخل مكان الخبز برجلها اليمين؛ لأنها مقتنعة بأن المكان مسكون، كما كانت تخاف من النار والعتمة والنظر في المرآة؛ لاعتقادها بأنها أنثى لا تسلم من شر الجن، حتى وصل بها ذلك إلى الخوف من الضحك؛ لأنها تخشى أن يأتي بعده شر.

---

[86] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص71.

[87] إحسان الحسن، علم اجتماع المرأة: دراسة تحليلية عن دور المرأة في المجتمع المعاصر، مرجع سابق، ص39.

[88] مقابلة أجرتها الباحثة مع محمود شقير، تاريخ المقابلة 2017/3/15.

ارتبطت المرأة في الأدب الشعبي بالعفاريت والأرواح الشريرة، وفي معظم القصص الشعبية كانت تأتي على شكل جنية أو شيطان، وهي فكرة موروثة عن قصة حواء والاعتقاد بأنها لها صلة بالشيطان والشر، وكانت قصة حواء وآدم تشير إلى خوف الرجل من المرأة – كما ذكرت نوال السعداوي–؛ فتلك المرأة التي تملك القوة والفتنة التي جعلت الرجل يسقط من الجنة إلى الأرض وما لحقه من هلاك، لا بد وأن تكون امرأة مخيفة، وبذلك تكون صفات القوة في المرأة قد اقترنت بالشر والفتنة والسحر والشيطنة، وخير دليل على ذلك قصص "ألف ليلة وليلة" التي احتلت فيها المرأة الجنية مكانة كبيرة؛ ما يؤكد أن قوة المرأة وارتباطها بالجان والعفاريت ظلت متغلغلة في أفكار الشعب العربي منذ الأزمنة القديمة؛[89] ما يفسر ربط وضحاء النار والعتمة بالأنثى والجن؛ فالموروثات الذكورية ترسخت في عقل وضحاء، واستبطنت فيها.

كما كانت وضحاء كغيرها من نساء العائلة اللواتي يؤمنّ بأضرحة الأولياء والمزارات، ويحرصن على زيارتها وتقديم النذور لها، وحرق البخور عندها؛ للتعبير عن آلامهن الداخلية التي لا يستطعن التعبير عنها بصوت عال، وطلب المساعدة منها في حل مشكلاتهن الخاصة والتغلب على أزماتهن. وأشار حليم بركات في كتابه "المجتمع العربي في القرن العشرين" إلى أن الإيمان بالأولياء يحتل مكانة كبيرة لدى أهل القرى، خاصة النساء، "ولشدة إيمان سكان القرى بالمزارات والأولياء، كثيراً ما تتصالح المؤسسات الدينية الرسمية معها وتشارك الفلاحين طقوس تعبدهم. يقدّم الفلاحون للمزارات...القرابين والنذور ويحرقون لها

[89] نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي: الوجه العاري للمرأة العربية، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990، ص767، 781، 773، 774، 784.

البخور والشموع، طالبين إليها المساعدة في حل مشكلاتهم اليومية والتغلب على الأزمات الخاصة والعامة".[90] يذكر مصطفى حجازي –في هذا السياق– أن ظاهرة التعلق بالأولياء "تنتشر في القطاعات المسحوقة من السكان. وتتفشى خصوصاً حيث يعم الجهل والعجز وقلة الحيلة".[91]

إن تعلق المرأة بالخرافات هو نتيجة لما فُرِضَ عليها من تجهيل وقهر، واستلابها إرادتها وقدرتها على الاختيار؛ فحرمانها من حرية التعبير عن الذات هو الذي يُلجئها إلى الوسائل الملتوية؛ كونها محرومة من السيطرة على مصيرها، لهذا تلجأ إلى السحر والشعوذة والإيمان بالخرافات؛[92] فهي ردة فعل عفوية ويائسة لحالات القهر والظلم الواقعة عليها.

هكذا صور شقير صورتي صبحاء ووضحاء، شخصيتين بسيطتين ثابتتين، لم يطرأ عليهما تغيرات، بالرغم من التغيرات المحيطة بهن وخصوصاً وضحاء، يغلب عليهما طابع المحافظة على التقاليد الموروثة والمعتقدات السائدة، وترفضان ما يصيب المجتمع من تغيرات حديثة؛ لاعتقادهما أن كل ما هو قديم هو الصواب؛ لذا يغلب عليهما الحنين إلى الماضي القديم بذكرياته، وهما امرأتان تقليديتان منتزعتان من بيئتنا الفلسطينية، ولكنهما في الوقت نفسه طيبتان.

– المرأة المتمردة

---

[90] حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، مرجع سابق، ص221.

[91] مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط12، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2013، ص143.

[92] المرجع السابق، ص149،148.

على النقيض من شخصيتي صبحاء ووضحاء المحافظتين أظهر شقير في روايتيه صورة للمرأة المتمردة على عادات وتقاليد مجتمعها. خير شخصية تمثل هذه الصورة **نجمة** زوجة عبد الودود. تتسم نجمة بصفات تميزها عن بقية نساء العائلة؛ فهي موصوفة بالجرأة والثقة بالنفس، وهي التي تقرر فيما يتعلق بشؤون بيتها، وزوجها يوافق على ما تقرره، كانت – أيضاً– محدّثة لبقة، تلفت انتباه العديد من النسوة اللواتي أحببن طريقتها في الكلام –كما صرّحن لها–. امرأة متفتحة الذهن؛ بسبب عملها في المدينة في بيت حنا والمعلمة عفيفة.

أصرت نجمة على إلحاق ابنتها نوال بالكتّاب وتعليمها، في الوقت الذي لم يكن فيه شائعاً تعليم فتيات القرية؛ حيث لم يكن في القرية مدرسة للبنات، ولم يفكر أحد بإنشاء مدرسة لهن، فأظهر أشخاص من رأس النبع رغبتهم في تعليم بناتهم؛ ما اضطرهم لإقناع الخطيب كي يلحقهن بمدرسته ويعلمهن، فوافق على مضض، وأصبح لديه تسع بنات وسبعة وأربعون ولداً، وهذا الفرق الكبير بين عدد الفتيات والفتية يدلل على عدم شيوع فكرة تعليم الفتيات في قرية رأس النبع في الوقت الذي أرسلت فيه نجمة ابنتها نوال؛ ما يدل على وعيها بأهمية العلم في رفع مكانة الفرد حتى لو كانت أنثى. ولم يسلم هؤلاء الأهالي من ألسنة أهالي القرية، فاتُّهِموا بانعدام الأخلاق، وعدم حرصهم على شرفهم؛ لأنهم يسمحون لبناتهم بالدراسة والاختلاط مع الأولاد، ومع ذلك لم تلق نجمة بالاً لهذه الاتهامات، وأكملت ما تريد تحقيقه.

كان إصرار نجمة على تعليم ابنتها نوال واضحاً في الرواية الأولى التي يمتد زمانها من نهاية الحكم العثماني إلى أواخر الانتداب البريطاني. في تلك الفترة لم يكن شائعاً تعليم الفتيات ليس في قرية رأس النبع فحسب، بل في جميع القرى حتى المدن الفلسطينية، وهذا

ينطبق –أيضاً– على الذكور مع الفارق الكبير بين أعدادهما في نسبة التعليم؛ إذ اتسم التعليم في نهاية الحكم العثماني بالجمود، وذكر ناصر الدين الأسد بأن المدارس في هذه الفترة كانت إما كتاتيب تعلم القراءة والكتابة والتجويد، وإما مدارس ابتدائية قليلة العدد، لغة التعليم فيها اللغة التركية، وقد اجتمعت في فلسطين ثلاثة عوامل، أهمها: إهمال الإدارة والحكومة لشؤون فلسطين، غياب التعليم الثانوي والعالي الذي نتج عنه الجهل، بالإضافة إلى ضعف العلاقة بين فلسطين والخارج، وخاصة من الناحية الثقافية. وفي فترة الحكم الإنجليزي زادت عدد المدارس الابتدائية، وبالتالي زاد عدد التلاميذ بحكم تقدم الزمن، وكانت المدارس الثانوية قليلة، ولكن أصبحت اللغة العربية لغة التعليم. [93] "كان عدد المدارس العربية الحكومية في فلسطين 244 مدرسة في سنة 1920م وأصبح عددها 514 مدرسة في سنة 1945م.... أي أن المدارس العربية الحكومية لم تزد خلال ربع قرن كامل إلا الضعف أو أكثر قليلاً".[94] وبيّن سميح حمودة في دراسة له نشرها بأن "في سنة 1944م كان عدد الطلاب العرب في سن التعليم في المدارس الحكومية والأهلية نحو (100000) طالب، ومجموع الطلاب الذين في سن التعليم سواء في داخل المدرسة أوخارجها (300000) طالباً، وهذا يعني أن 66% من الطلاب الذين يحق لهم التعليم لا يجدون مكاناً بالمدارس. هذا يُظهر تقصيراً معيباً يبيّن سوء نية حكومة الإنجليز التي وضعت يدها على التعليم

[93] ناصر الدين الأسد، الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن حتى سنة 1950، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمّان، 2000، ص68،38،37.

[94] المرجع السابق، ص68.

الحكومي؛ فهي تريد أن تبعدهم عن التعليم؛ حتى لا يقدروا أن يقاوموها مقاومة علمية منظمة. وهذا التقصير نتيجة لسياسة موضوعة".[95]

جاء هذا العرض الموجز؛ لتبيان عدم شيوع فكرة التعليم في فلسطين، في الوقت الذي أصرت فيه نجمة على تعليم ابنتها نوال، خاصة أنها تعيش بالقرية، والوضع فيها ليس أفضل.

تتسم نجمة بالإيجابية في الكثير من مواقفها؛ فهي لا تخضع لعادات وتقاليد دون تفكير، بل تستخدم عقلها وتزن الأمور، ولا تسمح للصعوبات أن تقف عقبة في طريقها؛ فموقفها الإيجابي يتضح عندما شاورها زوجها حين طلب الخطيب يد ابنتها نوال، حينها أبدت رفضها القاطع لذلك؛ ما جعل زوجها غير قادر على الكلام. بعد ذلك تصرفت بحكمة واتزان، فغيّبت ابنتها عن المدرسة ثلاثة أيام، وتكلمت مع ابنتها بصراحة ووضوح لمعرفة رأيها في الموضوع، وبعد أن أبدت ابنتها رفضها الزواج منه، قدمت لها النصائح وطلبت منها أن تأخذ حذرها منه، وأن تهتم بدراستها وتجعل تفكيرها منصباً عليها فقط، وأرسلت ابنتها في اليوم الرابع إلى المدرسة؛ فقد كانت نجمة معنية بإكمال نوال تعليمها إلى حين انتهاء السنة الدراسية.

موقف نجمة يدل على مدى تمردها الإيجابي؛ إذ خرجت عن المألوف في تعليم ابنتها، وأصرت على تعليمها برغم العقبات التي اعترضت طريقها وطريق ابنتها؛ فرفضها لطلب أستاذ نوال الذي يكبرها بعشرين سنة يشير إلى تمردها على عادة سترة البنات وتزويجهن منذ

[95] سميح حمودة، أوضاع التعليم في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني، مجلة حوليات القدس، ع.18،2014، ص102.

الصغر دون تعليمهن، ومخالفتها للمقولة المتعارف عليها: "البنت إذا جاءها النصيب فلا تحرمها من نصيبها".[96] هذه العقبة لم تجعلها تقف في وجه تعليم ابنتها، بل أرسلتها إلى المدرسة، وقررت الصبر إلى حين انتهاء السنة الدراسية، فتعاملت مع الموضوع بحكمة وروية، كما أن مشاورة زوجها (عبد الودود) لها، وعدم إعطاء قرار من رأسه يوضح مدى قوة نجمة، وقدرتها على التحكم في أمور بيتها، في حين كان هذا الأمر غير مألوف في قرية رأس النبع، بل كان عيباً على الرجل أن تكون زوجته ذات تأثير عليه؛ فالرجال هم من يبتون بهذه الأمور، والنساء ما عليهن إلا التنفيذ.

جرأة نجمة وقوة شخصيتها دفعتها إلى تغيير حياتها نحو الأفضل من وجهة نظرها؛ إذ حاولت بشتى السبل العيش حياة كريمة في المدينة؛ فقد استأجرت هي وزوجها بيتاً في القدس لتعمل في المدينة، وتمكنت بنجاح من التغلب على عادات القبيلة؛ فقد أصبحت تذهب إلى الحمامات التركية، وتضع المكياج والعطور، كما خلعت الزي البدوي التقليدي وارتدت الثوب المدني، وكانت تشجّع نساء العائلة على ارتياد هذه الحمامات، واقتناء مستحضرات التجميل والعطور والملابس الشفافة الأمر الذي لم يكن مألوفاً في حياة نساء العائلة؛ ما جعلها موضع استنكار لدى رجال القبيلة وبعض نسائها باعتبارها خارجة عن أعراف القبيلة؛ فخلعها للزي التقليدي ولبسها للفستان جعل بعض النسوة يصفنها بالخلاعة والفجور، كما أثار غيرة رجال القرية وهمّ العديد منهم بضربها، لكنّ المختار منان كان

[96] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص258.

يحاول تهدئتهم، وأرسل العديد من الرسائل لها بطريقة غير مباشرة، إلا أنها لم تلق بالاً لذلك، ولم تتراجع عن موقفها.

يُمكن قراءة شخصية نجمة على أنها رمز للإنسان المناضل الذي رفض الخنوع والاستسلام، وأصّر على أن يكون له دور مؤثر، وشخصية متميزة عن الآخرين، وقد قصد الكاتب في إظهاره لهذه الشخصية إبراز حقيقة فكرية، وهي أن الإنسان يحصل على حريته وكرامته من خلال العلم والعمل، ولا يقتصر ذلك على الذكور فحسب، بل ينسحب على شخصية الأنثى التي تحاول إثبات وجودها، والتحرر من سلطة التقاليد من خلال العلم والعمل. يمكن اعتبار شخصية نجمة جزءاً من حركة التنوير العربية التي تدعو إلى التحرر؛ فهي تؤمن بالحداثة وضرورة التغيير والإصلاح؛ ما يخلق صراعاً مع التقاليد التي تتمسك بها الثقافة السائدة.

من زاوية أخرى، يمكن النظر إلى شخصية نجمة من منظور المرأة العاملة التي تحاول التعايش مع البيئة التي وجدت فيها، وتسعى إلى تحسين أوضاعها؛ لتؤكد رغبتها في تحمل المسؤولية؛ فقد عملت في بيت موظف في أحد البنوك في القطمون، حيث تقيم النخبة الميسورة من الموظفين والتجار المقدسيين، وكأنّ الكاتب يحاول من خلال رسمه لهذه الشخصية أن ينفي عنها أي عجز أو قصور يكمن في الثقافة الاجتماعية حول دور المرأة في المجتمع.

يبرز تفاعل نجمة مع المكان في الرواية بطريقة واضحة، هذا التفاعل يعبّر عن الرغبة الداخلية في النّفس في تغيير الحياة نحو الأفضل، والانتقال من مكان إلى آخر يصاحبه تحوّل في الشخصية، ويظهر ذلك من خلال شخصية نجمة التي ازدادت شخصيتها قوة بعد

انتقالها إلى القدس، فأصبحت تأخذ نساء القبيلة معها إلى المدينة، وتعرفهنّ على طقوس جديدة لتغيير عادات القبيلة المتوارثة، "فالرحلة أي الانتقال من مكان إلى آخر مستمد من أسطورة البحث، أما الانغلاق في مكان واحد دون التمكن من الحركة فإن هذه الحالة تعبر عن العجز وعدم القدرة على الفعل أو التفاعل مع العالم الخارجي أي مع الآخرين".[97]

شخصية نجمة التي قدّمها الكاتب نامية فنياً، واعية بأهدافها، مطّلعة على حركة المجتمع من حولها، وكأنّ الكاتب أراد من خلالها أن يربط بين نضالها ونضال الوطن؛ فقضية الفرد لا تنفصل عن قضية المجتمع، وتحرير المواطن سواء أكان رجلاً أم امرأة بداية لتحرير الوطن، ونجمة في طريقها إلى التحرر؛ فتمردها على العادات المضطهدة للمرأة، وإصرارها على تعليم ابنتها، وعدم تزويجها في سن مبكر من شخص يكبرها بسنوات كثيرة، إضافة إلى خروج نجمة للعمل في المدينة، كل ذلك يشير إلى سعيها نحو التحرر، ورفضها للمجتمع الذكوري، ولمظاهر التخلف الذي أوجده هذا المجتمع.

ظهور مثل هذه الشخصيات في الروايتين، كشخصية نجمة، وابنتها نوال، وسناء ومريم التي سيتم تناولها بعد ذلك، يمكن أن تُلمَس في شخصيات الفتيات في روايات الفتيات والفتيان التي سيتم تناولها في الفصل الثالث.

يُذكر أن شخصية نجمة وُضعت تحت صورة المرأة المتمردة، وليست العاملة التي سيؤتى عليها فيما بعد؛ لأن شخصية نجمة غلبت عليها صفة التمرد على عادات وتقاليد العشيرة التي قادتها إلى العمل؛ فالعمل نتيجة للتمرد الذي ظهر في الرواية الأولى في الوقت الذي لم

[97] سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص77.

يكن فيه مألوفاً عمل المرأة وتعليمها. أما نماذج المرأة العاملة التي ظهرت في الرواية الثانية التي سنتناولها فيما بعد، فقد جاء عملها مألوفاً؛ نتيجة لتغير الزمان ونضوج جيل جديد من الأبناء، فقد عملت هذه النماذج خارج إطار بيتها، وكان لعملها ولحياة المدينة الأثر الكبير في تطور فكرها.

- المرأة المتعلمة

بالرغم من عدم شيوع فكرة تعليم البنات في قرية رأس النبع، إلا أن شقيراً أظهر أنموذجاً للمرأة المتعلمة التي كسرت الحاجز وخرجت عن المألوف، وتحملت العقبات في سبيل تعلمها، وبتشجيع من والدتها – أيضاً–، وهذا الأنموذج تمثله شخصية **نوال** التي ظهرت في الروايتين؛ إذ أظهر شقير هذا النموذج؛ ليعبر عن فكرته وإيمانه بضرورة تعليم المرأة؛ إذ "استحوذ نموذج المرأة المتعلّمة على اهتمام الكثير من الروائيين الفلسطينيين، وشغل حيّزا بارزاً داخل النّص الروائي، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى قدرة هذا النموذج في التعبير عن فكر الكاتب، ورؤيته للعالم من حوله؛ فهو يعلّق عليه الكثير من الآمال على الصعيدين الاجتماعي والثقافي".[98]

ويُعَدّ رفاعة الطهطاوي أول مفكر مصري في العصر الحديث دعا إلى تعليم المرأة؛ فالتعليم يزيدها أدباً وعقلاً، ويجعلها تشارك الرجل في الكلام والرأي بحسب رأيه، كما اعتبر عبد الله النديم تعليم المرأة شرطاً للتقدم؛ فالمرأة الجاهلة من أسباب فساد الأخلاق وخراب البيوت وضياع حقوق النساء، وكان الشيخ محمد عبده من المؤيدين لتعليم المرأة، وكذلك قاسم أمين

[98] حسان الشامي، المرأة في الرواية الفلسطينية، مرجع سابق، ص144.

الذي جدد هذه الدعوة في كتابيه: "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة"، ودعا إلى تحرير المرأة من خلال تعليمها. [99] ويرى إحسان الحسن "إن تعلم المرأة من العوامل المهمة التي تساعدها في الخروج إلى العمل وتحررها من القيود والمعوقات التي تؤدي إلى جمودها وتخلفها". [100]

ونوال في الروايتين هي أنموذج للمرأة المتعلمة؛ فقد كانت في الحادية عشرة من عمرها عندما التحقت بمدرسة الخطيب عبد القادر (الكتّاب)، وأبدت حماسها الشديد للدراسة منذ صغرها. أحبت التعليم كثيراً منذ اليوم الأول للدراسة، وأظهرت تفوقاً واضحاً في دراستها، وواصلت تعليمها حتى أصبحت معلمة في مدرسة المدينة. عبّرت عن حبها لمهنة التعليم قائلة: "أحببت مهنة التدريس من يوم أن كان الشيخ عبد القادر يكلفني بأن أنوب عنه في ضبط التلاميذ والتلميذات، وتحفيظهم الأناشيد". [101]

كان لاستكمال نوال تعليمها انعكاس واضح على شخصيتها؛ فقد عارضت التقاليد، ورفضت ابن عمها أدهم الذي تقدّم لخطبتها؛ ما سبّب غصة لوالدها الذي اتهمه الجميع بتفريق شمل العائلة، كما أُصيب ابن عمها بصدمة من هذا الرفض، فأصبح يشرب الخمر ويخرج عن التقاليد المألوفة بسببها.

ثقافة القبيلة وتقاليدها لا تستوعب فكرة رفض ابن العم الذي ينزل ابنة عمه من على الفرس بحيث لا يستطيع أي رجل منازعته عليها، وذكوريته المتسلطة لا تحتمل الرفض، وفي ذلك

---

[99] حسين رشوان، المرأة والمجتمع: دراسة في علم اجتماع المرأة، ط2، دار الوفاء، الإسكندرية، 2011، ص75.

[100] إحسان الحسن، علم اجتماع المرأة: دراسة تحليلية عن دور المرأة في المجتمع المعاصر، ط1، دار وائل، عمّان، 2008، ص85.

[101] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص107.

الموقف يتضح مقاومة الذكورية لتحرر المرأة، ومقاومة المرأة لثقافة المجتمع الذي يكبلها بالقيود، وتمردها على الواقع المتدني للمرأة.

يتضح هنا أثر التعليم في صقل شخصية نوال التي لم تقبل بالزواج من ابن عمها، ولم تلق بالاً للتقاليد المُتعارف عليها؛ فالفتاة المتعلّمة إنسانة حرّة واعية تمارس حقها في التعبير عن رأيها تجاه القضايا التي تتعلّق بمصيرها.

تزوجت نوال بطبيب أسنان، وأصبح لديها ثلاثة أولاد، ومن الطبيعي أن تفكر امرأة متعلمة بالزواج من رجل متعلم ذي مستوى مناسب لها؛ حتى تستطيع العيش معه بالراحة المناسبة.

كانت نوال لا تزور قرية رأس النبع إلا نادراً؛ لعدم انسجامها مع نساء العائلة، ولإحساسها باتساع الفجوة بينها وبينهن "لماذا أزورهم والناس فيها ما زالوا يحملون عقلية البرية التي جاءوا منها، وليس لهم إلا القيل والقال؟"،[102] كانت تنفر منهن، فيتهمنها بالتكبر عليهن، ويبدأن باستغابتها، ويرمينها بالكلام الباطل.

كان لتعليم نوال أثر كبير في تغيير حياتها نحو الأفضل؛ فقد ابتعدت عن حياة القرية التقليدية البسيطة التي يعشن فيها نسوة لا يشغل بالهن سوى القيل والقال، وعاشت في المدينة وعملت معلمة كي تنفع الأجيال بعلمها؛ فالتعليم يجعل المرء منشغلاً بأمور ذات قيمة في المجتمع، ويبتعد عما فيه مضيعة للوقت. تزوجت نوال طبيب أسنان، وكان موضع للتفاخر من قبل عمها منان؛ إذ كان دائماً يتفاخر أمام أصحابه من تجار القدس بأن ابنة أخيه متزوجة من طبيب أسنان.

[102] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص42.

قام شقير من خلال رسمه لملامح شخصية نوال بالوقوف على مستويات وعيها للواقع المُحيط بها، ولا شكّ أنّ الذي مهّد السبيل للتعبير عن رأيها، هو امتلاك المعرفة عبر التحصيل العلمي؛ ما كان له الأثر الواضح في حديثها، والقدرة على إبداء الرأي والنقاش؛ فالجهل الذي كانت تعيش فيه العديد من النساء في البادية ملأ حياتهنّ بالخوف الدائم من المجهول، فكنّ يلجأن إلى السحر والمشعوذين لحماية أنفسهنّ، لكنّ هذه الأمور اختفت تماماً عند نوال؛ فرفضت كل شيء لا يقبله العقل، وأخذت تفكر في كل ما يدور حولها من أمور، دون أن تسلّم بكلّ ما هو موجود.

- المرأة العاملة

أظهر شقير في رواية "فرس العائلة" طبيعة عمل المرأة البدوية التي تخرج منذ الصباح؛ لترعى الأغنام، أو تحلبها، أو تجلب الماء من البئر، أو تخرج إلى الحقل لحصد القمح حاملة معها الزوّادة والمنجل وقربة من الماء تضعها على ظهرها. وأظهر –أيضاً– عملها داخل البيت من الطبخ والتنظيف والكناسة والخبيز، فكان هذا العمل المناسب لطبيعة حياتها البدوية، التي كانت فيها العائلة تعيش في الخيام، وتعتمد على تربية الأغنام والزراعة للحصول على الرزق، بالإضافة إلى لجوء بعض النسوة كفطومة إلى نسج البسط لبيعها لتكون مصدر دخل لها، فكان عمل المرأة خارج البيت مساوياً لعمل الرجل، ولكن بعد الانتهاء من العمل في الخارج تعود إلى البيت لتواصل عملها المعتاد، بينما هو يجلس ليرتاح، وما عليها إلا أن تلبي احتياجاته كونها امرأة مسؤولة عن القيام بتحقيق حاجات الرجل، فبذلك يكون الجهد الذي تبذله ليس متكافئاً بالنسبة للجهد الذي يبذله الرجل. هذا كان

بالنسبة للوضع العام لعمل المرأة في روايتي "فرس العائلة"و" مديح لنساء العائلة" سواء كانت تعيش في البادية أو في القرية.

لكن ثمة تغير واضح طرأ لا يمكن إغفاله على العديد من النسوة في الرواية الثانية؛ فبحكم تغير الزمان، والمكان عند انتقال أهالي رأس النبع من المضارب إلى مشارف مدينة القدس، وتواجدهم بالقرب من المدينة، أدى ذلك إلى اختلاف في عمل المرأة ودورها؛ إذ تقلص دور العائلة الممتدة وسلطة رب العائلة، وأصبح أفراد العائلة يعملون بشكل فردي في نطاق خاص بهم، وليس ضمن المجموعة كما كان عليه الوضع من قبل؛ فخرجت المرأة إلى العمل خارج المنزل، وتغير دورها التقليدي كربة بيت، ودخلت مجال العمل المنتج وأصبحت مشاركة للرجل، وأيقظ هذا التحول وعيها الاجتماعي؛ فلم تعد ترضى بدورها المقتصر على تلبية مطالب الزوج وإنجاب الأطفال وتربيتهم، بل أصبحت تريد الخروج إلى العمل الذي لم تعتد عليه من قبل؛ الأمر الذي أثر على حياتها وطبيعة تفكيرها، وأكسبها الثقة بنفسها، وعزز شخصيتها ومكانتها، ومنحها قوة وفاعلية، وأدى ذلك إلى تغير في تقسيم الأدوار بين الزوجين داخل المنزل؛ فعمل المرأة داخل بيتها وخارجه بعد أن كان مقتصراً على الداخل، جعل الرجل يساعد المرأة في الشؤون المتعلقة بداخل المنزل. ويرى طه وادي أن "الاستقلال الذاتي للمرأة والتحرر الكامل لما ورثته من اضطهاد لا يتم إلا بالتحرر الاقتصادي أي بالعمل".[103] ويوافق هذا الرأي حليم بركات ويرى أن تحرر المرأة يتم من خلال "إقبالها على العلم والعمل خارج المنزل والمشاركة في الإنتاج الاقتصادي....، وبقدر ما تتعلم وتنتج

[103] طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، مرجع سابق، ص286.

وتستقل اقتصادياً وتسهم في صنع مصيرها ومصير المجتمع، يصبح أمر مساواتها بالرجل واقعاً حقيقياً".[104]

فسناء التي تعمل موظفة في بنك بمدينة القدس كان لعملها أثر في تقوية شخصيتها والارتقاء بفكرها، وهي امرأة مطلقة كانت متزوجة من ابن عمها، لم يكن لديها أطفال؛ لاتفاقها مع زوجها بتأجيل الحمل مدة خمس سنوات، لم تعد سناء قادرة على تحمل العيش معه لهوسه بتجارته؛ ما دفعهما إلى الطلاق.

كان الطلاق بالنسبة لسناء خلاصاً وكسباً لراحتها وليس مصيبة وقعت على رأسها كما كان من قبل. بعدها تزوجت من محمد الأصغر الذي تكبره بثلاث سنوات، واتفقت معه على تأخير الإنجاب أيضاً مدة خمس سنوات، لم تكن سناء تهتم كثيراً بكلام الآخرين؛ فعندما ذهبت مع زوجها محمد في رحلة إلى البحر الميت، ارتدت ملابس السباحة وسبحت في الماء، وعندما اجتمعت مع نساء العائلة أخبرتهن بذلك.

كانت سناء تسعى هي وزوجها إلى التحرر من تقاليد العائلة وقيودها؛ فموقفها في الرحلة يدل على عدم مراعاتها لكلام عشيرتها، وشخصيتها فيها خروج عن المألوف؛ فزواجها بشخص يكبرها بثلاث سنوات أمر غير عادي في القرية التي تسكن فيها، كما أن تأجيل موضوع الإنجاب دليل كاف على ذلك؛ لأنه يخالف العادات المنتشرة في عائلة العبد اللات التي كانت تهتم بسرعة الإنجاب وخاصة الذكور.

[104] حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، مرجع سابق، ص379.

كانت سناء تعيش مع زوجها حياة مليئة بالانسجام والتفاهم، إلا أن والدة زوجها لم يكن يعجبها إسراف سناء في صرف المال، وتأخرها في موضوع الإنجاب، لكنّ سناء كانت تمتلك ثقة بنفسها وشخصية قوية جعلتها تتجاوز كل ما تسمع من كلمات وتعليقات.

وذكر الدكتور إحسان الحسن بأن "المرأة في المجتمع غير المستقر هي شريكة الرجل في كل شيء لأنها تعيش معه وسط المجتمع غير المستقر. وقد سمي بالمجتمع غير المستقر لأن أفكار أفراد العائلة الواحدة تختلف بل وتتناقض بعضها مع بعض، حيث أن أفكار وقيم ومواقف الأبوين تختلف عن تلك التي يتمسك بها الأبناء نظراً لاختلاف المهن والأعمال والثقافات والخبر والتجارب عند الجيلين". [105]

لم تكن سناء معنية بالعائلة، كانت على قناعة بأنّ تفسّخ العائلة الممتدة هو الأمر الطبيعي في مسار التطور الاجتماعي كما ورد على لسان زوجها محمد الأصغر؛ فهي شخصية ترفض الانغلاق على الماضي مهما كان عظيماً، وتؤمن بضرورة التغيير والانفتاح على المستقبل، وعلى مختلف الثقافات.

كانت سناء الزوجة المشجعة لزوجها والحضن الدافىء له؛ فمواقفها مع زوجها تشير إلى ذلك؛ فقد كانت تشجعه على مواصلة الكتابة، وعندما كان يتردد في الكتابة، تدفعه إلى الأمام بكلماتها الرصينة، وتبدي آراءها الإيجابية بكتابة زوجها؛ ما يخفف ذلك شعوره بالإحباط. وعندما ترك زوجها عمله وقفت معه بالباع والذراع، وقالت له: "كل راتبي تحت تصرفك"،[106] كان زوجها يحبها، ويأخذ رأيها في أعماله الكتابية، وهي تشاركه في اتخاذ جميع القرارات

[105] إحسان الحسن، علم اجتماع المرأة، مرجع سابق، ص41.

[106] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص164.

المتعلقة بشؤون حياتهم. لكن مشيئة الله لم ترد بأن تُرزق سناء بأطفال؛ فبعد فحصها عند الطبيب اكتشفت أنها عاقر؛ ما دفع والدة زوجها إلى إقناع ابنها بالزواج من امرأة أخرى؛ كي ترى أطفاله. لم تعارض سناء زواج محمد الأصغر، وفي الوقت نفسه لم تقبل أن يكون لها ضرة، واشترطت عليه أن يطلقها إذا أراد الزواج؛ فلم تقبل بوجود شريك لها مع زوجها كما اعتادت نساء القبيلة؛ فسناء خرجت عن المألوف، ولم ترضخ لفكرة تعدد الزوجات كما كانت النسوة من قبل، بل قاومتها بشدة، ورفضت وجود امرأة أخرى تشاركها في زوجها.

تظهر الثقافة بشكل بارز في كلام سناء؛ فكانت تقول لزوجها: "إنّ كثرة الكلام بمناسبة وبغير مناسبة، تورث قلة الحظ وتؤدي إلى تعثّر الإنجاز"؛[107] فترى أن الكتمان ضروري لإنجاز الكثير من المشاريع، وهذا ما يخالف طباع نساء العائلة التي اعتادت أن تكثر من الكلام، وتُخرج أسرارها للنساء الأخريات.

سناء تمثل جيلاً جديداً من خلال تمردها على تقاليد العائلة السائدة، ورفضها كل ما يخالف التقدم والتغيير؛ فهي مؤمنة بضرورة الإصلاح والتحرر من مخلفات المجتمعات المجحفة بحق المرأة.

وأظهر شقير أيضاً صورة **مريم** المسيحية التي تعمل في مكتبة لبيع القرطاسية والكتب. تزوجت مريم من محمد الأكبر دون أن تلق بالاً للتبعات الاجتماعية لهذا الزواج، وتمكنت من تغيير أفكاره وطباعه إلى الأفضل وإقناعه بأفكارها؛ فقد كان في البداية غير مستعد للحوار، يتعامل مع الأمور بشراسة، إلا أنها نجحت في تغيير هذه الطباع بالإقناع.

[107] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص171.

عمل مريم ساهم في تحررها فكرياً، وجعلها لا تفكر بالطريقة التقليدية التي اعتادت نساء العائلة التفكير بها؛ فعندما ذهبت مع زوجها لحضور عرض مسرحي، أعجبت بالممثلة الوحيدة التي كانت في الفرقة؛ فقد وصفتها بالريادة والشجاعة كونها قبلت الظهور على المسرح في الوقت الذي لم تكن فيه النساء المقدسيات يفكرن بالمشاركة في التمثيل، ولو كانت نساء عائلة العبداللات في المسرح، لقمن بتشريح الممثلة من شعر رأسها لأخمص قدميها، واستغابتها واتهامها بالخلاعة والفجور، بينما مريم اعتبرت ذلك تحرراً وجرأة.

مريم – كشخصية سناء– ترفض الانغلاق في الماضي وتتمسك بالانفتاح على المستقبل، وعلى مختلف الثقافات. تؤمن بضرورة التنوير الذي يقود إلى التحرر، وتأثُّرها بالعرض المسرحي الذي فيه دعوة لمقاومة التخلف دليل واضح على فكرها النيّر والمتحضر، وبكاؤها عندما توفي خليل السكاكيني الذي كان من أهم دعاة التنوير تأكيد على ذلك، وبرهان على ثقافتها واطلاعها على أهم الشخصيات الأدبية كالسكاكيني وروحي الخالدي ونصري الجوزي؛ فالسكاكيني[108] كان متبنياً لفكرة النهضة والعلم والدعوة إلى التحرر، ومؤمناً بمساواة المرأة للرجل، وكذلك الخالدي[109] الذي يعد من أهم رواد النهضة العربية في فلسطين، وكان متمسكاً بنشر الوعي بالحداثة والانفتاح على العالم، أما نصري الجوزي[110] فكان من أهم

---

[108] ناجح شاهين، خليل السكاكيني: انعتاق التلميذ، عقلاً وروحاً وفكراً وجسداً، ص3،4، ملف pdf، متوفر على الموقع. http://www.rosaluxemburg.ps تاريخ الزيارة 2017/8/1

[109] أوس يعقوب، روحي الخالدي: رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين وأبرز المناهضين للحركة الصهيونية في عصره، مؤسسة القدس للثقافة والتراث متوفر على http://alqudslana.com/index.php?action=article&id=2480 تاريخ الزيارة 2017/8/1.

[110] جابر سليمان، نصري الجوزي والحركة المسرحية في فلسطين: قراءة في ذاكرته وأوراقه، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 7، عدد28، 1996، ص135، ملف pdf متوفر على الموقع

المساهمين في نهضة المسرح الفلسطيني، وهذا يوضح مدى توافق مريم مع فكرهم؛ فأفكارها ما هي إلا انعكاس لأفكارهم؛ فهي تمثل جيلاً جديداً بأكمله، يدعو إلى التنوير والتغيير والإصلاح وضرورة مساواة المرأة بالرجل.

تتسم مريم بمواقفها الإيجابية المتحضرة؛ فعندما وقع محمد الأصغر بين قرار أمه وأبيه بضرورة الزواج وبين رغبته في الحفاظ على سناء، وقفت مريم وزوجها مع محمد الأصغر، وسانداه بضرورة الحفاظ على سناء وعدم التخلي عنها، لدرجة أن والدته اتهمت محمد الكبير بأنه يقول ويردد ما تقوله مريم، فيقول محمد الأصغر على لسان أمه "تهمس في أذني: في رقبة أخيك رسن، طرفه الآخر في يد مريم..... إياك أن تضع سناء الرسن في رقبتك يا ولدي"؛[111] فالأم ترفض أن يأخذ ابنها القرار من زوجته كونها امرأة، والغريب أن ظلم المرأة يأتي من المرأة.

أظهر شقير مريم بصورة المرأة المتحضرة العصرية؛ فأراد أن يبين الاختلاف في دور المرأة وفكرها بين ما كانت عليه في المضارب، وما آلت إليه عندما اقتربت من المدينة؛ فقد عملت وحصلت على نوع من الاستقلال الاقتصادي وما تبع ذلك من استقلال اجتماعي وفكري، "فالعامل الاقتصادي مهم في تحرير المرأة، واستقلال شخصيتها، فخروج المرأة إلى ميدان العمل ومشاركتها للرجل، ينمي شخصيتها ويجعلها أكثر حرية واستقلالية".[112] ويؤيد هذا

---

http://www.palestine-studies.org/sites/default/files/mdf articles/%D8%AC%D8%A7%D8%A8%D8%B1%20%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86.pdf تاريخ الزيارة2017/8/1

[111] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص140.

[112] وائل الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، مرجع سابق، ص128.

الرأي هشام شرابي حين قال: "إن الشرط الأساسي لتحرر المرأة هو انفتاحها على التعليم وانصرافها إلى العمل، وبالتالي تحقيقها استقلالها الاقتصادي". [113]

- المرأة المظلومة (المضطَهَدة)

يرى هشام شرابي أن المجتمع العربي بعدّه مجتمعاً شبه إقطاعي في مؤسساته والعلاقات القائمة فيه، يحافظ على استمراره من خلال المحافظة على عاداته وتقاليده، وبذلك يحافظ على العلاقات الإنتاجية التي تتسم بسمة السلطة الفوقية؛ فصاحب السلطة في المجتمع هو الذي يملك، وما على الناس إلا أن تقبل وترضخ، والكبير في مجتمعاتنا هو دائماً الذي يتحكم ويسيطر؛ فالكبير صاحب السلطة في المجتمع هو صورة مكبرة عن الأب في العائلة بتصرفاته ونظرته لنفسه وعلاقته بمن هم دونه، لهذا، من الطبيعي أن يميل الذكر في مجتمعاتنا إلى حب السيطرة، واحتقار المرأة، فتكون شخصيته كشخصية أبيه. [114] وبالتالي سيكون نتاج ثقافة هذا المجتمع اضطهاد المرأة والتقليل من شأنها والنظرة إليها بالدونية.

والمرأة الريفية "تعمل من أجل الرجل، وتخدم من أجل الرجل، وتملك من أجل الرجل، أي أنها تدور دائماً في فلك "رجولي"، وحياتها دون الرجل لا قيمة لها لأنها لا تكتسب قيمتها الاجتماعية إلا من خلاله، ولا يقيّمها الناس إلا من خلال علاقتها به.... وعلى هذا النحو من التدريب والتعويد، وغرس الأفكار تنشأ المرأة الريفية على الإيمان بقيمة الطاعة، وبذلك لا

[113] هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، ط4، دار نلسن، بيروت، 2000، ص73.

[114] هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، ط6، دار نلسن، بيروت، 1999، ص28،27.

تشعر بأية غضاضة ولا تأفف من سيادة زوجها عليها... بل والغالبية العظمى من النساء الريفيات يكرهن سلوك المرأة قوية الشخصية التي تُكثر من الاعتراض والمناقشة".[115]

ومحمود شقير في رواية "فرس العائلة" بيّن اضطهاد المرأة وظُلمها في الكثير من المواقف؛ فقد برزت قضية التمييز بين الذكر والأنثى بوضوح تام؛ فالعائلة كان مولعة بإنجاب الأطفال الذكور، والتباهي بهم؛ ليزيد نسل عائلة العبداللات، ويبدأ التمييز من لحظة الولادة، فيُستقبَل قدوم الولد بالفرح والسعادة والزغاريد، أما البنت فتستقبَل بالاستياء والاستنكار، ويؤكد ذلك يوسف الشحادة حين ذكر في كتابه بأن سحر خليفة ترى أن المرأة "شبه مرفوضة من المجتمع منذ لحظة ولادتها، فلا تستقبل بالفرح والسرور كما يحدث مع المولود الذكر"،[116] وهذا ما حصل مع مثيلة زوجة منان عندما ولدت بنتاً، احتضن منان المولودة على مضض، ولم يتأمل ملامح وجهها؛ فتوقعاته كانت أن يأتيه ولد، فخيّم على المكان أجواء الهدوء والحزن والاستنكار؛ ما انعكس سلباً على علاقتها بزوجها؛ فحب الرجل لزوجته أو نفوره منها يتوقف على إنجابها للذكور أو الإناث، ولكن هذا الوضع اختلف عندما أنجبت مثيلة منه ثلاثة صبيان في ثلاث سنوات متتابعات؛ ما أدى إلى تعزيز مكانتها لديه.

هذا الظلم الواقع على المرأة يشمل الزوجة والمولودة أيضاً؛ فالزوجة تُعزز مكانتها أو تُهجَر بناءً على جنس المولود الذي تنجبه؛ فالمسؤولية في تحديد جنس المولود تقع على عاتقها فقط، ولا دخل للزوج فيها؛ بحكم العادات والتقاليد المتبعة، والمولودة تظلم منذ لحظة ولادتها،

---

[115] سامية الساعاتي، علم اجتماع المرأة: رؤية معاصرة لأهم قضاياها، مرجع سابق، ص109،107،106.

[116] يوسف محمد ذياب الشحادة، الرواية الفلسطينية في الضفة وقطاع غزة، ط1، وزارة الثقافة الفلسطينية، الهيئة العامة للكتاب، 2009، ص108.

وهذا الظلم لا يزول مع مرور الأيام، بل يكبر معها، فتُفَتح عينيها على التفرقة بينها وبين الذكر في كل صغيرة وكبيرة، لهذا تصبح الأم راغبة في إنجاب الذكور.

وفي موقف مقابل لقدوم البنت واستياء منان من مثيلة، ما حصل معه عندما أنجبت زوجته الأخرى وضحاء ولداً؛ فقد شعر بالعزة، وسلّم عليها وحمد الله على قيامها بالسلامة، وحمل الولد بين ذراعيه في فرحة كبيرة، وتهافت المهنئون عليهم، واستقبلهم بسعادة، بالإضافة إلى سعادة أمه؛ لأن ابنها أصبح لديه ثلاثة أولاد يحملون جميعهم اسم جدهم محمد.

التمييز بين الجنسين جاء نتيجة مجتمع ذكوري بطريركي ينتصر لفكرة فوقية الرجل ودونية المرأة، وعزت الثقافة الشعبية سبب ذلك إلى عدة عوامل، حسب ما ذكر عابد الزريعي في كتابه، أولها: قضية العرض؛ فالمرأة بحاجة إلى رجل يحمي شرفها وعرضها؛ فبدون هذا الحامي تصبح المرأة عرضة للابتذال، والحامي لا بد أن يكون في مرتبة متقدمة عن المحمي، كما أن الأنثى تقترن تربيتها بالمشقة والهم والقلق؛ لأنها مرتبطة في المعتقد الشعبي بفكرة جلب العار، كما أنها كالسلعة يمكن أن تشترى من الخُطّاب، ويمكن أن تُرفض. والعامل الثاني: الحماية الاقتصادية التي يقدمها الرجل للمرأة، كونه هو المعيل والعامل؛ فهو المنتج وهي المستهلك – كما ترى الثقافة الشعبية–، هذا الدور الاقتصادي للرجل أعطاه الفوقية على المرأة، العامل الثالث: مفهوم العائلة في القطاع الزراعي؛ فالعائلة من الضروري أن تتسم بكثرة عدد أفرادها، سواء كان بسبب العمل في الزراعة، أو بسبب التصدي للمشاكل التي تحدث مع العائلات الأخرى، وهؤلاء الأفراد لا يمكن أن يكونوا إلا ذكوراً، وهذا ما جعل

الرجل في مرتبة متقدمة عن المرأة، كما أن الكثير من الأمثال الشعبية التي تُتَداول تؤكد على فوقية الرجل ودونية المرأة. [117]

إذن، فتُعدّ المرأة ضحية أفكار وتقاليد اجتماعية متوارثة، تمجد إنجاب الذكور بكثرة في ظل مجتمع زراعي تقليدي يلح على ضرورة الإكثار من الذكور للعمل في الزراعة أو التصدي للعائلات الأخرى عند حدوث المنازعات، ويقع نتيجة الرغبة في إنجاب الذكور ضحية وهي المرأة، فتحاول بأقصى الوسائل أن تحمل وتُنجب المزيد من الذكور؛ كي تمكن من ترسيخ مكانتها في بيت زوجها وحتى في المجتمع المحيط بها، وتصبح "قضية الإنجاب وإنجاب عدد كبير من الذكور وسيلة دفاعية تعتمدها المرأة لحماية نفسها من الطلاق؛ من ناحية؛ ولحماية نفسها من وجود زوجة ثانية في البيت من ناحية ثانية، ولاختراق عملية القهر الاجتماعي مستقبلاً من خلال لعبها دور الحماة المشرفة على مجموعة من الكناين يتحدد عددهن بعدد أولادها في الأسرة الكبيرة من ناحية ثالثة"، [118] وعندها تلجأ إلى السحر والشعوذة والنذور كي تحقق غايتها، وتصدق كل شيء في سبيل ذلك، وعندها تتحول هذه الضحيّة إلى امرأة مستغَلَّة كما حصل مع **مثيلة** في رواية "فرس العائلة" التي استُغلَّت من تاجر انتهز حاجتها إليه، فحقق غايته. بعد انقضاء عدة أشهر من زواج مثيلة بمنان لم تحمل؛ ما جعل زوجها يضجر من تأخر حملها، الأمر الذي نغّص عليها، وجعلها في قلق دائم حول مستقبلها، خاصة عندما رأت كثرة الزواج في العشيرة، ولهفتهم على الإنجاب، وغيرتها من ضرتها التي أنجبت ولداً، وخوفها من أن تكسب ضرتها المساحة الأكبر في قلب

[117] عابد الزريعي، المرأة في الأدب الشعبي الفلسطيني، مرجع سابق، ص42–44.

[118] المرجع السابق، ص137،138.

زوجها، فلجأت إلى تاجر أتى إلى المضارب ليبيع أدوية؛ إذ اقتربت منه بعدما تفرقت النسوة التي كانت متجمعة عنده؛ كي تطلب منه دواء للحمل، فاستغل حاجتها إلى ذلك، ودخل بيتها وطلب منها أن تستلقي على ظهرها وتغمض عينيها، بحجة معالجتها عن طريق المساحيق والتمتمات التي كان يصدرها كي تستطيع الإنجاب، مستغلاً حاجتها إلى الحمل، حتى سلّمته نفسها ونال منها.

هذه المرأة التي تعاني من الحرمان في إنجاب الأطفال دفعها ذلك إلى أن تثق بشخص غريب، صدّقت بأنه يستطيع أن يداويها فسلمته نفسها، فانطبق عليها المثل القائل "الغريق يتعلق بقشة"، فكان التاجر هي القشة التي تعلقت فيها مثيلة، واستغلالها كان نتيجة لرغبات متراكمة في مجتمع يظلم المرأة، ويجعلها تعيش في ضغوطات كبيرة وقلق دائم ينغص عليها حياتها، فتشعر بأنها الحلقة الأضعف وأن كل المسؤولية تقع على عاتقها، فتدخل بتحد كبير لتنجب، وتلجأ إلى كل الوسائل حتى المحظورة منها لتحقيق ذلك، وإلا ستكون "شجرة غير مثمرة تستحق القطع*".[119]

والموقف الذي حصل مع صفية زوجة منان يشير إلى ظلم المرأة ودونيتها وتفوق الرجل عليها؛ فعندما كان منان يرى بأن ابنها موهوب من الله وقادر على شفاء الناس بقراءة القرآن ترتفع مكانتها لديه، وعندما يرتكب خطأً يجعله يفقد ثقته به، تعود صفية إلى المرتبة المتدنية عنده؛ فابنها أهبل، لذا يعود إلى عدم الاهتمام بها؛ فالمرأة هنا خاضعة لأهواء الرجل ورغباته، وما عليها سوى الانتظار في مضربها حتى تأتي رغبته بها.

[119] عبارة مستوحاة من المثل الشعبي القائل: " الشجرة اللي ما بتثمر حلال قطعها".

ويظهر ظلم المرأة في التفرقة الجنسية من خلال التعليم؛ فقد أُسست في القرية مدرسة لتعليم الصبيان فقط، ولم يفكر أحد بتأسيس مدرسة للبنات، لكن فيما بعد أرسل عدد من الأشخاص بناتهم للتعليم، ولم يسلم هؤلاء من ألسنه الناس واتهامهم لهم بانعدام الشرف والأخلاق.

كما يظهر ظلم المرأة أيضاً في تعدد الزوجات الشائع في عائلة العبداللات؛ فيتزوج الرجل على زوجته عدة زوجات بغير عذر، دون مراعاة للعدالة بينهن، ودون أن يكون لها أي رأي في هذا الموضوع؛ فتتربى على قبول ذلك، واعتباره أمراً طبيعياً، وتتحمل غيرة الضرائر ومشاكلهن، وينشأ عادة الصراع بين الضرائر، كل منهن تحاول الاستئثار بقلب زوجها، وعادة تبادر إلى المشاكل الزوجة القديمة باعتبارها المهمَلة في حياة زوجها؛ فطبيعة حياة البدو والقرى وعملهم في القطاع الزراعي أدى إلى انتشار عادة الزواج بعدة نساء؛ رغبة في زيادة عدد الأولاد لمساعدتهم في الزراعة، كما كان الأولاد موضع التفاخر والتباهي؛ فوجودهم يثبت رجولة الرجل وخصوبة المرأة.

فالفلاحون الفلسطينيون أثناء عملهم في الإنتاج الزراعي وجدوا أنفسهم مضطرين إلى إيجاد فائض إنتاجي يمكنهم من تأمين حاجاتهم، وتغطية الضرائب المفروضة عليهم من قبل الدولة، لذلك أصبح من الضروري تأمين المزيد من القوى البشرية العاملة، فانخرطت المرأة والأطفال إلى هذا العمل، ووجدوا أنفسهم بحاجة إلى المزيد من القوى فلجؤوا إلى حل هذه المشكلة عن طريق تعدد الزوجات وتمجيد إنجاب الذكور وتطليق المرأة العاقر، وتزويج الأبناء الذكور في سن مبكر.[120]

[120] عابد الزريعي، صورة المرأة في الأدب الشعبي الفلسطيني، مرجع سابق، ص168.

يتضح ظلم المرأة –أيضاً– لدى مرجانة زوجة عبد الهادي (والد وضحاء)؛ فقد كانت تقوم بواجباتها على أكمل وجه، تخدم زوجها، وتعمل في البيت والحقل والحظيرة، ومع ذلك لا تسلم من الشتائم والضرب من زوجها؛ فلم يكن يعجبه العجب ولا صيام برجب كما وصفته صبحاء، وبعد هذا التعب، يجب أن تكون في الليل جاهزة لرغبته، ومع ذلك احتملت البؤس والشقاء، ولم تكن تشتكي؛ فالمرأة لا تملك سوى الصبر والتحمل؛ فالبيئة المحيطة بها لم تعطها الحق في التصدي للزوج، وهذا ليس جديداً في اضطهاد المرأة؛ فهذه تراكمات متوارثة منذ القدم، ترسخت في أذهان الأفراد – رجالاً ونساءً–؛ فالثقافة الريفية العربية لا ترضى عن الزوج "إلا إذا كان مسيطراً على زوجته وسيداً لها؛ فالزوج في علاقته مع زوجته ينبغي أن يُظهر البرود واللامبالاة والاستخفاف برأيها، وعدم الاستماع إليها. أما الزوجة فعليها أن تخدم زوجها وتحترمه وتطيعه ولا ترد الإهانة".[121]

حرمت المرأة من أبسط الأمور؛ فلم يكن لها الحق في تسمية ابنها التي تعبت في إنجابه، مثلما حصل مع وضحاء عندما أنجبت الولد؛ إذ أسماه أبوه "محمد"، ولم تكن راضية في داخلها عن هذا الاسم؛ لأن أصبح لدى زوجها ثلاثة أولاد يحملون الاسم نفسه؛ فهي تحب أن يكون لابنها اسم خاص لا يشاركه به أحد، وعندما ظهر على وجهها الانزعاج، قرصتها أمها حتى لا ينتبه زوجها؛ فالمهم هو فرحة الأب بمولوده الذكر دون أن يعكر مزاجه أي شيء، بينما هي عليها أن تحتمل انزعاجها، ولا تظهره؛ مراعاة لزوجها، دون الاكتراث بمشاعرها.

[121] حسين رشوان، المرأة والمجتمع، مرجع سابق، ص109.

كما يظهر اضطهاد المرأة والشعور بفوقية الرجل عليها من خلال موقف الشيخ محمد وزوجته مثيلة في طريق ذهابهما إلى القدس؛ إذ ركب الرجال الخيول والجمال والبغال، بينما مشت النساء على أقدامهن، حينها تمنت مثيلة الركوب على الفرس خلف زوجها؛ فقد كانت تتساءل في نفسها كيف بإمكانها أن تمشي كل هذه المسافة مشياً على الأقدام والطريق طويلة.

تتعرض المرأة في رواية "فرس العائلة" إلى ظلم مضاعف؛ فمن ظلم الرجل مروراً بظلم المرأة نهاية إلى ظلم المجتمع لها، لهذا تصبر وتتحمل وتكبر على هذا الظلم، وقد لا تعي عظم هذا الظلم، وتتحول تلقائياً من مظلومة إلى مشاركة بهذا الظلم؛ فعندما تصبح أماً تمارس هذه التفرقة على أولادها وبناتها وزوجات أولادها دون أن تعي هذا الظلم؛ فتلك الثقافة السائدة التي تربت عليها، والتي اعتادت أن تراها في أمها وأم زوجها وجاراتها وقريباتها.

ظلم المرأة كما ترى نوال السعداوي جاء نتيجة للنظام الطبقي الأبوي، فتقول: "اضطهاد المرأة لا يرجع إلى الشرق أو الغرب أو الإسلام أو الأديان الأخرى. ولكنه يرجع أساساً إلى النظم الطبقية الأبوية في المجتمع البشري كله".[122] وذكر حسين العودات أن المجتمع العربي الذكوري ظلم المرأة وتعامل معها "كالسلعة تباع وتشترى، ومُلك يمين ورقيق لزوجها، كما رأى حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في القرن الحادي عشر الميلادي".[123]

أما في رواية "مديح لنساء العائلة" فوضع المرأة اختلف قليلاً؛ بحكم تغير الزمان والمكان– وهذا ما ذُكر سابقاً؛ إذ أصبح للمرأة الحق في الخروج للعمل أو التعلم، ومشاركة زوجها في

[122] نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي: الوجه العاري للمرأة العربية، مرجع سابق، ص703.

[123] حسين العودات، المرأة العربية في الدين والمجتمع: عرض تاريخي، ط1، دار الأهالي، دمشق، 1996، ص8.

أمور بيتهما، وأصبحت صاحبة رأي ومشورة ولها كلمتها، وهذا لا يعني حصول المرأة على تحررها الكامل ومساواتها بالرجل.

أظهر شقير في هذه الرواية شخصية محمد الأصغر لتكون دفاعاً عن ظلم المرأة واضطهادها؛ إذ جعل من محمد الأصغر مؤلفاً يكتب قصة تتحدث عن الظلم الواقع على النساء؛ فقد كان غاضباً من سوء حال المرأة والظلم الواقع عليها، فأثار قضية ليلة العرس وشدة الخوف الذي ينتاب العروس، دون أن يبالي العريس بمشاعرها؛ فالمهم عنده أن ينفّذ وصية والده بأن يقطع رأس القط من هذه الليلة، وإلا ستركبه العروس، ويصبح ذليلاً مهاناً، بالإضافة إلى الواجب الذي على العريس أن يؤديه في تلك الليلة خلال دقائق معدودة دون أن يمهل العروس لممارسة أي نوع من الدلال؛ ما يترك ألماً في أحشائها يجعلها تنفر من ممارسة العلاقة مع زوجها. أظهر –أيضاً– قضية المنديل الأبيض الغارق بدم العروس الذي ينتظره الأهل في الخارج، والذي يكون دليلاً قاطعاً على نقاء المرأة وطهارتها.

ففي المعتقدات الشعبية كان شائعاً عادة انتظار أقارب العروس والعريس على باب غرفتهما في ليلة عرسهما، وسط أجواء من التصفيق والتهليل والطرق على الباب، ينتظرون المنديل الأبيض الغارق بدم العروس، وعند انتهاء العروسان من مهتهما تخرج الداية ومعها المنديل، فتحمله أم العروس في فرحة وسرور وهي تزغرد؛ إثباتاً لعذرية ابنتها وطهارتها وعفتها، وتُقبل أم العريس على ابنها وتقبّل يديه مفتخرة برجولته، وعادة يؤخذ المنديل إلى الشارع ويرفع عالياً كالعلم، وسط أجواء من الزغاريد وإطلاق الأعيرة النارية. يتجه أقارب العروسين بعدها إلى بيت والد العروس الذي يستقبلهم بكل فخر مرفوع الرأس، وقد تتحول ليلة العرس إلى

جريمة بحق الفتاة التي أثبتت هذه الليلة عدم عذريتها؛ فهي فرطت في شرفها وعرضها كما يقولون، ويلجأ أهلها إلى قتلها؛ لأن ذلك يغسل عارهم. [124]

وطرح محمد الأصغر في القصة قضية اضطهاد المرأة من خلال حبسها داخل المنزل، وعدم السماح لها بالخروج منه، وكأنها قطعة من أثاث؛ إذ تحول هذا الرجل المتباهي بفحولته إلى رجل شكّاك، خاصة بعدما أظهرت نفوراً من الاقتراب منه؛ بسبب ما حصل معها في ليلة العرس، فيغلق الباب بالمفتاح عليها عند خروجه للعمل، ليعود مطمئناً؛ لأن "البضاعة مخزونة في مكانها بأمان"[125] كما ورد على لسان محمد الأصغر، وتثور ثائرته عندما يجد مفتاحاً إضافياً للبيت غير الذي يملكه، وأخذت تتفجر الشكوك لديه؛ ما أدى بها إلى الدفاع عن نفسها وقسمها له بأنها عفيفة، وبررت ذلك بأن لولا هذا المفتاح الذي استطاع أحد أخوتها الحصول عليه لماتت من القهر في ظل هذا الحبس.

القصة التي ألفها محمد الأصغر تُظهر عادات وتقاليد مجتمعية بالية تظلم المرأة وتضطهدها؛ فهي ليست قصة من وحي الخيال، بل قصة واقعية تتكرر يومياً، يقع ضحيتها الكثير من النساء. وكأن شقيراً أراد طرح هذه القضايا الظالمة للمرأة من خلال اختفائه وراء شخصية محمد الأصغر؛ فكانت أفكار محمد الأصغر وقناعاته ما هي إلا انعكاس لأفكار شقير؛ حيث يرى الأصغر بأن نساء العائلة مظلومات، وينادي من خلال حديثه عن ظلم المرأة بضرورة التغيير من وضعها، فاستقال من وظيفته في المحكمة الشرعية؛ "كي لا يكون

[124] سامية الساعاتي، علم اجتماع المرأة: رؤية معاصرة لأهم قضاياها، مرجع سابق، ص234،233.

[125] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص147.

شاهداً على الظلم الذي تتعرض له النساء استناداً إلى قانون الأحوال الشخصية".[126] يرى هشام شرابي بأن التغير لا يحصل "إلا مع تبديل نوع العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة، وذلك عن طريق الممارسة في المجتمع– وهذه عملية طويلة الأمد"،[127] وترى نوال السعداوي أن من العوامل المهمة في التغيير هي التربية، "تربية جديدة ترتكز على المساواة الكاملة بين المرأة والرجل في جميع مراحل العمر منذ الولادة حتى الممات، مساواة في الحقوق والواجبات خارج البيت وداخله وفي تربية الأطفال".[128] وتقول بأن تحرير المرأة ومساواتها بالرجل لا يمكن أن يكون في "مجتمع يفرّق بين فرد وفرد، وبين طبقة وطبقة. ولهذا فإن أول ما يجب أن تدركه المرأة أن تحريرها إنما هو جزء من تحرير المجتمع كله".[129] وربط قاسم أمين في كتابه "تحرير المرأة" بين انحطاط المرأة وانحطاط الأمة، وبين ارتقاء المرأة وتقدم الأمة. [130]

لقد كان لنشأة هذه العائلة في بدايات حياتها في المضارب، ثم انتقالها إلى مشارف مدينة القدس، وخضوعها لاحتلالات متتالية، بدءاً من العثماني، مروراً بالإنجليزي وصولاً إلى الإسرائيلي الذي ما زال قائماً حتى الآن الأثر الكبير في حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والفكرية؛ وانعكاسه سلباً على حياة المرأة وتحررها، فعانت ظلماً مزدوجاً: ظلم المجتمع الذكوري الذي أوجده النظام البطريركي الأبوي القائم على تهميش النساء، وظلم الاحتلال الذي أثر في تطور المجتمع، وذكرت فيحاء عبد الهادي أن المرأة الفلسطينية تعاني:

---

[126] مصلح مصلح، مقال نشر بعنوان" العشيرة تدخل الحداثة"،2016، متوفر على الموقع www.ultrasawt.com تاريخ الزيارة 2017/3/10

[127] هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مرجع سابق، ص76،77.

[128] نوال السعداوي، المرأة والجنس، ط2، ص194 ملف Pdf

[129] نوال السعداوي، المرأة والجنس، مرجع سابق، ص194.

[130] قاسم أمين، تحرير المرأة، دار المعارف، تونس، 1990، ص137.

"معاناتها الخاصة لكونها امرأة أولاً، ولكونها فلسطينية لها قضية خاصة ثانياً،..... حيث المعاناة المشتركة مع الرجل في مواجهة المحتل الذي يشكل وجوده تغريباً للإنسان الفلسطيني في وطنه، بالإضافة إلى اغترابها الخاص بوصفها امرأة عن كثير من القيم والمفاهيم التي تكبلها".[131]

وعلى المجتمع أن يعي بأهمية بالمرأة، ويرى هشام شرابي بأن المرأة هي القاعدة والركيزة للمجتمع، بحسب مقولة نابليون بونابرت (اليد التي تهز السرير هي اليد التي تهز العالم)،[132] لذا من الضروري على المجتمع الاهتمام بها وبقضية تحررها من سلطة الرجل وسيطرته، ومن القيود المفروضة عليها؛ حتى يستطيع نيل الحرية والخلاص من الاحتلال؛ إذ إن تحرير المرأة قضية مهمة للوصول إلى تحرير الوطن، وهذا ما أكده محمد الأصغر من خلال ما ورد على لسانه حين قال: "كنت أربط بين ظلم النساء وضياع البلاد، وأقول لبعض الأصدقاء: لن نتمكن من تحرير البلاد ما دمنا نظلم النساء"،[133] وتقول نوال السعداوي: "التاريخ يدلنا على أن الثورات الاشتراكية وحروب التحرير تسرع بعملية تحرير المرأة في الشرق أو في الغرب، وقد ساهمت حرب التحرير الجزائرية في كسر كثير من قيود المرأة بالجزائر، كذلك تسهم حركة التحرير الفلسطينية في تحرير المرأة الفلسطينية مما يربط بين قضية تحرير الشعب ككل وقضية تحرير نسائه".[134] ونشر أحمد لطفي السيد الذي يعد من أهم الدعاة إلى تحرير المرأة مقالة بعنوان "بناتنا وأمهاتنا"، دار محتواها "حول معنى سام

---

[131] فيحاء عبد الهادي، نماذج المرأة البطل في الرواية الفلسطينية، مرجع سابق، ص74.

[132] هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، مرجع سابق، ص120.

[133] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص90.

[134] نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي: الوجه العاري للمرأة العربية، مرجع سابق، ص704.

عميق وهو أن تحرير الأمهات قبل تحرير الأوطان".[135] وحتى يحصل المجتمع على حريته وخلاصه من الاحتلال، لا بد من تحرره وتحرر رجاله، ولن يتم ذلك إلا بتحرير المرأة؛ فتحريرها، –كما يرى هشام شرابي–، "جزء لا يتجزأ من عملية تحرير الرجل وتحرير المجتمع بكامله"،[136] ويرى بأن درجة رقي المجتمع أو تخلفه مرتبطة بالإنسان "فإذا كان الإنسان في هذا المجتمع مقهوراً أو مذلولاً أو مستغلاً الخ، فالمجتمع مهما بلغ من الرقي المادي والحضارة، يبقى مجتمعاً متخلفاً إنسانياً. بضوء هذه المقولة، فمقياس التخلف والتقدم الاجتماعيين هو الإنسان ومكانته في المجتمع".[137] وترى نوال السعداوي بأن "قضية تحرير النساء العربيات ليست قضية إسلامية وليست قضية حرية جنسية، وليست عداء للرجل، وليست ضد التقاليد الشرقية، ولكنها قضية سياسية واقتصادية أساساً، وهي ضد الأنظمة الاستعمارية داخل المنطقة العربية وفي العالم الخارجي".[138]

هذه كانت نماذج صورة المرأة المضطهدة لدى شقير، والتي ظهرت معظمها في الرواية الأولى؛ إذ كانت شخصيات مقهورة، مغلوبة على أمرها، ضحية مجتمع ذكوري بطريركي ومحتل.

– المرأة الجسد

[135] سامية الساعاتي، علم اجتماع المرأة، مرجع سابق، ص153.

[136] هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، مرجع سابق، ص123.

[137] هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، مرجع سابق، ص206.

[138] نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي: الوجه العاري للمرأة العربية، مرجع سابق، ص863.

رسم شقير في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة" صورة للمرأة الجسد الذي يُشتهى، ووصف العواطف الملتهبة التي تصدر عن الرجل والمرأة؛ ما يقودهما إلى العلاقة الحميمة التي قد تحدث في الغرفة على السرير، أو في الحقل تحت الشجرة أو فوق العشب، أو داخل الحظيرة، وقد تكون هذه العلاقات شرعية، أو تكون غير شرعية، وفي الحالة الثانية كانت تقود دائماً إلى الزواج من المرأة التي مارس معها العلاقة، دون الغدر بها؛ فلم يصور شقير المرأة في روايتيه لعوباً، بل كانت داخل إطار المحافظة التي اعتادت عليه إلى حد ما؛ فشهوتها قد تدفعها إلى الاستجابة لممارسة العلاقة مع الرجل الذي تريد الزواج منه بطريقة عفوية دون تخطيط مسبق لذلك، وليس لأسباب أخرى كما حصل في الروايات التي دُرست في الفصل الأول، مثل الحصول على مال أو تحقيق حاجة معينة.

ظهرت هذه الصورة في عدة مشاهد، كالذي حصل مع فاطمة ومنان عندما كانا يرعيان الأغنام في "فرس العائلة"؛ إذ جلسا بجانب بعضهما بعضا، وتبادلا أحاديث، حتى تداخل قطيعه مع قطيعها بطريقة يصعب التمييز بينهما، وشعر بحمى تسري في بدنه، ولامس جسده جسدها، فاشتعلت شهوتهما المتأججة، حتى تمددت على العشب، وسلمته نفسها.

وما حصل –أيضاً– في رواية "فرس العائلة" مع عبد الودود ونجمة في ليلة عرسهما، وما انتابهما من خجل في البداية، انتهى بكسر هذا الخجل الذي كشف عن جمال هذا الجسد.

ووصف الجسد المشتهى من خلال ما حصل بين منان وزوجته وطفاء داخل الحظيرة في رواية "فرس العائلة"؛ فقد كانت البيئة المحيطة بوطفاء التي تجعلها تقوم بحلب الأغنام، وما يجري أمام عينيها من جماع بين الحيوانات، تؤثر على إثارة شهوتها، وجعلها تمارس العلاقة

الحميمة مع زوجها داخل هذه الحظيرة، وهي تشم رائحة بول الحيوانات وبقايا حليبها؛ فالبيئة المحيطة هيأت لهما ممارسة العلاقة وكأنهما حيوانان يتجامعان؛ فوصف منان وكأنه تيس يبعبع، ووصف وطفاء بالعنزة التي تطقطق أسنانها.

وفي رواية "مديح لنساء العائلة" وصف فليحان الذي كان يسترق نظره إلى جسد النسوة اللواتي كنّ يجمعن أوراق الخبيزة والحشائش، فينظر إلى سراويلهن الداخلية ويتأمل ملامح أجسادهن البارزة، ومن بين هذه النسوة: رسمية التي أحبها وصار يلاحقها برغم من أنها مرتبطة بابن عمها، حتى استجابت له، ووصف ما حصل بينهما من علاقة حميمة على العشب.

الثقافة السائدة عندما تصور العملية الجنسية "تتخذ دائماً صورة الفاعل وهو الرجل وصورة المفعول وهي المرأة؛ صورة المبادر وهو الرجل وصورة المستجيب وهي المرأة؛ صورة المستفيد من العملية الجنسية وهو الرجل وصورة موضوع الاستفادة وهي المرأة".[139] هكذا كانت معظم الأنموذجات في الروايتين؛ إذ كان الرجل المبادر الذي يندفع بشهوته إلى المرأة وهي بذلك تكون المستجيبة.

"وجمال المرأة في المعتقد الشعبي يحفل بالجمال الحسي الذي يتحدث عن الأعضاء..... وجمال جسد المرأة جمال شكلي.... فيصفون جسمها بتفاصيله وأعضائه وصفاً صريحاً لا تتحرج الفتيات من التغني به وإنشاده في أوقات اللهو والترويح.. وفي مناسبات الخطبة

[139] عابد الزريعي، المرأة في الأدب الشعبي الفلسطيني، مرجع سابق، ص72.

والزواج"؛[140] إذ ورد من خلال أحداث الروايتين الكثير من المواقف التي يظهر فيها جمال جسد المرأة الحسي وملامحه البارزة، خاصة عندما ذهبت النسوة إلى الحمامات.

هكذا رسم شقير صورة المرأة الجسد، بحيث وصف ولع الرجل ورغبته الشديدة في ذلك الجسد من خلال إبراز تفاصيله؛ لإشباع ظمأ جنسي. وصوّر الرجل المبادر الفاعل الذي يبدأ العملية، والمرأة المستجيبة والمفعول؛ فمن المألوف أن يبدي الرجل شهوته، ولكن المرأة لا يحق لها ذلك، لهذا قد تنتظر زوجها سنوات طويلة حين يهجرها في فراشها. كما صور هذا الجسد من خلال الدور الذي تؤديه المرأة في الحمل والإنجاب. ويذكر مصطفى حجازي بأن اقتصار جسد المرأة على الحمل والولادة، دون الاعتراف لها بحق التمتع بجسدها، هي "حالة مفرطة من القمع، وقد يؤدي القمع الجنسي عند المرأة إلى جمود كيانها كلياً، وهكذا تصبح جسداً جامداً، تقيده الموانع والصدود، فاقداً كل حياة.... فالجسد مجرد أداة جنس، ولكنه يجب ألا يحمل أي رغبة جنسية، أو يبدي أي تعبير جنسي".[141]

وبيّن شقير في مقابلة معه أنه حين رسم صورة الجسد والجنس لم يبرزه "على حساب إنسانية المرأة واحترامها لجسدها، وإنما باعتباره عنصراً من عناصر حياة الكائن البشري في وضع اجتماعي محدد".[142] ويمكن القول، بأن شقيراً لم ينجح في ذلك، بل بالغ في رسمه لصورة المرأة الجسد، كما بالغ في رسمه للعلاقة الحميمية بين الطرفين، فقد يظن القارىء

---

[140] سامية الساعاتي، علم اجتماع المرأة، مرجع سابق، ص226،223.

[141] مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مرجع سابق، ص216.

[142] مقابلة مع الكاتب محمود شقير، أجراها السيد حسين، مجلة الأهرام، ع1019، 2016، ص59،58.متوفر على الموقع الالكتروني http://www.ppp.ps/ar_page.php?id=138abbdy20491197Y138abbd تاريخ الزيارة 2017/3/10

وهو يقرأ العديد من المشاهد التي تشير إلى هذه الصورة بأنه أمام رواية جنسية، وكان بإمكان شقير أن يكتف بالقليل من هذا الوصف في إظهاره لهذه الصورة.

ويرى الكاتب مصلح مصلح من خلال مقالة نشرها أن "أي تغير جدي أي حداثي يبدأ من تغيير علاقتنا بالجسد، من جسد المرأة بالذات، من الكف بالنظر إليه كونه وعاء للذة، بل بالنظر إليه كوعاء لتجلي الروح التي تتوق للانعتاق من كل قيد. يقصد محمد البحر كي يمنح زوجته فرصة اكتشاف جسدها كموطن للحياة والبهجة والسرور، عله يشكل مدخلاً لتخلصها من مشاعر الإثم والنقص والرذيلة التي علقت به طوال القرون الماضية".[143]

- المرأة الحبيبة

بالرغم من شيوع بعض العادات في القرية التي تظلم المرأة – كما ظهر ذلك في رواية "فرس العائلة"–؛ كتعدد الزوجات، وتفضيل الذكر على الأنثى، وعدم استشارة المرأة في الكثير من الأمور، إلا أن ذلك لا يخلو من أن تكون المرأة الشريك الحبيب للرجل، يشعر تجاهها بالحب، ويقدم لها الحنان والدلال، ويعيش معها بانسجام، وهذا لا يعني تحقق المساواة بين الرجل والمرأة؛ فقد تصبح الزوجة الجديدة فيما بعد قديمة.

هذه الصورة ظهرت في بعض نسوة العائلة؛ كهيفاء زوجة عثمان التي كانت الحبيبة لزوجها، تعيش معه بسعادة وانسجام؛ إذ كانا يعيشان داخل بيت مليء بالدفء والحنان، يسعدان بالانسجام والتفاهم، تجلس بجواره على ضوء الشمعة يعلمها القراءة والكتابة وحفظ الأناشيد والقصائد، وتطيعه في كل ما يطلبه منها.

---

[143] مصلح مصلح، مقالة بعنوان: العشيرة تدخل الحداثة، 2016، متوفر على الموقع www.ultrasawt.com تاريخ الزيارة 2017/3/10

ظهرت صورة المرأة الحبيبة –أيضاً– في "**مهيوبة**" زوجة علي أوغلو، ذلك الشاب التركي الذي هرب من الجيش وعاش مع العشيرة في المضارب؛ إذ كان يحبها كثيراً ويدللها، يحملها بين ذراعيه ويمشي بها في جميع أنحاء البيت؛ ما دفع فطومة إلى القول بأن علي أوغلو يصلي لمهيوبة ويعبدها؛ فهو– كما وصفته مهيوبة– محب، خدوم، حنون، كثير العاطفة. عاش معها ثماني عشرة سنة وهي لم تنجب، ومع ذلك بقي يحبها ولم يبد أي تذمر، كان يشعر وكأنه تزوجها قبل أيام، فيزداد حبه لها يوماً بعد يوم. وفي مقابل هذا الحب كانت هي الأخرى تحبه وتدلله، ومن شدة حبها له حثته على الزواج بامرأة أخرى كي ينجب منها، وحين عرفا أنها عاقر زاد تدليله لها ؛ محاولاً التخفيف عنها؛ إذ اصطحبها إلى المدينة كي يشتري لها كل ما تتمناه، وأخذها إلى المطعم ومحل التصوير؛ كي يلتقطا صورة تذكارية لهما.

"**مروادة**" زوجة وطّاف في "فرس العائلة" هي –أيضاً– نموذج لهذه الصورة؛ إذ عاشا معاً في انسجام تام، يدللها ويحملها بين ذراعيه كالعصفورة، ويمشي بها إلى الحقل، أو إلى بيت والده، يحممها ويداعبها كبنت صغيرة، كان وطاف مولعاً بها لدرجة أن النساء كان يحسدن مروادة على حسن حظها.

وظهرت المرأة الحبيبة في" فرس العائلة" في صورة حفيظة، تلك المرأة التي ذاع صيت جمالها في البرية، وتهافت الخطّاب على بيت أبيها، وأصبح كل من يراها يقع في حبها، وراح بسبب جمالها والوقوع في حبها أحد عشر قتيلاً من بينهم محمد ابن الشيخ عبدالله (والد منان)، واستمرت عمليات الأخذ بالثأر والانتقام بين ثلاث عشائر مدة عشر سنوات، إلى أن تدخلت عشائر أخرى وأوقفت النزاع من خلال إقامة صلح بين هذه العشائر.

وقد تظهر صورة المرأة المحبوبة من خلال فقدانها لحبيبها، وتألمها ومعاناتها على خسارة ذلك الحبيب؛ كمعزوزة أخت هيفاء التي قتل حبيبها، وظلت وفية له تزور قبره، إلى أن قررت الانتحار والالتحاق به، فتمددت بجانب قبره وخلعت ثوبها ومنديلها؛ استعداداً لتناول السم، ولكن خُيّل لها صوت محبوبها يمنعها من الإقدام على هذا العمل؛ ما جعلها تعود إلى القرية وتحجم عن هذه الفكرة، آخذة معها تراب من قبره، كي تظل تشتم رائحته من خلال هذا التراب.

وقد يدفع المحبوب الثمن غالياً نتيجة حبه وولعه؛ كفليحان الذي عشق رسمية التي كانت مخطوبة من ابن عمها؛ إذ أحبها بهوس، وخطفها من ابن عمها، وتحمّل الصعاب بسبب حبه لها، وانتهى به المطاف مشلولاً جالساً على كرسي متحرك؛ بسبب إصابته برصاصة من ابن عم رسمية (سرحان) الذي حاول قتله.

هذه النماذج التي تمثل صورة المرأة المحبوبة كما ظهرت في رواية "فرس العائلة"؛ إذ لم تكن في هذه النماذج المرأة تقوم بدورها كزوجة أو خطيبة فقط، بل كانت حبيبة وعشيقة، ينظر لها على أنها أنثى لها مشاعرها، تُدلَّل وتحظى بالاهتمام، امرأة شريكة للرجل، لا تقتصر علاقتها به على الزواج التقليدي الذي يصوره بعض الكتّاب أنه بعيد عن الحب. أما في رواية "مديح لنساء العائلة" فمع تغير الزمن والتغير الاجتماعي الذي أثر في دور المرأة، أصبح من المألوف أن يُرى امرأة لها كلمتها ومكانتها في بيتها ولدى زوجها، ولم يعد دورها يقتصر فقط على الأعمال التقليدية كما كانت في السابق، بل أصبحت زوجة وحبيبة وشريكة لزوجها في أعمالهما المستقبلية كما ظهر ذلك في شخصية مريم، وسناء، ونوال.

- المرأة الثرثارة وصاحبة المكيدة

ظهر في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة" العديد من أنموذجات المرأة التي تتسم بالفضول، وتحب الجلوس مع نسوة أخريات؛ كي ينشغلن في الحديث عن أتفه الأمور. نسوة يحببن القيل والقال، يستغبن دون أن يسلم أحد من شرهن، يتحدثن عن خصوصياتهن وما يجري داخل غرف نومهن، ويبدين غيرتهن وحسدهن وكيدهن تجاه أخريات، وينشأ عن ذلك صراع فيما بينهن.

أشار عابد الزريعي في كتابه "المرأة في الأدب الشعبي الفلسطيني" إلى أن "واقع المجتمع الزراعي التقليدي حيث يسود نظام الأسرة الكبيرة... يخلق المجال لاحتكاك النسوة ببعضهن"،[144] وقد ظهر ذلك في مشاهد كثيرة في الروايتين.

ففي "فرس العائلة" كانت النسوة تجتمع مع بعضهن البعض، يثيرهن الفضول، ويستدرجن زريفة في الكلام لمعرفة تفاصيل علاقتها مع زوجها وسبب تأخر إنجابهما، ولكن زريفة تظل متكتمة على علاقتها مع زوجها ولا تحقق رغبتهن؛ ما جعلهن يحملن الكراهية لها. ظهرت فضوليتهن –أيضاً– من خلال الاستفسار عن طبيعة العلاقة بين منان وزوجته وطفاء حين انتابها قليل من الحزن، وإثارة التساؤلات حول سبب هذا الحزن.

كنّ يكثرن من الكلام الذي يؤذي الآخرين؛ فعندما غرقت سعدية في بركة الماء، أخذن يرمينها بالباطل، ويقلن أنها كانت على علاقة مع علي أوغلو جعلتها تحمل بطفل؛ فعندما تنكّر لهذا الطفل ولم يتقدم لخطبتها، جعل الدنيا تسودّ في وجهها؛ ما دفعها إلى الانتحار

[144] عابد الزريعي، المرأة في الأدب الشعبي الفلسطيني، مرجع سابق، ص128.

وإغراق نفسها في البركة. وكذلك فعلن بنوال في رواية "مديح لنساء العائلة"؛ إذ أخذن يرمينها بالباطل، ويتهمنها بأنها على علاقة مع الخطيب عبد القادر، حتى جيزيل البرازيلية زوجة عطوان (ابن منان) لم تسلم من لسانهن بالرغم من أنها تسكن بعيداً عنهن؛ فقد كن يتهمنها بعذريتها، وأنها أغرت شيطاناً عندما كانت تمشي في الشارع بملابسها اللافتة المغرية؛ ما جعله ينام معها ويفقدها عذريتها قبل أن يتزوجها عطوان بن منان.

كانت الغيرة تملأ قلوبهن من نجمة وجمالها الذي لا يجارى، ورحن يكدن لها المكائد، وينشرن الشائعات عليها "هذي دايرة على حل شعرها. هذي فالتة وعينها زايغة. من يوم ما صارت تتشلح في الحمام، وهي يا لطيف الطف يا رب! ".[145] يسخرن منها وهي مرتدية فستانها، ويقلن: "طلعت المدنية، طلعت الست، صارت تتكبر علينا، وما عدنا على قدر المقام".[146]

كما حسدن مهيوبة على حظها وزواجها من علي أوغلو الذي كان يدللها، وظهرت غيرتهن في "فرس العائلة" حين تجمعن عند مهيوبة لينظرن إلى الصورة التي التقطتها مع زوجها علي أوغلو؛ فكانت تعليقاتهن دليلاً على غيرتهن؛ إذ أبدين استياءهن وقلن كلاماً لم يعجبها. ظهرت الغيرة –أيضاً– بين زوجات المختار (وضحاء ومثيلة) في "مديح لنساء العائلة"، حين كنّ يتنافسن بأولادهن على الزعامة والاستئثار بقلب زوجهما منان.

وظهر هذا النموذج لدى صفية زوجة المختار منان، التي روت لضرائرها وجاراتها في الصباح ما حصل بينها وبين زوجها المختار في الليلة الماضية؛ فقد اعتاد رجال أهل القرية كي ينجبوا أطفالاً شجعان، أن يحتفظوا بتقليد معين ورثوه عن أجدادهم أثناء معاشرتهم

---

[145] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص279.

[146] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص111.

زوجاتهم، ولكن في تلك الليلة خرج منان عن هذا التقليد مع زوجته صفية؛ ما جعلها تبوح بهذا الأمر أمام النسوة، وتخبرهن ما جرى داخل غرفتها النوم، دون احترام لمشاعر زوجها، وأسرار بيتها، فضحكت نجمة ؛ لأن أسرار العائلة بدت مكشوفة.

لم يقف الأمر عند صفية على فضحها لأسرار علاقتها مع زوجها، بل وصل بها الأمر إلى الكذب والخداع من أجل تبرئة نفسها والمحافظة على إبقاء علاقتها مع زوجها التي تحسنت في الفترة الأخيرة؛ فعندما تزوج ابنها محمد الصغير وفشل في تحقيق واجبه مع عروسته، أصبحت تدبر المكائد؛ كي تبعد نفسها وابنها عن السبب؛ فبدأت بوضع اللوم على محمد الكبير الذي ملأ البيت أرواحاً شريرة؛ بسبب زجاجة الخمر الذي أحضرها ليلة عرس أخيه (محمد الصغير)، ولكن المختار لم يقتنع بكلام صفية؛ ما دفعها إلى الكذب والخداع واختراع حيلة بأن العروس أخته بالرضاعة، وأخذت تقسم بالله بأنها أرضعتها وهي صغيرة، ولكن هذا الكلام لم يؤخذ به؛ لأن أم العروس أكدت بعدم صحة هذا الكلام.

لم يكن يهم صفية بفعلتها هذه مدى الإيذاء الذي سببته لزوجها وابنها وزوجته وأهلها، ولم يكن يهمها غضب الله عليها ووقوعها في الحرام، بل كان همها الاحتفاظ بعلاقتها مع زوجها، وإغلاق أفواه النساء الشامتات بها.

ترى الثقافة الشعبية أن المرأة صاحبة مكيدة ومكر، والكثير من الأمثال الشعبية تؤكد ذلك؛ كالمثل الشعبي القائل: "حيل النسوان غلبت حيل الغيلان" و "البنت بتضرب إيدها على فخدتها بتطلع حيلتها"، والكثير من الحكايات الشعبية دارت حكايتها بأن حيل النساء غلبت

حيل الشيطان بكل ما يملكه من قوى خرافية، فعندما تسابق معها في الكيد والخداع اعترف بضعفه وفوزها عليه. [147]

ظهرت صورة المرأة الثرثارة –أيضاً– لدى فطومة زوجة عامر (عم منان)، التي دفعتها كثرة كلامها إلى فضح زوجها أمام النساء؛ إذ حاولت مع زوجها الذي كان عائداً من الحرب أن تمارس معه العلاقة الحميمة، لكنه لم يستطع، وظل على هذا الحال أكثر من شهر، كانت تبوح بذلك للنساء، حتى أن زوجها قال لها: "يا فطومة فضحتِني بين النسوان، وهذا حكم الله وعلينا إنا نقبل حكمه يا بنت الحلال"،[148] ولكن فطومة لم تمل، بل تريد أولاداً وبناتاً.

بعد فترة استطاع تحقيق غايتها؛ فلم تصدق من الفرحة، وانتظرت طلوع النهار وخرجت تحدّث النسوة ما جرى بينهما "قالت للنسوان: صدّقن وآمنن إني كنت ناوية أزغرد وأخلي اللي ما سمع يسمع، واللي ما عرف يعرف"،[149] ومن هذه الليلة حملت فطومة، وتحقق مناها.

ظهر كيد فطومة وغيرتها من وضحاء، حين تزوجت من منان، واعتقدت أن وضحاء لم تعرف الدورة الشهرية بعد؛ فتمنت أن يُحدثَ لها المختار ليلة عرسها نزيفاً يستدعي القابلة لإيقافه وينجم عن ذلك فضيحة، أو تهرب من البيت خوفاً من المفاجآت التي تنتظرها، ولكن أمنيتها لم تتحقق، حينما رأت وضحاء في اليوم الأول بعد عرسها بوجه مشرق، وكأنه لم يمسسها بشر؛ ما زادها كرها لوضحاء، وأخذت تحتال عليها وهي جالسة مع النسوة، وتحاول إحراجها بأنها رأت على رقبتها جرحاً خفيفاً؛ محاولة استدراجها في الكلام؛ لمعرفة ما حصل

---

[147] عابد الزريعي، المرأة في الأدب الشعبي الفلسطيني، مرجع سابق، ص54،53.

[148] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص105.

[149] المصدر نفسه، ص105.

بينها وبين زوجها، لكن وضحاء كانت كثيرة الخجل، متحفظة على أسرارها تبعاً لنصائح أمها التي طلبت منها أخذ الحذر عند مخالطة النساء.

بالرغم من أن الثقافة الشعبية تؤكد على أن حيلة المرأة ودهاءها جزء من طبيعتها، إلا أنها في نفس الوقت توضح السبب الحقيقي الذي يدفعها إلى ذلك؛ فترى أن الحيلة كما ذكر عابد الزريعي "إحدى وسائل الدفاع السلبية التي اعتمدتها المرأة للحصول على بعض حقوقها؛ وسط مجتمع يقمعها بلا رحمة وينكر عليها الحق في المطالبة بحقها الطبيعي. والمرأة التي منعت من استعمال الوسيلة المباشرة للحصول على احتياجاتها اعتمدت الوسيلة غير المباشرة لتحقيق ذلك".[150]

وفي "مديح لنساء العائلة" حين ترك محمد الأصغر وظيفته في المحكمة الشرعية، أخذت النسوة تتهامس عليه وعلى زوجته سناء، بأنها هي التي أخذت عقله، وأرادت قصداً أن يترك وظيفته حتى يظل تحت رحمتها فلا يستطيع أن يطلقها أو يتزوج بامرأة ثانية؛ ما دفع محمد الأصغر إلى الصراخ عليهن عندما كن متجمعات يستغبن بزوجته، ويتهمنها بالباطل.

تلك النسوة اللواتي لم يكن يشغل بالهن سوى القيل والقال، واستغابة الناس، واتهامهن بالباطل وانشغالهن بالحديث عن أسرارهن وأسرار بعضهن ليس إلا تعبيراً عن فراغهن وبؤس أحوالهن كما برر لهن محمد الأصغر؛ إذ رأى أنهن "نساء طيّبات جديرات بالمدح لا بالذم".[151] وهذا التبرير واقعي وصحيح؛ فانشغال الفرد بالناس وصغائر أمورهم تعبيراً عن

[150] عابد الزريعي، المرأة في الأدب الشعبي الفلسطيني، مرجع سابق، ص55.

[151] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص164.

فراغه وصعوبة حياته، بينما الفرد المليء وقته بالأمور المفيدة يكون بعيداً عن هذه الأشياء التي لا قيمة لها دون أن يعطيها أي اهتمام.

- المرأة العطوفة (الطيّبة)

بالرغم من ظهور أنموذجات المرأة التي تُظهر الكراهية لغيرها من النساء، وخصوصاً ضرائرها وأولادهن، وتلجأ إلى الحسد والكيد والمكر، إلا أن ذلك لا يعني خلو هذه المرأة من الطيبة؛ فمحمد الأصغر وصفهن – كما ذُكر سابقاً– بالطيبة، وهذا لا ينفي أيضاً اتسام نماذج أخرى من النساء بالطيبة والعطف.

فالجدة صبحاء في "فرس العائلة" كانت تُبدي عطفها الشديد على حفيدها محمد الكبير الذي حُرمَ من عطف أمه (فاطمة) وحنانها؛ بسبب موتها؛ فحين كان يأتي إليها تُسمعه أحلى كلام، وتُلاعب شعره بلطف وحنان، وتذهب به إلى بيت ضرتها حيث يوجد زوجها المريض وابنه منان بجانبه؛ دلالة على مدى حبها له، خاصة وأن منان كان يلمح في عيني ولده المحبة والمودة تجاه جدته.

يظهر هذا العطف والحنان لدى مثيلة زوجة المختار منان، حين كانت تعطف على ابن ضرتها وطّاف الذي حُرم أيضاً من حنان أمه. كان وطاف مولعاً باللعب بالحجارة وتجميعها كما كانت تفعل أمه من قبل، ويظل يلعب بالحجارة حتى يغلبه النعاس داخل حفرة وحوله الحجارة والتراب، فتأتي مثيلة تخرجه من الحفرة، وتأخذه إلى بيتها بشفقة وعطف، تُلاعب شعره وتقدم له الطعام.

لم يقتصر عطفها على وطاف فحسب، بل كانت تعطف أيضاً على ابن ضرتها فاطمة (محمد الكبير) وكأنها أمه التي ماتت قبل أوانها؛ فعندما عاد محمد الكبير من يافا بعد فترة طويلة من غيابه ذهب إلى بيت مثيلة؛ ما يدل على مدى حبه لها، وشعوره بطيبتها وحنانها عليه. استقبلته بمحبة، قبّل يدها وكأنها أمه، عرضت عليه بعد أن رأته متعباً أن يتحمم، وأثناء استحمامه بدأت تُعدّ له الطعام وهي تعيد ذاكرتها إلى الوراء، فتتذكر ضرتيها فاطمة ووطفاء وتترحم عليهما.

ومما يدل على طيبة مثيلة وحبها لمحمد الكبير عدم تصديقها للشائعات التي قيلت عنه أثناء فترة إقامته في يافا؛ فمنهم من قال أنه متزوج من يهودية، ومنهم من قال أنه يعمل في مكان محرم، لكنها لم تصدق كل ذلك، ولم تحاول معرفة ذلك من محمد؛ فهي متيقنة بأن كل ما قيل إشاعات؛ فقلبها الطيب يقول لها ذلك.

وحين غضب منان من ابنه محمد الكبير؛ نتيجة بعض الأفعال التي كان يقترفها في المضارب، أنزله في بئر، وحرمه من الطعام والشراب سبعة أيام؛ عقاباً له، لكن مثيلة كانت تأتي إليه خلسة، وترمي في البئر خبزاً وتُنزل دلواً من الماء له، وهي تقول بتمتمة: "اشرب يا حزين، اشرب".[152]

طيبة مثيلة وحنيتها لم تقف عند أبناء ضرائرها فحسب، بل امتدت إلى والد زوجها المريض (الحج محمد)؛ فعندما نهض من فراشه وأخذ يتمشى بين المضارب، رأته من بعيد وسلمت

[152] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص232.

عليه، وطلبت منه أن يدخل ويفطر معها، واستقبلته بمودة وحنية، وأخذت تجهز الأصناف المتنوعة التي تذكره بالماضي الجميل وخيرات الأرض والأغنام التي يملكها أبناؤه.

وقبل أن يبدأ بالفطور وضع يده على رأسها، ونظر إليها بمحبة، وقال لها: "من يوم أن تزوجك ابني منان وأنا أعرف أنك امرأة طيّبة"؛[153] ما زادها هذا المديح سروراً، أدى إلى نزول دمعتين من عينيها.

هكذا قدم شقير صورة المرأة الطيبة التي تتسم بالعطف والحنان والعطاء، صورة واقعية صادقة، تعطي بلا مقابل، قدمها الكاتب في تسلسل سردي أضفى على جو الرواية الدفء والحميمية، وبيّن من خلال ذلك أن المرأة مهما وصل بها الأمر إلى الأفعال غير المحمودة إلا أنها تظل محتفظة بداخلها بجانب من الطيبة والمحبة والحنية.

هذه أبرز صور المرأة التي ظهرت لدى محمود شقير في روايتي "فرس العائلة" و "مديح لنساء العائلة"، والتي وردت حسب الترتيب التالي:

صورة المرأة المحافظة على العادات والتقاليد، صورة المرأة المؤمنة بالخرافات، صورة المرأة المتمردة، صورة المرأة المتعلمة، صورة المرأة العاملة، صورة المرأة المضطهَدة، صورة المرأة الجسد، صورة المرأة الحبيبة، صورة المرأة الثرثارة وصاحبة المكيدة، صورة المرأة الطيّبة.

قدّم شقير لوحة إنسانية متكاملة لصور المرأة في أزمنة متعاقبة، رُصدت وصُنفت قدر الإمكان تحت عناوين. كان التصنيف متداخلاً، وتداخله يعكس طبائع الإنسان (المرأة) في الزمان والمكان الذي يعيش فيه.

[153] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص103.

جميع الصور التي قدمها شقير تصف المرأة بكل واقعية وصدق بعيداً عن الخيال، صُور تحمل صفات المرأة وتعكس واقعها في ظل المجتمع العربي الفلسطيني ومعاناته تحت احتلالات متتاليات. قدم شقير تفصيلاً للشخصيات وصفاتها؛ كي تبدو مقنعة وحية؛ إذ صوّر بكل صدق تفاصيل حياة المرأة البدوية اليومية في المضارب وحين انتقالها إلى القرية على مشارف المدينة؛ وما أثر ذلك في حياتها، وقلل من معاناتها واضطهادها. صور حقيقية وأحداث حقيقية قدمها شقير من خلال أساليب سردية متنوعة وشيّقة، جعل شخصياته تتحرك بكامل حريتها، وتتطور حسب الظروف المحيطة بها. ظهر جلياً إلمامه بتفاصيل حياة المرأة البدوية وصفاتها؛ وهذا ليس غريباً على الكاتب شقير الذي ينتمي إلى عائلة الشقيرات إحدى القبائل البدوية التي كانت تعيش على مشارف مدينة القدس.

بالرغم من أن شقير من خلال تصويره لصور المرأة قد عكس صورتها الحقيقية في الواقع الذي تعيش فيه، إلا أنه ينتصر للمرأة ويدافع عنها؛ إذ أظهر تعاطفاً كثيراً معها، وهذا بدا جلياً في الرواية الثانية من خلال كلام الراوي محمد الأصغر، وأظهر بأن دور المرأة في العائلة وفي المجتمع ضروري وأساسي، ويؤكد ذلك من خلال ما ورد على لسان وضحاء حين قالت: "الحكاية أنثى مسالمة"؛ فهذه العبارة تؤكد قيمة الأنوثة، ودورها في الحياة. وهذا ليس غريباً على محمود شقير الذي ينطلق من وعيه الجندري الذي يؤمن بالمرأة ودورها في الحياة، وينادي بضرورة مساواتها مع الرجل.

الفصل الثالث

صورة المرأة (الفتاة) المرغوب بها لدى محمود شقير في أدب الأطفال وتطابقاتها مع بعض صور المرأة في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة"

انطلاقاً من السعي لمعرفة الصورة التي رسمها محمود شقير للفتاة في أدب الأطفال، ومعرفة ما إذا كانت هذه الصورة منسجمة مع ما يرغب شقير أن تكون الفتاة في المستقبل، ومعرفة مدى تطابقات هذه الصورة مع صورة المرأة في الروايتين السابقتين، جاء هذا الفصل الذي يحمل عنوان "صورة الفتاة المرغوب بها لدى محمود شقير في أدب الأطفال".

يُعد محمود شقير من الكتاب الفلسطينيين المرموقين في مجال كتابة قصص الأطفال والروايات الموجهة للفتيات والفتيان، ويُرى حريصاً كل الحرص على الكتابة لهذه الفئة منذ

أواسط السبعينيات من القرن العشرين. بالرغم من أن منشورات شقير تشير إلى أن أول كتاب للأطفال نُشر له في الثمانينيات، إلا أنه ذكر خلال مقابلة معه: "أول كتاب للأطفال نشرته في الثمانينيات لكنني نشرت قبل ذلك قصصاً منذ أواسط السبعينيات في مجلة أسامة السورية ومجلة سامر الأردنية وفي صفحة الأطفال في جريدة الرأي". [154] شقير محب للأطفال، ولاحظ ذلك توفيق زياد في تقديمه لمجموعة "خبز الآخرين"، فكتب أن من خلال قصص شقير "تحس بالحب الجارف الذي يكنه الكاتب للأطفال، فينحت أبطاله من بينهم في كل قصة تقريباً. إنه يدخلنا إلى عالمهم، ويكشف لنا عن قدرهم القاسي، وأحلامهم الرائعة، وتطلعاتهم إلى مجتمع سليم يضمن لهم القوت والفرحة وإمكانية التطور، فتتمنى لو تستطيع أن تحقِقها لهم بضربة واحدة".[155]

كان أدب الأطفال "جزءاً من أدب شعبي لم يدوّن، وظل معتمداً على الحكايات بشكل كبير، وهو متأخر نسبياً في فلسطين عنه في العديد من الدول العربية ومن ضمنها مصر....وفي حينه لم يمارَس إلا في المنازل على ألسنة الجدات والأمهات والعجائز. ولعل أي مطّلع على فحوى الأدب الشعبي يدرك نمطية الصورة التي كانت ترسَم للشخصيات، والتي جاءت على هيئة القوي، والمتحدي، والخارق". [156]

لا يمكن أن يُغفل أهمية أدب الأطفال؛ فهو يؤثر تأثيراً كبيراً على شخصية الطفل، وينمي قدراته المختلفة، ويغرس القيم التربوية لديه، لهذا كان شقير حريصاً على الكتابة لهذه الفئة؛

---

[154] مقابلة أجرتها الباحثة مع محمود شقير، تاريخ المقابلة 2017/4/29.

[155] محمود شقير، خبز الآخرين، منشورات صلاح الدين، القدس، 1975، ص9.

[156] وليد احشيش وصادق الخضور، صورة الطفل في أدب الأطفال الفلسطيني، ط1، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، 2011، ص12.

فقد كان لديه نصيب كبير في قصص وروايات الفتيات والفتيان. من بين هذه الروايات والقصص التي ستكون موضوع الدراسة في هذا الفصل: **رواية "أنا وجمانة"، ورواية "كوكب بعيد لأختي الملكة"، و قصة "بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد"**؛ لتظهر من خلال هذه المؤلفات صورة الفتاة التي رسمها محمود شقير، ومدى تطابقها مع صورة المرأة في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة".

فرواية "**أنا وجمانة**"، تدور أحداثها حول جواد (الراوي) وأخته جمانة اللذين تجمعهما علاقة دافئة منذ الطفولة المبكرة وهما يشتركان في غرفة واحدة، إلى أن تقرر الأم نقل جمانة من غرفة أخيها؛ لأنها بلغت الثالثة عشرة من عمرها، كما تدور حول علاقتهما بأصدقائهما حاتم (ابن عمهما) وجريس وأختيه التوأمين "ماري ولميس"؛ إذ كانوا يلعبون دائماً مع بعضهم بعضا.

تقيم العائلة في فلسطين بعد أن كانت مقيمة في الجزائر مدة خمس سنوات. كان لدى جواد صديق جزائري اسمه مصطفى ما زال يراسله عبر الانترنت. كان مصطفى يفكر بحل يخلّص الفلسطينيين من الإسرائيليين بإنتاج مسحوق سحري يعمل على تنويمهم مدة 24 ساعة لحين نقلهم إلى أوغندا عبر الغيوم دون أن يؤذي أحداً منهم.

جمانة في الرواية شخصية ذات حضور متميز، تحلم منذ أن كانت تقيم في الجزائر بأن تصبح " كجميلة بوحيرد" تدافع عن وطنها، وتلجأ إلى الجبال، وتقاتل الأعداء فيعتقلونها، ويأتي محام يدافع عنها، وبعد الإفراج عنها تتزوجه.

من الملاحظ أن الكاتب محمود شقير في رواية "أنا وجمانة" قد رسم للفتاة جمانة التي تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً صورة قيادية؛ إذ اتسمت بسمات إيجابية كثيرة جعلتها كذلك؛ فهي تمثل دور القائدة التي يأخذ برأيها جميع أصدقائها – ذكوراً وإناثاً–، وينفذون ما تقترحه عليهم، ليس لأنها ذات شخصية مهيمنة، بل لأنها محبوبة طيبة صادقة، تحظى بمحبة الجميع واهتمامهم بها، بالإضافة إلى أنها صاحبة بصيرة ويثق الجميع بآرائها. وقد ورد على لسان أخيها جواد: "جمانة صادقة تماماً، وهذا سر محبة الجميع لها"،[157] كما تتسم جمانة – كما وصفها جواد – بأنها "تتصرف بحكمة مثل الكبار....وهي تبدو أكبر من عمرها، ولها أفكار صائبة مثل الكبار".[158] كانت تفض المشاجرات التي تحصل بين حاتم ابن عمها وجريس صديقهما اللذين كانا يتنازعان عليها؛ فكل واحد منهما يحاول أن يكسب حبها له.

تتصف جمانة بحبها وتفكيرها بالآخرين، وعدم أنانيتها، وهذا يظهر جلياً من خلال موقفها من نفسها عندما كانت قديماً في الجزائر تربط القمر بحبل كي لا يغادر النافذة؛ إذ عبرت عن هذا الموقف فيما بعد بأنه سلوك أناني ينم عن سوء تصرف منها؛ فقالت: "القمر ليس لنا وحدنا، إنه لكل الناس، تصور أن بنتاً حزينة، تجلس في غرفتها ذات مساء، منتظرة إطلالة القمر لكي تبثه أحزانها، فلا يطل عليها القمر، لأن بنتاً أخرى ربطته، فلم يغادر شباك غرفتها حتى الصباح. ستبقى البنت التي تنتظر القمر، حزينة طوال الليل".[159]

تتمتع جمانة بالطيبة والحنان؛ فقد كانت أختاً رائعة لجواد؛ فحين انكسرت ساقه وهم ماكثون في الجزائر، اهتمت به، وقدمت له كل ما يحتاجه من خدمات، وعندما كان يصيبه ألماً في

[157] محمود شقير، أنا وجمانة، ط1، مركز أوغاريت الثقافي، رام الله، 2001، ص73.

[158] المصدر السابق، ص7،81.

[159] محمود شقير، أنا وجمانة، مصدر سابق، ص76.

بطنه، تطمئنه بكلماتها الدافئة العذبة وتخفف عنه حتى يهدأ الألم، كانت كما وصفها "أم رؤوم"، تُظهر العطف والمحبة تجاه أخيها، وهو يتبادل معها هذه العواطف النبيلة الصادقة، يخاف عليها، لا يحتمل غيابه عنها، يشعر بحاجته إليها، يقبّلها على جبينها. ولا تقتصر طيبتها وحبها لأخيها فحسب، بل كانت عطوفة على أصحابها تحبهم وتتمنى لهم الخير، كما أن طيبتها وصلت بها إلى درجة العطف على أعدائها من اليهود أيضاً؛ فهي لا تتحمل أن ترى القمل يملأ ثياب أي مخلوق حتى لو كان مستوطناً. وظهر في الرواية مدى عطف والدي جمانة عليها؛ فقد كان والدها يتلمس شعرها بحنان، يحبها ولا يغضب منها. إذن، فهي تحظى بمحبة الجميع.

تتصف جمانة باحترامها للآخرين؛ فقبل الدخول إلى غرفة أخيها تطلب الإذن بالدخول، وتستأذن بأن تأخذ من وقته بضع دقائق؛ ما يدل على تفكيرها بالآخرين، وحرصها على عدم إضاعة وقتهم، ويتضح من خلال ذلك إدراكها لأهمية الوقت وعدم تضييعه، وما يؤكد ذلك شخصية جمانة المطلعة المثقفة التي تستغل وقتها بالأشياء المفيدة؛ فهي حريصة على قراءة الكتب والأشعار والروايات، تحفظ الكثير من شعر محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زيّاد، تُعجب بروايات الطاهر وطار؛ فثقافتها أثرت في وعيها وتفتُّح مداركها. ومما لا شك فيه أن البيئة التي نشأت فيها جمانة كان لها الأثر الكبير على اهتمامها بالثقافة؛ فوالداها يحبان القراءة، وكذلك أخوها، والدها يحب قراءة كتب محمد حسنين هيكل، ووالدتها تحب قراءة الروايات، وكانت تشجعها هي وأخيها بحضور أفلام على الفيديو في البيت، كما كانت جمانة مهتمة بالفنون الشعبية وخصوصاً الرقص.

صور شقير جمانة بصورة الفتاة الواعية المثقفة، التي تفهم ما تقرأ، وتستطيع فهم ما يقال حولها وتفسيره؛ كتفسيرها لكلام ابن عمها حاتم عندما تلفظ بكلمة "نعومة أظفاري"؛ فلم يفهم جواد معنى الكلام، تفسره جمانة وتقول له : "منذ أن كان صغيراً". كان لديها معلومات كثيرة مقارنة بعمرها، وتبدي ملاحظات تنم عن نضوج عقلها، في حين أخيها لم يكن يفهم كل شيء يقال، وكانت تفوته الكثير من المعلومات، بالرغم من أنها تكبره بعام واحد فقط. كما كانت فتاة متعلمة، متفوقة في دراستها.

ظهرت جمانة بصورة الفتاة (المرأة) المناضلة؛ إذ كانت مصممة على الالتحاق بالمقاومة، متخذة من شخصية جميلة بوحيرد نموذجاً لها، فمنذ أن حضرت جمانة فيلماً عنها أبدت إعجاباً بها، حتى لو كلف ذلك اعتقالها من قبل الاحتلال الإسرائيلي الذي سيعذبها أبشع أنواع التعذيب؛ فهي ستظل صابرة ثابتة شجاعة، مدافعة عن حرية بلادها فلسطين، دون أن تقدم أي اعتراف يضر بالمقاومة. تتخيل أنها كجميلة بوحيرد، يتطوع عدد من المحامين المشهورين للدفاع عنها، حتى تحقق الحرية لها ولبلادها، وتنتهي قصتها بزواجها من أحد المحامين الذين دافعوا عنها، تماماً كما حصل مع بوحيرد؛ فثقافة جمانة واطلاعها على العديد من الأفلام ساهم في زيادة الوعي النضالي لديها. أظهر الكاتب وعيها النضالي – أيضاً– من خلال خروجها مع أمها إلى ساحة المنارة؛ للاشتراك في مسيرة نسائية، تضامناً مع الأسرى في السجون الإسرائيلية.

لم يُظهر شقير ظاهرة التمييز بين الذكر والأنثى من ناحية حقها في التعليم واللعب والنضال والحوار و...؛ فالأنثى كانت تحظى كما يحظى الذكر في جميع أمور الحياة كما صوّر في

الرواية، ولكنه أظهر بعض المواقف التي تشير إلى الخوف على البنت؛ إذ ظهر ذلك من خلال خوف والديّ جمانة عليها؛ فوالدتها تبدي قلقها الزائد عليها؛ لأنها بنت، وكانت دائماً تحذرها من الأشرار، وأن تأخذ حذرها إن أراد أحد إركابها بسيارته، وعليها أن ترفض وتقول له: شكراً. ووالدها كان يخاف عليها كثيراً؛ فعندما ذهبت في رحلة إلى البحر مع جواد وهم في الجزائر، أبدى الوالد غضبه من جواد؛ لأنه أخذ أخته بعيداً وعرّضها للأذى. هذا الحرص والخوف كان موجهاً إلى جمانة؛ ولم يكن إلى جواد؛ فشقير في تصويره لهذا الخوف على البنت لا يريد أن يبتعد كل البعد عن الواقع الذي تعيشه الفتاة في المجتمع العربي، ولا يريد أن يبالغ في تصوير دورها في ظل هذا المجتمع الذي ما زال يخاف على الفتاة باعتبارها الأضعف.

لم يتوقف هذا الحرص على البنت عند والديّ جمانة فحسب، بل امتد إلى حاتم ابن عمها الذي يحبها، ويغار عليها من صديقه جريس الذي كان يحاول جلب اهتمام جمانة إليه؛ فقد كان حاتم يغضب كثيراً من تصرفات جمانة، ولا يحب أن تلعب معهم خصوصاً إذا كان جريس موجوداً؛ فهو يريد أن يقيدها. ويُرى أنه يستنكر لعب البنت مع الأولاد خصوصاً عندما تكبر وتصبح في عمر جمانة، ولم يكن يعجبه الاختلاط بين الرجال والنساء الذي يحدث على الموائد في بيت عمه. ومع ذلك، لم يكن يُلق بالاً لكلامه.

أظهر الكاتب شقير جمانة في عدة صور، كلها إيجابية. تتطابق صورة جمانة المتعلمة المثقفة الواعية مع الشخصيات المتعلمة والمثقفة في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة"، وهي: نوال، وسناء، ومريم؛ فالعلم والثقافة لدى هذه الشخصيات جعلتها واعية

مدركة للأمور من حولها، ذات قرارات إيجابية تنم على وعي وبصيرة. كما تتطابق كثيراً مع شخصية مريم من خلال اهتمامهما بالفنون الشعبية؛ فجمانة مهتمة كثيراً بالرقص، ومريم كانت مهتمة بالمسرح. وتقترب شخصية جمانة العطوفة من الشخصيات العطوفة الطيّبة التي ظهرت في الروايتين السابقتين من خلال إظهار عطفهن وحنانهن على الآخرين؛ كمثيلة وصبحاء.

أما رواية "**كوكب بعيد لأختي الملكة**" التي تدور أحداثها في مدينة رام الله حول البطلين أدهم وأخته سلافة وأحلامهما من جهة، وعلاقتهما بأصدقائهما حنا وأخته سوسن من جهة أخرى فالحدث الرئيسي فيها يتمحور حول الفتى أدهم (الراوي) الذي مُنح لقب "مَلِك" من قبل امرأة، بعد فضه لمشاجرة وقعت بين ولدين في الشارع؛ إذ أخذ يعيش اللقب في الواقع والحلم من خلال تفكيره بمساعدة الفقراء في البلاد محاولاً كتمان سره؛ لأنه قد لا يصدقه الآخرون ويتعرض للسخرية منهم، وإن صدقوه فهو لا يريد أن يُتعب أو يشغل الآخرين به؛ لأنهم حينئذ سيضطرون إلى التعامل مع الملك معاملة خاصة. بعد ذلك يسعى أدهم إلى مراسلة الحكومة؛ اطمئناناً على وضع الفقراء في البلد، والاستفسار عن أعمال الحكومة لهم بهدف مساعدتهم. تدور أحداث الرواية –أيضاً– حول أخته سلافة التي مُنحت أيضاً لقب "مَلِكة" من المرأة ذاتها، وكانت تحلم بشراء كوكب في الفضاء؛ لتذهب إليه، خاصة بعد قراءتها وتأثرها برواية "الأمير الصغير" الذي اشترى كوكباً على الفضاء، وعن طريق أحلامها وخيالاتها تستطيع تحقيق ما تريد، وهنا يظهر جلياً تأثير الثقافة في الأطفال، وفي أحلامهم وتخيلاتهم.

اتكأ محمود شقير في الروايتين على خيالات الأطفال وأحلامهم؛ فجمانة كانت تتخيل أنها كجميلة بوحيرد في نضالها وتحررها من العدو، وفي زواجها، وكذلك سلافة التي تخيلت ذهابها في رحلة إلى الكواكب والنجوم، بالإضافة إلى خيالات وأحلام الذكور في الروايتين، "وقد توصل الباحثون إلى أن الخيال ضرورة من ضرورات الإبداع...ومن ثم يجب أن نعترف به وننميه، بل نعتز به على أنه ضرورة من ضرورات عصرنا لا من محرماته".[160]

رسم الكاتب محمود شقير صورة سلافة في صورة تقترب من صورة جمانة؛ فهي فتاة متعلمة تهتم بدروسها، مثقفة تحب قراءة الكتب، وتذهب عادة إلى مكتبة البلدية؛ لتستعير كتباً أدبية وأخرى علمية، تمتلك الكثير من المعلومات بالمقارنة مع أخيها؛ فعندما كتب أخوها أدهم رسالة إلى ملك فرنسا، ضحكت وقالت بأن فرنسا ليس لها ملك؛ لأنها الآن جمهورية، وصححت معلومة أخيها بأن إسرائيل لديها رئيس دولة وليس ملكاً، وكذلك حين ذهب أدهم إلى الحكومة وقابل السكرتيرة، ظنَّ بأن السكرتيرة هي الحكومة؛ فهو لا يدرك مفهوم الحكومة، لكن بعد نقاش مع أخته سلافة عرف "أن الحكومة تتشكل من رجال ونساء، ويتسلم كل رجل أو امرأة وزارة، وفي الوزارة عدد كبير من الموظفين والموظفات"،[161] بالإضافة إلى المعلومات التي تمتلكها سلافة عن جزر القمر، التي لا يعرفها أخوها بالرغم من أن سلافة لا تكبره إلا بسنة واحدة. تحب سلافة القراءة عن الكواكب والنجوم؛ فعندما ذهبت من خلال خيالاتها وأحلامها في رحلة إلى الفضاء ومرت على الكواكب والنجوم أخذت تتذكر أسماءها التي قرأت عنها في الكتب، كما كان لدى سلافة اهتمامات ثقافية هي وأخيها وأصدقائهما

---

[160] علي الحديدي، في أدب الأطفال، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، 1988، ص103 ملف Pdf.

[161] محمود شقير، كوكب بعيد لأختي الملكة، ط1، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، 2007، ص79.

"حنا وأخته سوسن"؛ فقد شاركوا في مؤتمر الأطفال الذي انعقد في رام الله بحضور ثلاثمائة ولد وبنت من أنحاء العالم، للتضامن مع الفلسطينيين حول حقهم في السلام والاعتراف بحقوقهم، وقاموا بعدة نشاطات خلال هذا المؤتمر، منها: إلقاء الشعر، الرسم، عزف الموسيقا، الرقص، والغناء. تطرق أدهم خلال هذا المؤتمر إلى وضع الفلسطينيين ومعاناتهم من الاحتلال الإسرائيلي الذي منع عقد المؤتمر في القدس؛ لأنهم يدّعون بأنها عاصمة إسرائيل؛ فهو يرفض ذلك ويؤكد كلام أبيه بأن القدس هي عاصمة فلسطين.

أظهر الكاتب سلافة بصورة الفتاة الواعية التي تفكر بحكمة واتزان، ولديها القدرة على تحليل الأمور؛ فعندما أخبرها أدهم بأن سكرتيرة الحكومة نبهته إلى ضرورة أخذ الحذر أثناء الرسائل التي يرسلها إليهم، حللت سلافة هذا الأمر بأن "الحكومة تريد أن تتملص من الاستمرار في الكتابة إليك دون أن تغضبك"،[162] ويظهر وعيها واتزانها من خلال كلامها لأخيها عندما حزن لأنه أخطأ في المعلومات عن فرنسا وإسرائيل، ردت عليه بأن "أي إنسان معرض للخطأ".[163]

تتطابق صورة سلافة المتعلمة المثقفة مع صورة نوال وسناء ومريم في الروايتين السابقتين في ثقافتهن وقدرتهن على اتخاذ القرارات السليمة، وتتطابق صورة سلافة التي تحظى باهتمام ومحبة الآخرين مع صورة هيفاء ومروادة ومريم وسناء اللواتي يحظين باهتمام وحب الطرف الآخر لهن.

---

[162] محمود شقير، كوكب بعيد لأختي الملكة، مصدر سابق، ص80.

[163] المصدر السابق، ص55.

من الواضح أن "محمود شقير" يحاول إنشاء جيل مستقبلي مبني على المساواة بين الذكر والأنثى؛ فهذه الرواية الثانية التي يُظهر فيها صورة الفتاة بطريقة متساوية في الحقوق إلى صورة الفتى، بل تزيد عنه في الحكمة والوعي والثقافة وحسن التصرف، حتى أعمال البيت التي تقتصر في مجتمعاتنا العربية على الأنثى، فإن شقير أظهر المساواة بين الجنسين من هذه الناحية، ولم يصور الفتاة تساعد أمها في أعمال البيت والفتى يجلس، بل أظهر في موقف في الرواية حين أتى ضيوف إلى بيتهما، قام أدهم وسلافة بمساعدة أمهما في إعداد القهوة والشاي، وجاء سياق الجملة ليبين بأن هذا الأمر معتاد عليه في عائلتهما. لم يظهر شقير الفتاة بحسب من يُتداول عنها بأنها ثرثارة لا تستطيع كتمان سر، بل أظهر سلافة بأنها كاتمة لأسرارها وأسرار غيرها محافظة على العهد.

شقير من خلال رسمه لشخوص الرواية أبرزَ دور المرأة وعملها خارج بيتها؛ فسكرتيرة الحكومة جعلها امرأة وليس رجلاً، وحين شرحت سلافة مفهوم الحكومة لأخيها أظهر شقير أن الحكومة تتشكل من رجال ونساء، وقد يتسلم أي رجل او امرأة وزارة؛ فلم يقصر رئاسة الوزارة على الرجال دون النساء. بهذه النظرة حين يقرأ الفتيان والفتيات مثل هذه الروايات لا بد أن تؤثر في تفكيرهم ووعيهم، وبالتالي ينشؤون على احترام المرأة وتقدير دورها، والاعتراف بأنها كالرجل في إمكانياتها العقلية والجسدية ويتعاملون معها كالند.

لم يغب عن بال شقير المساواة بين الجنسين حتى في البطولة؛ فالبطولة موزعة بالتساوي على أدهم وسلافة في هذه الرواية، وموزعة أيضاً كذلك بين جواد وجمانة في رواية "أنا وجمانة"، وظهر ذلك واضحاً في عنوان الروايتين؛ فمن خلال عنوان روايتي "أنا وجمانة"

و"كوكب بعيد لأختي الملكة" يشير شقير إلى المساواة بينهما؛ إذ جعل للفتاة دوراً بارزاً في عنوان الروايتين، ونلمح المساواة أيضاً في أعداد الذكور والإناث، بحيث لا يطغى عدد الذكور على عدد الإناث؛ فأدهم وأخته سلافة، وحنا وأخته سوسن في "كوكب بعيد لأختي الملكة"، وجواد وأخته جمانة، وحاتم وجريس وأختيه التوأمين "ماري ولميس"، حتى صديق جواد الجزائري مصطفى أظهر الكاتب أخته ربيعه لتكون صديقة لجمانة في رواية "أنا وجمانة"، وكذلك الأمر بالنسبة للرسومات (الصور) التي تحتويها الروايتان؛ فلم تطغ رسومات الذكور على الإناث، بل كانت موزعة بين الذكور والإناث، وهذا ينطبق أيضاً على قصة "بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد" التي سيُتَحدث عنها الآن.

تدور أحداث قصة "**بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد**"[164] في مدينة أريحا حول الأصدقاء الأربعة (سفيان، أسطفان، زيدان وأخته بثينة) وتشكيلهم عصابة لاتخاذ قرار تجاه البلدية بعد أن داس سفيان على قشرة موز ملقاة على الرصيف؛ ما أدى إلى وقوعه على الأرض؛ فهو يريد من رئيس البلدية الاعتذار إليه. تتسلسل أحداث القصة على لسان الراوي سفيان بحيث يبرز دور بثينة بطريقة بطولية، تحتل مكانة متميزة لدى أصدقائها الثلاثة، ويصفها سفيان بأن لها حضوراً جذاباً، وملاحظات صريحة على ما تسمعه من كلام.

يُظهر الكاتب محمود شقير صورة الفتاة بثينة بالواعية المثقفة التي تحرص على قراءة الكتب، وزيارة مكتبة البلدية باستمرار. فتاة تتأثر بما تقرأ، لها ملاحظات وآراء قيمة، يحرص أصدقاؤها الثلاثة على وجودها معهم، تشاركهم في قراراتهم؛ فسفيان كان حريصاً على أن

[164] محمود شقير، بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، 2012.

تبقى بثينة في عصابتهم؛ فهو متيقن بأن العصابة ستفقد الكثير من أهميتها إذا خرجت بثينة منها؛ ما يدل على أهمية بثينة ومكانتها الرفيعة بين أصدقائها، بالرغم من تمردها على عصابتهم، ومخالفتها الكثير من قراراتهم؛ فهي جدية، تكره الاستهزاء والاستخفاف في الأمور التي تتطلب الجَد والتعقل.

بثينة حريصة على أصدقائها، تحترمهم في حضورهم وغيابهم، تقدر الصداقة؛ فحين سخر أصدقاؤها من رئيس البلدية، أبدت انزعاجها من ذلك؛ فابنة رئيس البلدية صديقتها، وهي لا تحب أن يسخر أحد من أبيها.

تتسم بثينة؛ كجمانة وسلافة، بالحكمة والوعي والاتزان؛ فقراراتها تشير إلى ذلك؛ فعندما اختلف الأصدقاء حول تسمية اسم العصابة، بحيث كان كل واحد منهم يحاول تسميتها باسم يدل على الخوف والشر، اقترحت اسماً يشير إلى الخير والمساعدة للآخرين؛ فهي تريد تسميتها "بعصابة النصح والإرشاد"، واعترضت على خطة أصدقائها في تحذير الناس بعدم الذهاب إلى مبنى البلدية وقصر هشام ودير القرنطل والبحر الميت، ورأت أن هذا الأمر لا يمكن السكوت عنه؛ بسبب أهمية هذه الأماكن للناس، وكانت حريصة كل الحرص على عدم منع الأولاد والبنات من زيارة مكتبة البلدية؛ ما يدل على مدى وعيها بأهمية التسلح بالثقافة والعلم من خلال القراءة، ومدى تفكيرها بالناس ومعاناتهم في حالة منعهم من زيارة الأماكن الضرورية لهم، وأفكارها تدل على مدى حبها للخير ومحاربتها للشر. ظهرت بصورة المتمردة على عصابتها؛ إذ رفضت كل ما يضر بمصلحة الآخرين، وخالفتهم في رأيهم الذي يقود إلى الشر كما ترى، محاولة حل الأمور بطريقة عقلانية دون إلحاق الضرر بالآخرين؛ وهذا ينم

على الإيجابية التي تتسم بها والتي نابعة من ثقافتها ووعيها. ومع هذا التمرد الذي أبدته بثينة إلا أن الأصدقاء ظلوا متمسكين بها، محافظين على وجودها بينهم.

حظيت بثينة بمكانة متميزة ليس في أحداث القصة فحسب، بل في عنوانها أيضاً؛ إذ قدم الكاتب مفردة البنت على ثلاثة أولاد في "بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد"؛ بهدف إبراز دور الفتاة والتركيز عليه؛ فدورها كان بطولياً في القصة، وكانت تتفوق على أقرانها في قراراتها ومواقفها، وبيّن محمود شقير في مقابلة أجريت معه بأنه على الرغم من أنه وضع بنتاً مقابل ثلاثة أولاد في القصة، إلا أنه أعطى البنت الواحدة وزناً مساوياً لأوزان الأولاد الثلاثة. [165]

تتطابق صورة بثينة المتمردة على عصابتها وقراراتها مع صورة نجمة في تمردها على عادات وتقاليد المجتمع؛ فالتمرد لديهما نابع من وعي وثقافة، وكلتاهما تتمردان على كل من يخالف العقل والمنطق من وجهة نظرهما، وتتطابق صورة بثينة مع صورة نوال وسناء ومريم في علمهن وثقافتهن، وما أثر ذلك في أفكارهن وحياتهن، كما تتطابق صورة بثينة التي تحظى باهتمام ومحبة أصدقائها بالشخصيات المحبوبة في الروايتين السابقتين كسناء ومريم وهيفاء.

يتضح من خلال الصور الإيجابية للفتاة التي أظهرها الكاتب محمود شقير بأنه ينحاز إلى الفتاة (المرأة)، وينتصر لفكرة مساواة الرجل بالمرأة، ويبشر بمستقبل إيجابي من خلال إنشاء جيل جديد من الفتيان والفتيات متحرر من قيود المجتمعات العربية البطريركية الذكورية،

[165] مقابلة أجرتها الباحثة مع الكاتب محمود شقير، تاريخ المقابلة 2017/3/21.

متفتح على عدم التفرقة بين الجنسين، مدرك لفكرة بأن البنت كالولد تمتلك عقلاً وقوة وسمات إيجابية كثيرة تجعلها قادرة على اتخاذ القرارات دون أن تتكىء على الآخرين، خصوصاً إذا كان الآخر ذكراً، كما أراد شقير أن يهيء جيلاً من الفتيان والفتيات ليكونوا رجال ونساء المستقبل يحملون هموم أمتهم ويدافعون عن قضاياها، كما يدفعهم إلى الاهتمام بالأجواء الثقافية من حولهم، وتطوير مواهبهم وقدرتهم على الإبداع، وتكوين جيل قادر على الحوار الناضج، منفتح على المتغيرات الحديثة كالتكنولوجيا (الانترنت)، متسم بقيم تربوية إيجابية، وبعيد كل البعد عن الطائفية؛ ففي مؤلفاته الثلاثة تعمّد شقير أن يضع صديقاً مسيحياً بين الأصدقاء المسلمين، كجريس وأختيه (ماري ولميس) في رواية "أنا وجمانة"، وحنا وأخته سوسن في رواية "كوكب بعيد لأختي الملكة"، وأسطفان في قصة "بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد"؛ تأكيداً لنزعته وأيدلوجيته في إقصاء الطائفية بين أفراد الشعب الفلسطيني؛ فهو يؤمن بفكرة المواطنة؛ فللجميع الحق في العيش بفلسطين بغض النظر عن جنسه ودينه وثقافته، وهذا ظهر جلياً في مؤلفاته الموجهة للفتيات والفتيان؛ فالكتابة ما هي إلا انعكاس لفكر الكاتب، وهي الوعاء الذي يضخ فيه الكاتب أفكاره.

لم يصور شقير الفتاة مهمشة محايدة، بل صورها قيادية، مشاركة في اتخاذ القرار، ومشاركة في الحياة الثقافية والاجتماعية والتربوية، ولم يظهر والديها بأنهما منحازان إلى تعليم الفتيان على حساب تعليم الفتيات، بل حظي الجنسان بالحق ذاته في التعليم.

يؤكد شقير ذلك خلال مقابلة معه؛ إذ رأى أن عنصري الوعي والاحترام متوفر لدى الفتاة، بالإضافة إلى تقدير دورها، وفي ذلك تحريض غير مباشر على احترام الفتاة (المرأة فيما

بعد)، وعلى إعطائها حقها في اختلاطها مع الأولاد، ولكن باحترام ووعي وحرص على شخصيتها.[166]

كما يمكن أن نلمح ابتعاد الكاتب عن التقسيم الوظيفي للأدوار بين الذكور والإناث؛ فلم يصور الفتاة من خلال وظيفتها في البيت كأم صغيرة مساعدة، أو تلعب بالدمى لتهيء نفسها لوظيفتها المستقبلية كأم، بل صورها تشارك الفتيان في اللعب خارج البيت بألعاب مشتركة. وبذلك يكون شقير لم يقصر دور الفتاة على الفضاء الخاص أي داخل البيت، بل جعلها تخرج كالفتى في الفضاء العام (خارج البيت). "فالتقسيم الوظيفي بين الذكر والأنثى هو أساس لتوليد الفوارق بين الجنسين التي اتفق على تسميتها النوع الاجتماعي (الجندر)"؛[167] إذ أن "الأدوار الرجولية والأدوار الأنثوية للأطفال تعطي الفتيات صورة سلبية عن أنفسهن وتعطي الفتيان شعوراً بالتفوق".[168] لذا ابتعد شقير عن هذه التقسيمات؛ كي يمنح الفتاة الاستقلالية التي تجعلها قادرة على التقدم والإبداع والمساهمة في تطور المجتمع. "وتعتبر الكتب الأدبية الموضوعة للفتيان والفتيات من أكثر الوسائل تأثيراً لنشر مقاييس *الجنسوية وقيمها وأيدولوجيتها. لذا من المهم النظر إليها كأحد المركّبات المجتمعية الهامة التي يتفاعل معها الطفل في جيل مبكر جداً، وكأحد عوامل التنشئة الاجتماعية المؤثرة في بلورة هويته، معتقداته، مواقفه وقيمه".[169]

---

[166] مقابلة أجرتها الباحثة مع محمود شقير، تاريخ المقابلة 2017/3/21.

[167] نبيلة إسبانيولي وهالة إسبانيولي، الجنسوية في أدب الأطفال العربي، مركز الطفولة، مطبعة الجليل، الناصرة، 2002، ص72

[168] المرجع السابق، ص98.

[169] نبيلة إسبانيولي وهالة إسبانيولي، الجنسوية في أدب الأطفال العربي، مرجع سابق، ص18.

ارتكز شقير، كالعديد من القصص الأخرى، في أحداث المؤلفات الثلاثة على الحوار الذي كان يدور بين الصغار، والتي "أعطت الصغار الحق في التحرر من سلطة الكبار: أفكارهم، ومعتقداتهم، وتصوراتهم عن الأمور، وحتى مخاوفهم الخاصة والناتجة من تجاربهم الذاتية. وجعلت الصغار يبنون عالمهم وفق رؤى جديدة".[170]

مما يؤكد انتصار شقير للأنثى تحديده الفئة العمرية الموجهة إليها هذه الروايات "رواية للفتيات والفتيان"؛ فشقير حريص كل الحرص على "ترسيخ مفردة "الفتيات" إلى جانب، أو قبل مفردة "الفتيان"، في سياق عنايته التربوية المتكاملة للإناث والذكور من الأولاد، على حد سواء، وربما بعناية أعمق للبنات على وجه الخصوص، ضمن خصائص رؤيته الاجتماعية المتطورة أساساً، في أبعادها الإبداعية الداعمة للمرأة".[171]

تتطابق صورة الفتاة في هذه المؤلفات الثلاثة الموجهة للفتيات والفتيان مع صورة المرأة في روايتي "فرس العائلة"، و"مديح لنساء العائلة" كما ذكر سابقاً من خلال الصور الإيجابية التالية، وهي: صورة المرأة المتعلمة المثقفة القادرة على اتخاذ القرارات، وصورة المرأة المتمردة التي تتمرد على كل ما يخالف الصواب والعقل، وصورة المرأة المحبوبة التي تحظى بمحبة واهتمام الآخرين، وصورة المرأة الطيّبة (الحنونة) التي تظهر عطفها وحنانها على الغير، وتختلف صورة الفتاة في هذه المؤلفات الثلاثة عن صورة المرأة في الروايتين السابقتين

---

[170] وليد احشيش وصادق الخضور، صورة الطفل في أدب الأطفال الفلسطيني، مرجع سابق، ص58.

* الجنسوية: نحت هذا التعبير بالمماثلة مع العنصرية، للتعبير عن التمييز المستند إلى النوع. ويقصد به في معناه الأول: التحامل ضد الانثى. أما في معناه الواسع فهو يعني اليوم أي نمذجة اعتباطية للذكور والإناث تستند إلى الجنس. (الجنسوية في أدب الأطفال العربي، مرجع سابق، ص10).

[171] علي الخليلي، مقالة بعنوان" محمود شقير في كوكب بعيد لأختي الملكة إبداع تربوي للفتيات والفتيان، جريدة الأيام، رام الله، 2007، متوفر على موقع الكاتب محمود شقير، تاريخ الزيارة 2017/3/19.

اختلافاً كبيراً في الصور السلبية للمرأة؛ كصورة المرأة الثرثارة وصاحبة المكيدة، والمضطهدة، وغيرها.

فالمرأة في الروايتين السابقتين كانت تتراوح بين السمات الإيجابية وغير الإيجابية؛ لأن شقيراً اتكأ على الواقعية أكثر في تصوير هذه المرأة من خلال الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، خاصة مجتمع البداوة؛ فالروايتان موجهتان للكبار، وبالتالي تخلى شقير فيهما عن النزعة التربوية، والتزم أكثر بالواقعية بحيث صور المرأة بسلبياتها وإيجابياتها. أما صورة الفتاة في الأعمال الثلاثة الموجهة للأطفال فكانت صورة وردية كما وصفها شقير، ذات سمات إيجابية، مبتعدة كل البعد عن السمات السلبية؛ لأن هناك هدفاً تربوياً يسعى إليه. وفي المحصلة يدافع شقير عن المرأة وعن حقوقها في كلتا الحالتين؛ فهي جديرة بالاحترام والتقدير، رغم النواقص والسلبيات الموجودة في الواقع وفي حياة المرأة الفلسطينية.[172] وهذا لا يعني أن صورة الفتاة في المؤلفات الثلاثة تخالف الواقع، بل أراد شقير من خلال ثقافتها الجديدة خلق واقع جديد. ويُلمس تعاطف شقير مع هذه الصور المثقفة المتعلمة سواء في الروايتين السابقتين أو في المؤلفات الثلاثة؛ فهو ينظّر إلى إيجاد مجتمع تشترك فيه المرأة أو تقوده، وهذا نابع من إيمانه في إيجاد مجتمع مدني يقوم على الديمقراطية والعدالة الاجتماعية بعيداً عن كل أنواع الغطرسة والتسلط والظلم بحسب ما ذكر في حوار له مع عبد الله المتقي.[173]

[172] مقابلة أجرتها الباحثة مع الكاتب محمود شقير، تاريخ المقابلة 2017/3/21.

[173] حوار أجراه عبد الله المتقي مع محمود شقير، متوفر على موقع الكاتب محمود شقير، تاريخ الحوار 2009/11/4 http://mahmoudshukair.com/web1/modules/news/article.php?storyid=607 تاريخ الزيارة 2017/4/28.

الفصل الرابع

البنية الفنية في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة"

يتناول هذا الفصل بعض البنيات الفنية في روايتي "فرس العائلة" و "مديح لنساء العائلة"؛ لمعرفة ملامح الرواية وخصائصها، وإظهار التعالق والارتباط بين العناصر الفنية للرواية، والكشف عن أدوات الكاتب الفنية، وقدرته الإبداعية. وهذه البنيات هي: عتبة العنوان، وصورة الغلاف، والمكان. اختيرت هذه البنيات الثلاث؛ لأنها تعد من المراكز الأساسية في استقراء النصوص، كما أن عتبة العنوان وصورة الغلاف في هاتين الروايتين تجذبان الانتباه بطريقة تخدم موضوع الدراسة؛ إذ برز فيهما دور المرأة وانحياز الكاتب لها بشكل واضح.

- عتبة العنوان

يُعَدّ العنوان العتبة الأولى للقارىء؛ فهو يشير إلى ما في داخل النص، ويرتبط ارتباطاً كبيراً معه، وهو المركز الأول الذي يُسلَّط الضوء عليه. يعد العنوان –أيضاً– جزءاً من إبداع الكاتب، وهو من المكونات الأساسية لعتبة الغلاف.

"حظي العنوان بأهمية كبرى في الدراسات السيميولوجية، إذ يُعَدّ نظاماً سيميولوجياً ذا أبعاد دلالية شديدة التنوع والثراء، وأخرى رمزية، فهو عتبة النص للمتلقي، وأول لقاء مادي بين المرسل والمتلقي، فالعنوان إشارة مختزلة ذات بعد إشاري سيميائي يحمله المتلقي باعتباره مفتاحاً يلج به أغوار النص قصد محاكاتها وتأويلها".[174]

وقد اهتمت الدراسات الأدبية والنقدية اهتماماً كبيراً بالعنوان؛ "لما له من أهمية في بث جو نفسي لدى المتلقي الذي يجد في العنوان وسيلة لسبر أغوار النص الأدبي وتحليل رموزه؛ فكما تشير المئذنة أو الآيات المنقوشة على باب المسجد إلى أن ذلك البناء مكان عبادة المسلمين، وكما يمثل الصليب على باب الكنيسة أو أحد المباني إشارة إلى أن هذا البناء يخص المسيحيين، يدل العنوان –كذلك– على هوية النص الأدبي وجنسه..... هو النواة الأساسية التي يتم عن طريقها تبئير انتباه القارىء".[175]

---

[174] عيسى برهومة، سيمياء العنوان في الدرس اللغوي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع97، مجلد25، 2007، ص147.

[175] علي خواجة، في استنطاق الرواية الفلسطينية المعاصرة "انتفاضة الأقصى أنموذجاً"، ط1، مركز أوغاريت الثقافي، رام الله، 2009، ص21.

ويُعرِّف ليو هـ. هوك العنوان بأنه "مجموعة العلاقات اللسانية التي تُدرَج على رأس نص لتُحددَه، وتدلَّ على محتواه العام، وتُغري الجمهورَ المقصودَ بقراءته".[176]

والباحث في رواية "فرس العائلة" أمام هذا العنوان، الذي يشير إلى فرس العائلة، ويجعله يتساءل ما قصة هذه الفرس؟ وما سمات العائلة التي يتحدث عنها الكاتب؟ فيدفعه إلى القراءة داخل النص؛ للبحث عن قصة هذه الفرس، وكأن العنوان الخيط الأول الذي يتكشفه عن الرواية؛ فالعنوان "بمثابة شيفرة رمزية يلتقي بها القارىء؛ فهو أول ما يشد انتباهه، وما يجب التركيز عليه، وفحصه وتحليله بوصفه نصاً أولياً يشير أو يخبر، أو يوحي بما سيأتي".[177]

فرس العائلة في الرواية هي فرس شيخ القبيلة، الشيخ عبدالله (جد منان)، الذي قُتل عند بئر الماء، ولم يُعرف قاتله، وعادت فرسه إلى مضارب قبيلته، وظلت تحن إلى صاحبها الذي افتقدته، "انطلقت تعدو عبر المضارب مبتعدة إلى حيث قبر سيدها. وقفت تحفر ترابه بحافرها، ثم لا تلبث أن رفعت رأسها إلى السماء، كأنها تستغيث بقوة مجهولة لإنقاذ الشيخ مما حلّ به"،[178] وبعد فترة تركت المضارب دون عودة واختفت، وبات بعد ذلك رجال القبيلة ونساؤها يتذكرون هذه الفرس ويحلمون بها، وينسجون حولها الحكايات.

جاء عنوان "فرس العائلة" رمزاً للأصالة التي تخلى عنها بعض أبناء العشيرة كما رأت صبحاء، من خلال تركهم لبيوت الشَّعر، وانتقالهم للعيش في بيوت إسمنتية في قرية رأس

---

[176] محمد الهادي المطوي، شعرية العنوان في كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق، ص456 نقلاً عن علي خواجة، البكاء على زهرة القمر:العنوان مقاربة سيميائية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2، مجلد36، 2009، ص381.

[177] بسام قطوس، سيميائية العنوان، ص117 نقلاً عن علي خواجة، في استنطاق الرواية الفلسطينية، مرجع سابق، ص26.

[178] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص39.

النبع التي تقع على مشارف مدينة القدس؛ فتركوا حياتهم البدوية الأصيلة وانتقلوا إلى حياة الحضر. لذا بعد مقتل الشيخ عبدالله اختفت الفرس؛ رمز الأصالة. ونشر إلياس نصر الله في جريدة الرأي الكويتية بأن الفرس "رمز لرفض عملية الانتقال أو التحول الاجتماعي، فأصبحت كابوساً يطارد أبناء العشيرة الذين بدؤوا يشاهدونها في المنام في مناسبات كانت كلها غير سعيدة"؛[179]حيث تُرى صبحاء في الرواية تحدّث ابنها منان عن الفرس حين جاءتها في المنام، فتقول: "شفتها وهي تصهل وراسها لفوق. مشيت على مهلي عشان ما تجفل مني. وقلت لازم أقودها وأرجّعها للأهل والخلان، خليها تشوف بيوتنا اللي سكنّا فيها جنب المدينة. شفتها تركض في البرية..... ولما قربت من الفرس شمست وأبعدت عني. قلت والله مبين عليها زعلانة مني.....وما شفت إلا أبوك يقرّب مني ويقول لي: خلي الفرس بحالها يا صبحا، خليها، الفرس زعلانة منكم....صدّق وآمن يا منان، إنها الفرس لما شافتني بحكي أنا وأبوك، رجعت قرّبت منا وظلت تصهل وتصهل"؛[180] فوجود الفرس مقترن بوجود صاحبها، لذا بعد مقتله وابتعاد العائلة عن المكان الذي يحتضن قبره اختفت. العائلة هي عائلة العبد اللات التي يتزعمها الشيخ عبد الله، والتي انتقلت زعامتها بعد مقتله إلى ابنه محمد، ثم إلى حفيده منان. انتهت أحداث الرواية بآخر جملة نطقتها وضحاء وهي على فراش الموت: "هاتوا لي فرس العيلة. بدي. فر...س..العي.. "،[181] دالة بهذه الجملة على الفرس الذي رمز اختفاؤها إلى ضياع العز ولم الشمل –كما ترى صبحاء– التي حاولت

---

[179] إلياس نصر الله، فرس العائلة تروي قصة الانتقال من البرية إلى الحياة الحضرية في التاريخ الفلسطيني، جريدة الرأي الكويتية، 2013، متوفر على الموقع http://www.alraimedia.com تاريخ الزيارة 2017/3/23

[180] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص227.

[181] المصدر السابق، ص310.

المحافظة عليه، وضياع المجد الذي فُقد إثر ضياع فلسطين مع دخول الاحتلال البريطاني وتزايد الهجرة اليهودية إليها.

عتبة العنوان في رواية "فرس العائلة" تعيّن الجنس الأدبي من خلال عتبة العنوان الفرعية "رواية" المكتوبة على الغلاف في الجزء الأعلى منه؛ فهذه العتبة تشير إلى هوية النص الأدبي، وتعرّف القارىء بأنه أمام نص نثري، وبالذات أمام رواية. "والعنوان يعيّن النص ويؤشر عليه، مائزاً إياه من نصوص أخرى؛ بمعنىً افتراضيّ أنْ يقومَ العنوان بتعيين جنس النص وهُويّته، ويساهمَ في إبراز انتمائه، ويجعلَ القارئَ يعتقد أنه أمام نصٍ شعريّ أو نثريّ ليس غير، ويكون هذا محكومًا بماهية النص وثقافة المتلقي".[182]

عنوان "فرس العائلة" يصنَّف تحت نمط الجملة الاسمية، "ويعلل ذلك بأن الاسم أكثر استقراراً وثباتاً"[183] من الجملة الفعلية، كما أن الاسمية "خاصية مميزة في بنية العنوان وجملته، حتى تكاد تكون الخاصية الأساس في العنونة، حيث الاسم يتعالى على الزمن وتحولاته، وتوسُّل العنونة بالاسمية يضمن لها الثبات".[184] تشتمل الجملة على حذف نحوي في أحد مكوني الجملة الاسمية إما في المبتدأ أو في الخبر؛ فالجملة لها تأويلان: فقد تكون (فرس) المبتدأ وهي مضاف، والمضاف إليه (العائلة)، والخبر محذوف؛ (وتقديرها مثلاً فرس العائلة مختفية)، وقد تكون (فرس) خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (هذه أو فرسنا)، فيكون تقدير الجملة: (هذه فرس العائلة) أو (فرسنا فرس العائلة). وكلمة فرس وما تحمله هذه الكلمة من ملامح تمييزية من الأصالة والشجاعة والعز والمجد والقوة والولاء والوفاء، تدل على مذكر ومؤنث

[182] علي خواجة، البكاء على زهرة القمر :العنوان مقاربة سيميائية، مرجع سابق، ص381.

[183] علي خواجة، في استنطاق الرواية الفلسطينية المعاصرة، مرجع سابق، ص51.

[184] خالد حسين، في نظرية العنوان: مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين، دمشق، 2007، ص313.

إلا أنها هنا جاءت بصيغة المؤنث؛ ربما هذا نابع من نزعة شقير وموقفه المتحيز للمرأة؛ فالفرس ترمز هنا إلى الأصالة والوفاء إلى فارسها الذي قُتل غدراً، وهذا وجه الشبه بينها وبين الأنثى (المرأة) التي تتسم بالوفاء والأصالة، خصوصاً شخصية صبحاء التي اتسمت بهذه السمات.

ذكر علي خواجة بأن من الوظائف التي يحققها العنوان الأدبي – والتي حدد معظمها جينيت–: وظيفة التسمية، وظيفة التعيين، وظيفة الإغراء، وظيفة الدلالة، الوظيفة التواصلية، بالإضافة إلى الوظيفة الجمالية والوظيفة الأيقونية. [185]

ويؤدي عنوان "فرس العائلة" الوظائف الآتية: وظيفة التسمية؛ فهذه الرواية الوحيدة التي تحمل هذه التسمية، ووظيفة التعيين كونها رواية، ووظيفة إغراء ودلالة لما سيجري لفرس العائلة، ووظيفة تواصلية بين العنوان والنص. والعنوان يتكون من دالين (فرس) و(العائلة)، وأضيفت النكرة للمعرفة؛ بقصد معرفة مالكي الفرس.

أما الرواية الأخرى "مديح لنساء العائلة" فعنوانها يعكس ما بداخل النص؛ حيث يشير إلى مدح نساء عائلة العبد اللات؛ إذ قدم شقير مديحاً لهن، من خلال شخصية سناء المرأة المثقفة والإيجابية، التي وقفت مع زوجها بالباع والذراع، وشخصية مريم وفكرها النيّر المتحضر، وكذلك نوال وأفكارها الإيجابية؛ فهؤلاء النسوة جديرات بالمدح، وكذلك بالنسبة للنسوة الأخريات اللواتي كان يشغل بالهن القيل والقال؛ فقد برر شقير لهن ذلك على لسان الراوي محمد الأصغر، بأن انشغالهن باستغابة الناس هو تعبير عن فراغهن وبؤس حالهن،

[185] علي خواجة، في استنطاق الرواية الفلسطينية المعاصرة، مرجع سابق، ص25،26.

وبالتالي يرى أنهن طيبات جديرات بالمدح لا بالذم كما ورد على لسان محمد الأصغر أيضاً،؛ فالعنوان جاء مشتقاً من هذه الجملة التي وردت على لسان الأصغر. وشقير في كلتا الصورتين للمرأة، سواء الإيجابية أو السلبية، يدافع عنها، ويبرر لها، ويرى أنها تستحق المدح. لهذا، جاء العنوان مديحاً لنساء العائلة. وفي المحصلة، شقير يصور الواقع كما هو، بعيداً عن المبالغة وتزييف الحقائق، وهو في تصويره لصورة المرأة الحقيقية – السلبية أو الإيجابية– لا يقصد ذمها؛ فالإنسان سواء أكان ذكراً أم أنثى، له سلبيات وإيجابيات؛ فهو ليس ملاكاً هابطاً من السماء.

العنوان بذلك يكون قد سلّط الضوء على نساء عائلة العبد اللات ودورهن في الحياة الحضرية، وهو ما أظهرته أحداث الرواية، ويمكن القول، بأن نظرة شقير إلى المرأة وتحررها يظهر حتى في عنوان هذه الرواية الذي يمكن تسميته بالنسوي.

وعنوان "مديح لنساء العائلة" يصنف ضمن نمط الجملة الاسمية أيضاً، ويحوي حذفاً في أحد مكونيها؛ فالمبتدأ محذوف يمكن أن يقدر بـِ: (هذا مديح لنساء العائلة)، والخبر "مديح" جاء هذا الدال النكرة، متقدماً على دالّي المضاف والمضاف إليه "نساء العائلة"؛ لتعرّف هذه النكرة بصاحبات المديح، وتأكيد أنهن جديرات بالمدح، وفي ذلك إبراز لدور نساء عائلة العبداللات، ومكانتهن في القبيلة. قد جاءت كلمة "نساء" جمعاً،؛ لتدل على الشمول والعموم؛ فنساء العائلة جميعها يستحققن المديح وليست واحدة أو اثنتين. وتحمل كلمة "مديح" ملامح تمييزية تشير إلى العظمة والإيجابية والثناء تجاه هؤلاء النسوة ذوات الدور الفاعل في هذه الرواية.

وذكر علي خواجة في كتابه (قراءات أدبية) بأن العنوان الذي يصنَّف ضمن الجملة الاسمية يشير إلى قول سيبويه "واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء، لأن الأسماء هي الأولى، وهي أشد تمكناً،.... ألا ترى أن الفعل لا بد له من الاسم، وإلا لم يكن كلاماً، والاسم قد يستغني عن الفعل".[186] إذن، فالعنوان جاء ضمن الجملة الاسمية؛ "لقوة الدلالة الاسمية من جهة، ولتمكنها وخفتها على الذوق السليم من الدلالة الفعلية من جهة أخرى".[187]

ويحقق هذا العنوان الوظائف الآتية: وظيفة التسمية؛ فرواية "مديح لنساء العائلة" هي الرواية الوحيدة التي تحمل هذه التسمية، ووظيفة التعيين كونها رواية، وحدد الكاتب جنس النص – أيضاً– من خلال كتابة كلمة "رواية" على الغلاف في أعلى العنوان، ووظيفة الإغراء والدلالة لمعرفة النساء اللواتي يستحققن المديح، ووظيفة تواصلية بين العنوان والنص؛ فالعنوان مرتبط ارتباطاً كبيراً مع نص الرواية.

ويمكن أن يُلمح في عنوان رواية "مديح لنساء العائلة" تناص مع عنوان قصيدة محمود درويش "مديح الظل العالي"؛ فكلمة "مديح" مشتركة بين العنوانين، وكلمة "العائلة" تتشابه مع كلمة "العالي"، وبالنسبة لكلمة "نساء" فيرى طارق حميدة[188] بأن نساء العائلة يعشن في الظل والهامش، ولكن الباحثة تختلف معه في هذه النقطة؛ لأن شقيراً أظهر النساء في هذه الرواية فاعلات ذوات مكانة بارزة في الحياة، بالرغم من عدم تحقق المساواة الكاملة بينهن وبين

---

[186] سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ص20،21.

[187] علي خواجة، قراءات أدبية، ط1، دار الجندي، القدس، 2013، ص203.

[188] طارق حميدة، قراءة في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة"، شؤون فلسطينية، عدد265، متوفر على الموقع الالكتروني http://www.shuun.ps/page-871-ar.html تاريخ الزيارة2017/3/27.

الرجال، ولكن مقارنة بالرواية الأولى، يمكن القول بأن المرأة تقدمت بخطى كبيرة نحو التحرر. وذكر –أيضاً– بأن قصيدة "مديح الظل العالي" جاءت بعد خروج الفدائيين من لبنان ومذبحة صبرا وشاتيلا، وكذلك بالنسبة للرواية التي كانت أحداثها تتعلق بالحرب على المقاومة في تلك الفترة والخروج من بيروت.

– صورة الغلاف

"يُعَدّ الغلاف بمثابة عتبة تحيط بالنص، من خلالها يعبر السيميائي إلى أغوار النص الرمزي والدلالي".[189] ويمنح غلاف الرواية "هوية بصرية ينبغي أن نقبلها كإحدى هويات النص؛ فالغلاف هو أول ما يحقق التواصل مع القارىء قبل النص نفسه؛ فهو الناطق بلسانه، يقدم قراءة للنص، وبالتالي يضع سمات النص وعلاماته وهويته".[190] وصورة الغلاف هي من المكونات الأساسية لعتبة الغلاف، وهي الواجهة الأمامية لها، تعطي الجنس الأدبي مظهراً جمالياً، وتعكس ما في داخل النص، وهي كالعنوان جزء من إبداع الكاتب، وأول المراكز التي يسلَّط الضوء عليها.

صورة غلاف رواية "فرس العائلة" تحوي وجه امرأة من العشيرة قمحية اللون، ترتدي المنديل مع النقاب الأحمر، والمرأة ذات عيون عربية سوداء، ورموش ليست طويلة وغزيرة، ولها حواجب مرتبة، يتضح العناية بها. وترى إحدى الآراء بأن من الأجدر على شقير أن يضع صورة امرأة بدوية ذات بشرة سمراء شققتها خشونة العيش، ولكن الباحثة ترى أنه ليس من

---

[189] علي خواجة، قراءات أدبية، مرجع سابق، ص195.

[190] حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000 نقلاً عن علي خواجة، قراءات أدبية، مرجع سابق، ص196.

الضروري أن تكون بشرة المرأة البدوية سمراء؛ ففي الرواية الكثير من المشاهد التي تُظهر وجه المرأة الجميل، أو بشرتها البيضاء، كما في رواية "فرس العائلة" حين وصفت صبحاء لابنها منان جمال مثيلة، فقالت له: "بنت حلوة وجهها مثل القمر".[191] وكما ورد على لسان الراوي في الرواية ذاتها أن بعض نساء العائلة كن "يتظاهرن بالعجلة وبالرغبة في المشي السريع؛ ما يجعلهن مضطرات إلى رفع أثوابهن عن سيقانهن، فيظهر بياض الساقين".[192]

يُعَد اللون الأحمر الذي ترتديه تلك المرأة "من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة"،[193] وقد يتناسب هذا اللون مع طبيعة الحياة البدوية التي تعتمد في حياتها على النار بعيداً عن المتغيرات الحديثة من الكهرباء والضوء، خاصة المرأة البدوية التي تهتم بإشعال النار؛ لاستخدامها في إعداد الطعام والخبز، كما أن أهل البادية الأصليين عادة يعيشون في الصحارى الملتهبة بأشعة الشمس الحارقة، وما يؤكد ذلك صورة المرأة على الغلاف؛ فالمرأة تقف في صحراء وخلفها رمال بنية وفوقها سماء صافية بلونها الأزرق.

وقد يشير اللون الأحمر إلى "القوة والحياة والحركة"،[194] وهذا يتلاءم مع طبيعة عمل هذه العائلة البدوية التي تعتمد في رزقها على الحركة والتنقل والسعي الدؤوب وتحتاج إلى قوة الأجساد، سواء للرجل أو للأنثى؛ فأعمالهم من زراعة وحصاد ورعي وخبيز كلها تتطلب سواعد قوية وأجساداً صلبة.

---

[191] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص22.

[192] المصدر السابق، ص65.

[193] أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ط2، علام الكتب، القاهرة نقلاً عن رسول بلاوي، دلالات الألوان في شعر يحيى السماوي، إضاءات نقدية، ع8، 2012، ص24.ملفpdf تاريخ الزيارة 2017/3/29.

[194] رسول بلاوي، دلالات الألوان في شعر يحيى السماوي، مرجع سابق، ص24.

كما أن اللون الأحمر قد يشير إلى الحب، بالإضافة إلى أنه لون جنسي "يثير كل دلالات النشاط الجنسي وكل أنواع الشهوة"،[195] وهذا يعكس ما بداخل نص الرواية من حب وشهوات ورغبات جنسية ملتهبة تصدر من رجال العائلة تجاه نسائها.

جاءت صورة الغلاف في رواية "فرس العائلة" واقعية؛ فهي لا تحوي رموزاً كثيرة، بحيث يبذل القارىء جهداً في فك هذه الرموز والكشف عنها، وهذا ينطبق –أيضاً– على رواية "مديح لنساء العائلة"؛ فصورتا الغلاف في الروايتين رسمت فيهما صورة المرأة، ولكن مع الاختلاف في عدد النسوة، وطريقة لباسهن، وأجزاء أجسادهن التي ظهرت؛ فالرواية الأولى ظهر فيها رأس المرأة مع التركيز على وجهها، ولم يظهر جسدها، بينما الرواية الأخرى ظهرت فيها أجساد النسوة دون أن تظهر رؤوسهن؛ فقد يشير التركيز على الرأس في الرواية الأولى إلى رأس القبيلة وزعيمها الشيخ عبدالله ومن بعده ابنه الشيخ محمد؛ فالاهتمام برأس القبيلة "زعيمها" وإطاعته من السمات البارزة في الرواية الأولى، أما في الرواية الأخرى فكان تغير لباس النسوة بعد انتقالهن إلى مشارف المدينة من السمات البارزة فيها. لذا، جاءت صورة الغلاف فيها ملقية الضوء على أجساد النسوة دون رؤوسهن، كما أن ظهور الرأس في الرواية الأولى وظهور الجسد في الرواية الأخرى قد يشير إلى تكاملية الصورة بين الروايتين، كون الرواية الأخرى هي المتممة للرواية الأولى والجزء الثاني لها.

صورة الغلاف لامرأة بدوية، ولم تكن صورة لرجل أو طفل أو شيء آخر، وكأن ذلك يؤكد نظرة شقير وتقديره لدور المرأة، وكذلك فعل في صورة غلاف الرواية الثانية "مديح لنساء

[195] المرجع السابق، ص25.

العائلة" التي ظهر فيها صورة ثلاث نسوة يلبسن فساتين حضرية مدنية؛ فلم يغب عن باله دور النساء حتى في صورة الغلاف.

وذهبت إحدى الآراء إلى أن هذه الفساتين التي ترتديها النسوة في رواية "مديح لنساء العائلة" "هندية، ولو كانت الصورة لنساء بلباس البادية الفلسطينية لكانت أجمل وأكثر تعبيراً عن مضمون الرواية"،[196] ولكن الباحثة ترى أن من الملائم أن يخالف اللباس طبيعة لباس المرأة البدوية؛ فهذه الرواية تقوم أحداثها بعد مرور فترة على انتقال العائلة من حياة البداوة إلى حياة الحضر واستقرارهم فيها، واختلاطهم مع سكان المدن؛ ما أدى إلى خلع العديد من النسوة الزي البدوي وارتدائهن اللباس المدني؛ فتغير ملابس النساء كان من المتغيرات التي حصلت للعائلة، لذا جاءت هذه الفساتين على الغلاف مزركشة جميلة لتبين بأن هذا اللباس حضري مناسب لحياة المدينة، وبعيداً عن لباس البدو، وفيه نوع من التغيير كالتغيير الذي طرأ على نساء العائلة؛ فحين ذهبت نجمة إلى الحمام والتقت بنساء المدينة أعجبتها الملابس التي يرتدينها بعد الانتهاء من الحمام؛ فقد كانت مزركشة وجميلة. لذا جاءت الصورة على الغلاف تطابق صورة ملابس هذه النساء. قد يكون شقير قصد في اختيار هذه الملابس الغريبة التي ترتديها النسوة في صورة الغلاف التي يرى أحدهم أنها ملابس هندية، ربما كنوع من لفت انتباه القارىء؛ كي يدفعه أثناء القراءة إلى تسليط الضوء على تغير نوع اللباس في الرواية، وبالتالي يصل إلى نتيجة بأن تغير اللباس كان من نقاط التحول في عائلة العبداللات رجالها ونسائها.

---

[196] عبد الله دعيس، قراءة في رواية "مديح لنساء العائلة"، دنيا الوطن، 2015، متوفر على الموقع https://pulpit.alwatanvoice.com تاريخ الزيارة2017/3/27.

في صورة الغلاف ثلاث نساء يجلسن ويمسكن أطراف فساتينهن بأطراف أصابعهن المطلية بالطلاء الأحمر، ويتزينّ بأساور كثيرة يضعنها في معاصمهن، وبفساتين طويلة مطرزة ومزركشة ذات ألوان زاهية متنوعة؛ فلم يغلب على الصورة لون واحد كما في الرواية الأولى، بل كانت الألوان متعددة ومتنوعة، وقد يشير ذلك إلى تعدد الثقافات في المدينة، واختلاط الناس ببعضهم بعضا في حياة هذه المدينة الكبيرة التي تحوي أناساً من جنسيات وطوائف مختلفة. كما قد يشير تزين النساء في الصورة إلى حياة المدينة التي تظهر من وجهة نظرهم مصدراً للجمال والزينة؛ فصورتا الغلاف والعنوان تؤكدان البطولة لنساء العائلة التي كان دورهن بارزاً وفاعلاً، ولهن الجزء الأكبر من أحداث الرواية؛ فالمتأمل للصورة يستطيع إدراك أن النسوة يحظين بمكانة مهمة في النص.

جاءت صورة الغلاف في الرواية الأولى ملقية الضوء على المرأة التي تغطي وجهها ولم يظهر منه سوى عينيها؛ لإظهار مدى المحافظة على تقاليد اعتادت عليها هذه العشيرة؛ فالصورة يغلب عليها طابع المحافظة على التقاليد دون الحياد عنها، وهذه السمة البارزة التي برزت في الرواية الأولى؛ فبالرغم من تمرد نجمة على العادات والتقاليد في هذه الرواية إلا أن ذلك لا يعني الكل؛ فأغلبية النسوة في العشيرة كان يغلب عليهن طابع الالتزام والمحافظة على كل ما اعتدن عليه، أما صورة الغلاف في الرواية الأخرى فقد ألقت الضوء على اللباس الذي ترتديه النسوة؛ فتغير اللباس كان من السمات البارزة لدى نساء العشيرة ورجالها في هذه الرواية؛ إذ كانت المرأة في البرية ترتدي تحت ثوبها السروال الداخلي الطويل الذي تخيطه من قماش رخيص، وكان الرجل يرتدي تحت قنبازه أيضاً سروالاً طويلاً، أما في قرية رأس

النبع فأخذت المرأة ترتدي الثوب المدني، واستُبدل السروال الطويل بسروال قصير بعد أن اعتادت على شرائهما من المحلات التجارية في مدينة القدس، كما حصل تغير في طبيعة لباس الرجل، وأخذ بعضهم يرتدي القميص والبنطال، كمحمد الأصغر الذي كان يرتدي أثناء عمله في المحكمة الشرعية ربطة العنق والبدلة وتحتها القميص والبنطال، وكذلك فليحان (ابن منان) الذي كان يرتدي هذا اللباس تارة، ويرتدي العباءات المقصبة فوق القنباز تارة أخرى.

- المكان في الرواية

يحظى المكان بمنزلة كبيرة لدى الكاتب؛ إذ يستحوذ على ذهنه منذ لحظات التفكير الأولى في النص، ويزداد هذا الاستحواذ حين البدء بنسج أجزاء الرواية، ليحتل موقعاً متميزاً داخلها؛[197] فعليه تجري أحداثها، ووجوده ليس الهدف منه التعامل معه بطريقة جغرافية فقط، بل لا بد من أن يتكامل مع عناصر الرواية الأخرى، كالزمن، والأحداث والشخصيات. [198] والباحثون في تناولهم للمكان الروائي خلطوا بين مصطلح "المكان" ومصطلح "الفضاء"؛ ما أدى إلى اهتمام بعض النقاد بتوضيح المصطلحين والتفرقة بينهما؛ إذ "يطلق المكان الروائي دون قيد أو تحديد ليدل على المكان داخل النص الأدبي، سواء أكان مكاناً واحداً أم عدة أمكنة، أما حين يراد التمييز بين مصطلح المكان ومصطلح الفضاء فإن مفهوم المكان ينحصر في المكان المفرد داخل النص الأدبي، بينما يدل الفضاء على مجموع الأمكنة التي

[197] بلسم الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي "رباعية الخسوف نموذجاً"، ط1، مجلس تنمية الإبداع الثقافي، الجماهيرية الليبية، 2004، ص47.

[198] يوسف الشحادة، الرواية الفلسطينية في الضفة وقطاع غزة، مرجع سابق، ص118.

تدخل في شبكة من العلاقات فيما بينها داخل النص، كما يشمل أيضاً الإيقاع المنظم للحوادث ووجهات نظر الشخصيات بحيث يبدو مصطلح الفضاء أكثر شمولاً واتساعاً من مصطلح المكان، ليغدو هذا الأخير جزءاً من الفضاء وليس مساوياً له"[199]، أما عبد الملك مرتاض فقد أضاف مصطلح "الحيز"، ورأى أنه يشير إلى الملموس من المكان، و"ينشأ من كل شيء يتحرك، فيمس أو يلمس، وإذا كان الجسم المادي هو كل ما يشغل حيزاً من الهواء، فإن التغير الموقعي للحيز يخضع لحركة الجسم ومن ثم يكتسب الحيز صفة الانتقالية واللاستقرار"،[200] ولكن هذا المصطلح لم يُتداول كثيراً في الدراسات السردية.

وللمكان أهمية كبرى للروائي نفسه، وللدارس أيضاً، "لمن المستحيل على محلل النص السردي أن يتجاهل الحيز فلا يختصه بوقفة قد تطول أكثر مما تقصر. كما أنه يستحيل على أي كاتب روائي أن يكتب رواية خارج إطار الحيز. فالحيز مشكل أساسي في الكتابة الحداثية".[201]

وقد اهتم البعض من الروائيين الفلسطينيين أثناء اختيارهم للمكان الذي ستجري عليه الأحداث "أن يكون بناؤهم له منسجماً مع مزاج وطبائع شخصياتهم وأن لا يتضمن أية مفارقة، وذلك لأنه من اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية، بل وقد تسهم في التحولات الداخلية التي تطرأ

---

[199] محمد البنداق، الفضاء المكاني في رواية حقول الرماد، المجلة الجامعة، مجلد3، عدد15، 2013، ص25.

[200] المرجع السابق، ص9.

[201] عبد الملك مرتاض، في نظرية الروائية: بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص142.

عليها".[202] فرواية "فرس العائلة" التي تجري أحداثها في فضاء البرية الواسع تكشف عن عادات وتقاليد أفراد العشيرة الذين يعيشون في هذا المكان، وتكشف عن طبائعهم وتفاصيل حياتهم، وحين ينتقلون ويتجهون غرباً إلى قرية رأس النبع على مشارف مدينة القدس تصور روايتا "فرس العائلة" و "مديح لنساء العائلة" تأثير المكان الجديد والاختلاط مع سكانه على حياة هؤلاء الأفراد من خلال تغيير عاداتهم وتقاليدهم ولباسهم؛ إذ شكل المكان نقطة تحول في حياة عائلة العبداللات بجميع أفرادها؛ فسكنوا في بيوت إسمنتية بعد أن كانوا يقيمون في بيوت من الشعر، وأخذ الرجال يعملون في الصناعات والمحلات التجارية بعد أن كانوا يعملون في رعي الأغنام والزراعة، وتغير دور المرأة بعد أن كانت تحلب الأغنام وترعاهم وتساعد زوجها في الزراعة بأن أصبحت امرأة متعلمة عاملة منفصلة عن عمل زوجها؛ ما أثر في طبيعة تفكير هذه العشيرة، وأدى بهم إلى مواكبة المتغيرات الجديدة، كدخول الأجهزة الحديثة على البيوت، كالتلفاز والغسالة والثلاجة، ودخول المسرح إلى حياة هذه العشيرة . وقد ورد على لسان فليحان حين أراد أن يعرف سبب ارتداء زوجته سميحة السروال الداخلي الطويل، الذي يمكن الاستعاضة عنه بالسروال القصير الذي أقبلت نساء العائلة على شرائه من المدينة: "لعله تأثير البيئة على عادات الناس وطرائقهم في المأكل والملبس... أكيد هذا السروال مرتبط بالبيئة الزراعية حيث تعمل المرأة في الحقول مثلها مثل الرجل، وهي لذلك تضطر في وقت العمل إلى أن ترفع ثوبها الطويل عن ساقيها، وتثبّت طرفيه تحت حزامها....وفي هذه الحالة لا يصح لها أن تكشف ساقيها.. ".[203] يُظهر هذا تأثير المكان

[202] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ص30.

[203] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص124،123.

على لباس النسوة، وكذلك بالنسبة للرجل. يَظهر تأثير المكان على الأشخاص –أيضاً– من خلال تأثير السكن في البرية على التركي علي أوغلو الذي أدى إلى زيادة رغباته الجنسية "كانت طبيعة الحياة في البرية حيث القسوة وشظف العيش تدفعه إلى ذلك، وكان طقس البرية المتنوع واتساع المدى فيها يشعل الأشواق في قلبه، فيجعله مشدوداً إلى الرغبات الجسدية التي تبحث عن إشباع".[204] جميع هذه المتغيرات كانت نتيجة لعوامل مختلفة، من أبرزها تغير المكان؛ فالانتقال من مكان إلى آخر يصاحبه تحول في الشخصية، "فالرحلة أي الانتقال من مكان إلى آخر مستمد من أسطورة البحث، أما الانغلاق في مكان واحد دون التمكن من الحركة فإن هذه الحالة تعبر عن العجز وعدم القدرة على الفعل أو التفاعل مع العالم الخارجي أي مع الآخرين"؛[205] فمحمد الأصغر في رواية "مديح لنساء العائلة" يقول أن عمله في المحكمة قلل من رغبته في التمثيل "حين أصبحت موظفاً في المحكمة تضاءلت رغبتي في التمثيل، والسبب كامن في طبيعة المكان الذي أعمل فيه"؛[206] فالمكان يلقي على الشخصية سماته الخاصة؛ حيث أن طبيعته تؤثر في سلوك الشخصيات وأخلاقها وعاداتها، ومستوى الأحداث التي تحدث في إطاره؛ فمن الطبيعي أن تختلف شخصيات الرواية وأحداثها التي تتخذ من الريف مكاناً لها عن التي تتخذ المدينة مكانها، كما أن أحداث الرواية وصراعاتها وتحولاتها التي تقوم بها الشخصية تتسم بالمصداقية، من خلال وجودها في المكان؛[207] إذ ظهرت البرية القاعدة التي انبنت عليها سلسلة من الأحداث من حيث

---

[204] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص21.

[205] سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، مرجع سابق، ص77.

[206] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص89.

[207] بلسم الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي ، مرجع سابق، ص49.

تغير طبيعة المكان بانتقال العائلة إلى فضاء آخر (على مشارف المدينة)، وما تطلبه ذلك الانتقال من تغيير في سلوكيات الشخصيات، وتصرفاتهم.

يرصد الكاتب المكان الجغرافي عند وصفه لحركة الأشخاص، ويتضح ذلك كثيراً في أحداث الروايتين "يرتدي ملابسه ويغادر البيت، .. يمشي متجهاً إلى القدس...يفكر في تعدد مشارب الأولاد. يوسف الذي التحق بالثوار وهو الآن في سجن عكا ..... يصعد درجات كثيرة ويهبط درجات. يمر من أمام المساجد والكنائس والمحال التجارية والمقاهي. يجلس في مقهى بباب العامود اعتاد الجلوس فيه. يشرب القهوة ويدخّن... ".[208] "كنتُ أراهنَّ في الربيع عند سفح الجبل المحاذي لأرضنا وهنّ يجمعْن الخبيزة والزعتر وحشائش أخرى..، انتقلت أمي من بيت عائلتها التي تهتم بتربية الأغنام وزراعة الأرض، إلى عائلة والدي التي لها اهتمامات مشابهة... "؛[209] فالكاتب أكثر من استعمال الأفعال التي تضفي على المكان الحركة والحيوية والحياة، كما استخدم الوصف الذي يثري الرواية؛ ما يؤكد بأن الأشخاص وحركتهم لا يمكن أن تظهر بمعزل عن المكان الذي يرتبط بهما ارتباطاً وثيقاً؛ "فالمكان لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له"؛[210] فوصف المكان هو وصف للشخصية التي تحتله، ولا يمكن أن توجد الشخصية من دونه؛ لأنه هو الذي يحدد هويتها وكينونتها. [211] يصف شقير المكان وصفاً دقيقاً بكل تفاصيله، سواء أكانت البرية أم القرية أم مدينة القدس؛ فيصف حظائر البرية وجبالها وحيواناتها ومضاربها، ويصف القرية وشوارع القدس وحاراتها وأسواقها بواقعية؛

---

[208] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص298، 299.

[209] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص23، 37.

[210] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص29.

[211] حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة، دار نينوى، دمشق، 2011، ص273.

إذ "حاولت الرواية التقليدية أن تقنع القارىء بواقعية ما يعرض أمامه في النص؛ وجعله يتوهم حقيقته عن طريق الإخلاص للواقع المرجعي، ونقله بكل خصوصياته وحيثياته. وعلى هذا الأساس، نجدها في تقديمها للفضاء ذي المرجعية الواقعية؛ تجتهد في تحديد طوبوغرافيته؛ أو تعيينه بالاسم؛ وذلك من أجل حمل القارىء على الاعتقاد بحقيقة التخيل؛ وعدم الفصل بين ما هو موجود في النص، وما هو موجود في الواقع".[212] وتُعرَّف الفضاءات المرجعية – حسب سعيد يقطين– بأنها "الفضاءات التي يمكننا العثور على موقع معيّن لها إما في الواقع، أو في أحد المصنفات الجغرافية أو التاريخية القديمة".[213] يمكن القول، بأن شقيراً استطاع من خلال استخدامه لتقنية الوصف رسم "صورة الفضاء المكاني الخارجي في الرواية، كما اعتمد على حركة الشخصيات لرسم أبعاد المكان وطبيعته من الداخل، وكذلك طبيعة العلاقات التي يفرضها المكان على الشخصيات المتحركة داخله".[214]

يلاحَظ أن الكاتب محمود شقير اختار أماكن الرواية بعناية ودقة سواء في البرية أو مشارف مدينة القدس؛ لقربه من المكان، وإلمامه بتفاصيل الحياة فيها؛ إذ ذكر إلياس نصر الله في مقالة له "يمكن للقارىء الذي يعرف المؤلف شخصياً أو المنطقة التي يعيش فيها أن يرى جبل المكبر مسقط رأس شقير بوضوح، ويشاهد الشبه الدقيق بينها وبين رأس النبع المحاذية لمدينة القدس وعشائر عرب السواحرة وقرية صور باهر القريبة من بيت لحم، وفقاً للرواية.....فشقير صاحب تجربة غنية على الساحة الأدبية محلياً وعربياً امتدت على

---

[212] حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة، مرجع سابق، ص80.

[213] سعيد يقطين، قال الراوي، ص244،243، نقلاً عن بلسم الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، مرجع سابق، ص132.

[214] محمد البنداق، الفضاء المكاني في رواية حقول الرما، مرجع سابق، ص26.

أكثر من خمسة عقود وقدم في "فرس العائلة" زبدة ما ادخره من تجارب في حياته من خلال التصاقه الشديد بأبناء عشيرته الشقيرات وأبناء وطنه عامة واحتكاكه بالمجتمع الفلسطيني الواسع في الوطن"،[215] وهذا ينطبق أيضاً على رواية "مديح لنساء العائلة".

وقد يُلقي الأشخاص مشاعرهم وأحاسيسهم على المكان؛ فبعد انتقال صبحاء إلى مشارف المدينة ظلت تهذي بحبها للبرية التي شكلت بالنسبة لها مركزاً للدفء والحميمية والأمان؛ وهي الفردوس المفقود الذي ظلت تتخيله وتحلم بالعودة إليه، ومما زادها شوقاً بُعدها عن المكان الذي طال انتظارها بالعودة إليه، وهذه العلاقة عُبّر عنها سابقاً من خلال خطاطة.

وقد تصبح بعض الأماكن هاجساً ترتبط بالقتل والدماء، وتُقلّب الأحزان والآلام على أصحابها؛ فها هي سناء في رواية "مديح لنساء العائلة" ترفض الذهاب إلى حيفا؛ حتى لا تتضاعف الآمها في استعادة ذكريات مؤلمة من ماضٍ مليءٍ بالدماء والقتل.

وقد يرافق المكان الشعور بالخجل والخزي؛ خاصة بعد أن فقدت هذه الأماكن أصحابها الأصليين، واستولى عليها اليهود، وهذا ما يُلمح عند ذهاب محمد الأصغر وزوجته سناء إلى زيارة أخته فلحة في المخيم. يشعر الأصغر حينئذ بأن البيوت المجاورة تشعر تجاهه بالخجل، "كان المخيم يغرق في الوحل بعد مطر شديد. وكنت أتلفّت في كل اتجاه، فأرى بيوتاً متطامنة كما لو أنها تشعر بالخجل. وصرت كلما زرت قرية فلسطينية أو مدينة تلبّسني هذا الإحساس. أرى الخجل مهيمناً على الأمكنة وعلى البيوت، على القرى والمدن،

---

[215] إلياس نصرالله، فرس العائلة تروي قصة الانتقال من البرية إلى الحياة الحضرية في التاريخ الفلسطيني، موقع الراي، 2013، متوفر على الموقع الالكتروني http://www.alraimedia.com/ar/article/books/2013/03/13/395635/nr/nc تاريخ الزيارة2017/3/25.

فيتضاعف شعوري بالصغار"؛[216] فحين ذهب في رحلة إلى يافا، انتابه شعور بخجل البيوت منه؛ فسّر محمد الكبير له هذا الأمر من خلال قوله: "ربما الخجل نابع من داخل نفوسنا"،[217] ورأت مريم بأن: "البيوت تخجل عندما ترى أهلها قادمين وهي غير قادرة على استقبالهم"،[218] ووصل هذا الشعور إلى سناء –أيضاً– التي أحست بأنها تتبادل شعور الخجل مع مدينة القدس. يتضح الشعور بالخجل والخزي –أيضاً– حين ذهب الأصغر مع أخته فلحة وزوجها، ورسمية ووالدها إلى قرية الموسمية التي لم يجدوا أي أثر لبيوتها سوى بقايا أشجار صبر، "كم شعرنا بالخزي والخجل آنذاك! ".[219]

وقد يكون المكان هاجساً مرتبطاً بالخوف والقلق؛ نتيجة الإيمان بالخرافات؛ فوضحاء كانت مقتنعة بأن بيتها مسكون بالأشباح؛ فقد ورد على لسان ابنها محمد الأصغر بأن أمه "كانت على قناعة بأن المكان الذي بنى أبي بيتنا عليه مسكون بأرواح أجداد قدماء قاتلوا وقُتلوا وسالت دماؤهم فوق هذه الأرض. تنطلق أشباحهم في الليل باحثة عن فرصة للثأر...تسمع أمي في الليل صليل السيوف وحمحمة الخيول.... وتكون نتيجة ذلك قلقاً يستبدّ بأمي فلا يأتيها نوم".[220] إذن، وظيفة المكان تتعدد؛ فتارة يتسم بالأمان والدفء كالبيت والمسرح والحظيرة والخيمة، والبرية بالنسبة لصبحاء، وتارة يتسم بالعدوانية كالبيت المسكون بالأشباح، وحيفا التي ارتبطت بالقتل والدماء حسب شعور سناء.

---

[216] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص183،182.

[217] المصدر السابق، ص182.

[218] المصدر نفسه، ص182.

[219] المصدر السابق، ص183.

[220] المصدر السابق، ص68،67.

ومثلما يرتبط المكان بالأشخاص وحركتهم ومشاعرهم، فهو يرتبط بأحداث الرواية وزمانها – أيضاً–؛ فأحداث الرواية وزمانها كان لها الأثر الكبير في تغير المكان؛ فقد ساهمت الأحداث السياسية التي جرت في فلسطين إلى انتقال العائلة من المضارب إلى مشارف القدس؛ بسبب ما تعرضت له من هجمات الإنجليز عليها في زمن الاحتلال البريطاني. وتصور "رواية مديح لنساء العائلة" مغادرة حنا وعفيفة*[221] وأولادهما لبيتهم في حي المطالبية بالقدس، وعودة نجمة إلى حي المغاربة؛ بسبب تساقط القذائف وشدة القصف الإسرائيلي على هذه المنطقة؛ ما أدى إلى سقوط هذا الجزء من القدس. كما أن نكبة 1948 وهزيمة 1967 أدت إلى هجرة أعداد كبيرة من الفلسطينيين، واستقرارهم خارج البلاد؛ حيث يُلمح في رواية "مديح لنساء العائلة" هجرة عطوان (ابن منان) واستقراره في البرازيل، واستقرار سلمان –أيضاً– (ابن منان) في الكويت، وغيرهم الكثير مما ورد في الرواية، بالإضافة إلى تشتت الكثير من الفلسطينيين في المخيمات إثر النكبة سواء داخل فلسطين أو خارجها، ومكوث آخرين خلف قضبان السجن.

يقوم السرد في رواية "فرس العائلة" على تسلسل الأحداث من خلال سارد واحد هو الكاتب نفسه، أما في رواية "مديح لنساء العائلة" فالسرد يتوزع بين أربعة ساردين، هم: محمد الأصغر الذي يحتل المساحة الكبيرة في السرد، وأخوه فليحان، وأمه وضحاء، وأخوه عطوان الذي اتخذ السرد لديه على شكل رسائل يرسلها من البرازيل. وقد يفسَّر ذلك بأن الرواية الأولى كان لها مختار واحد يحظى باحترام الجميع، وهو الآمر الناهي في أمور العشيرة، لذا

[221] *(كانت نجمة تعمل عند حنا وعفيفة تساعدهما في أمور البيت).

كان فيها سارد واحد، أما تعدد الرواة في الرواية الأخرى فهو يتناسب مع حالة التشظي التي حلّت بالعشيرة، خاصة وأن أحد الساردين (عطوان) مقيم في الشتات.

قد يكون شقير قصد في السرد وضع صوت أنثوي واحد مقابل ثلاثة أصوات ذكورية؛ كي يظهر ذكورية المجتمع الذي تدور فيه أحداث الرواية، ومع ذلك لم يتخل عن هذا الصوت، وجعل صوت الأنوثة حاضراً؛ كي يُظهر انتصار المرأة في مجتمع ذكوري، ويؤكد على أهمية مشاركة المرأة الرجل في جميع أمور الحياة. [222]

لم تجر الأحداث في الروايتين في خط زمني مستقيم، بل كان السارد من خلال سرده للأحداث يستعمل تارة تقنية الاسترجاع، الشيء الذي يؤدي إلى تبطيء الزمن، وتارة يستعمل تقنية الاستباق التي تؤدي إلى تسريع الزمن، وكلها تفرضها أمكنة محددة، بطريقة أبعدت الملل عن القارىء، وأغنت الروايتين بتفاصيل عن واقع العشيرة في أزمنة مختلفة، وهذا يشير إلى العلاقة الوثيقة بين المكان والزمان؛ فالفضاء يؤثر على سير الزمن؛ فقد يسرّعه أو يبطئه.

يستهل شقير رواية "فرس العائلة" بالحدث الذي يبين سبب قرار منان بالانتقال من البرية، "للبرية أعرافها التي ابتدعها أبناء بسطاء. منان هو أحد هؤلاء الأبناء، والبرية لم تعد كما كانت من قبل، أو هذا ما يعتقده منان. فالريح التي تقبض على الغيوم من أذيالها لتأخذها إلى شتى البقاع جالبة معها المطر، لا تحضر إلا لتعيث الأرض خراباً في مضارب العشيرة، والمطر منقطع..... وعسكر الإنجليز لا يغيبون عن العشيرة حتى يظهروا في أفقها من

[222] محمود حسني، في مديح النساء.. جمع شتات العائلة الفلسطينية، موقع الكاتب محمود شقير، قراءات نقدية، تاريخ النشر 24/4/ 2016 متوفر على http://mahmoudshukair.blogspot.com/2016/04/blog-post_24.html تاريخ الزيارة2017/8/2.

جديد....منان اتخذ بعد طول تفكير قراراً بالرحيل، وبالتوجه غرباً إلى مشارف المدينة.. ".[223]

بدأت الرواية بالتركيز على البيئة الجغرافية والفضاء المكاني لها؛ فمن خلال هذه البداية، يُستدل أن العائلة تسكن بالبرية، وتريد الانتقال إلى مشارف المدينة، كما حددت زمن الرواية، فالرواية تدور أحداثها زمن الاحتلال الإنجليزي؛ ما يشير إلى العلاقة الوثيقة بين المكان والزمان والأحداث؛ حيث يسهم المكان في بناء الحدث الذي يتطور في إطار زماني ومكاني. وهذا ينطبق أيضاً على رواية "مديح لنساء العائلة"؛ إذ استهل شقير الرواية بإلغاء محمد الأصغر وزوجته سناء رحلة السفر إلى بيروت؛ بسبب الغارات الجوية والاجتياح على جنوب لبنان وبيروت، وتكرر في الحدث الأول من الرواية ذكر المكان "قالت: كم أنا مشتاقة إلى زيارة هذه الأماكن التي كنا فيها آنذاك!" "صرنا نخرج إلى هذا المكان أو ذاك، لاقتناص بعض المسرّات"،[224] كما أن الغارات الجوية على بيروت وضعت القارىء في الإطار الزماني الذي تجري فيه الأحداث. حددت بداية الروايتين –أيضاً– أسماء أشخاص أخذت دور البطولة في هاتين الروايتين؛ إذ بُدئت الرواية الأولى باسم المختار منان، أما الرواية الأخرى فبُدئت باسم سناء، وهذا قد يشير إلى بطولة المرأة في هذه الرواية ودورها الفاعل فيها "ويمكن القول إن الاسم الأول في كلتا الروايتين يمثل الفاعل الأول فيهما، وإن كان دور سناء غير مباشر، أو هي المرأة التي تقف من خلف الرجل العظيم بحسب الرواية، بل إن لها قدرة كبيرة على التأثير عليه".[225]

---

[223] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص1.

[224] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص9،10.

[225] طارق حميدة، قراءة في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة"، مرجع سابق. متوفر على http://www.shuun.ps/page-871-ar.html

يمكن تصنيف المكان الذي برز في الروايتين إلى قسمين: مكان مركزي: وهو المكان الأساسي الذي تدور عليه أحداث الرواية، ويظهر فيه التفاعل بينه وبين الأشخاص وحركتهم ومشاعرهم. وقد ظهر المكان المركزي في الروايتين من خلال: البرّيّة، قرية رأس النبع، مدينة القدس؛ حيث تمثل هذه الأماكن المفتوحة فضاء مرجعياً مركزياً تظهر من خلاله "حقيقة الشخصيات وحركتهم العامة والخفية كما تتحقق فيها هوية الفضاء نفسه لتكون فضاء انكشاف وتعرٍّ لبواطن الشخصيات، وفضاء استقطاب للشخصيات نفسها، ولتظهر فيها السمات المكنونة والظاهرة لهذه النماذج الفضائية".[226] وقد يتفرع من هذه الأماكن أماكن أخرى: كالحقل، النبع، الحظيرة، الحمامات، شوارع مدينة القدس وأزقتها، المحكمة، المسرح. وتنوعت هذه الأماكن بين الأماكن المفتوحة (الخارجية)، كالبرية، والحقل، وشوارع مدينة القدس، وبين الأماكن المغلقة (الداخلية)، كالخيام، والبيوت، والمسرح. أما القسم الثاني من المكان، فهو المكان الثانوي الذي يَظهر فيه المكان عابراً دون تقديم وصف لهذا المكان، أو إظهار تفاعل بينه وبين الشخصيات، وظهر هذا في الروايتين من خلال الأماكن الآتية: البرازيل، يافا، الكويت، الأندلس، عمّان؛ وهذا النوع من المكان لم يولِّه الكاتب العناية، ولم يتطرق إلى وصفه أو الحديث عنه ولو بجزء قليل، بل اكتفى بذكره فقط.

إن كثرة الأماكن وتنوعها قد منح الروايتين الامتداد والاتساع في أحداثهما دون أن يشتت القارىء، أو يُفقد رونق الأحداث، وجاء هذا التنوع منسجماً مع واقع الشعب الفلسطيني الذي يقبع تحت ظل احتلالات متعاقبة، ويعيش حياة التشتت والتشظي وعدم الاستقرار.

[226] بلسم الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، مرجع سابق، ص132.

جاء قرار الانتقال والرحيل من البرية إلى مشارف مدينة القدس بعد تريّث واختيار، واختلفت آراء عائلة العبداللات في نظرتهم للرحيل؛ فمنهم من ظل متمسكاً بحياة البداوة التي ترمز إلى الأصالة والعراقة والتمسك بالقيم الثابتة والتقاليد، ومحاولة المحافظة على الهوية الجماعية من وجهة نظرهم؛ فهجر حياة البداوة نوع من التفكيك لأواصر العلاقات التي تجمع الناس، كما أن حياة البرية تضم الأرض التي تعد مصدر الرزق والأمن والطمأنينة لدى أصحابها؛ فهي كالأم التي تحتضن أبناءها. ومنهم من فضّل الرحيل إلى مشارف المدينة التي تعد – من وجهة نظرهم– رمزاً للتطور والحداثة والحرية والجمال، فيستطيعون من خلالها الانسلاخ عن القيم والتقاليد القديمة، وتحقيق استقلالية الأفراد من خلال الانفصال عن الجماعة، وهذا ظهر واضحاً من خلال كلام سناء التي كانت تؤمن "بأن تفسخ العائلة الممتدة هو الأمر الطبيعي في مسار التطور الاجتماعي"،[227] ويرى هؤلاء بأن المحافظة على الهوية يتم من خلال إثرائها بالمعارف والعلم والوعي ومواكبة المتغيرات الحديثة.

من خلال تكامل المكان مع العناصر الأخرى (الزمان، وأحداث الرواية، والأشخاص) في الروايتين، يمكن القول، بأن المكان جزء لا يتجزء من هذه العناصر، فهو "الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه". [228]

[227] محمود شقير، مديح لنساء العائلة، مصدر سابق، ص115.

[228] ياسين النصير، الرواية والمكان: دراسة المكان الروائي، ط2، دار نينوى، دمشق، 2010، ص70.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة أبرز صور المرأة التي وردت في الرواية الفلسطينية بشكل عام، وصورها لدى الكاتب محمود شقير في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة" بشكل خاص، بحيث ظهرت في هذه الصور براعة الكاتب، وواقعية تلك الصور لحال المرأة في المجتمع الفلسطيني وخصوصاً مجتمع البداوة، ثم تناولت الدراسة صور الفتاة المرغوب بها لدى الكاتب محمود شقير في روايتي "أنا وجمانة"، و"كوكب بعيد لأختي الملكة"، وقصة "بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد" بحيث كانت هذه المؤلفات الثلاثة موجهة للفتيات والفتيان، وتناولت مدى تطابق صور هذه الفتاة مع صورة المرأة في الروايتين السابقتين، ثم عرّجت الدراسة إلى عتبة العنوان وصورة الغلاف والمكان في هاتين الروايتين، للكشف عن قدرة شقير الإبداعية.

يُمكن من خلال هذه الدراسة أن نتوصّل إلى مجموعة من النتائج استطاعت أن تُجيب عن أسئلة الدراسة، وكانت على النحو الآتي:

1. ظهرت صورة المرأة في الرواية الفلسطينية تحت صورتين رئيسيتين، هما: الصورة الإيجابية للمرأة، والصورة السلبية لها. تفرع من الصورة الإيجابية الصور الآتية: المتمردة، المناضلة الأم، المناضلة المتعلمة. أما الصورة السلبية، فتفرع منها الصور الآتية: التقليدية، المضطهَدة، اللعوب. وكانت هذه الصور الأكثر شيوعاً كما أبرزها الكتّاب في الروايات الفلسطينية.

2. ظهرت صورة المرأة في الرواية الفلسطينية بشكل بارز، وبكل واقعية وصدق؛ إذ صورت الرواية الفلسطينية وضع المرأة في المجتمع الفلسطيني؛ فهي لا تزال تعاني معاناة مزدوجة: الأولى بسبب ظلم المجتمعات البطريركية الذكورية لها، والأخرى بسبب وقوع فلسطين تحت سيطرة احتلالات متتالية، ولا تزال حتى الآن قابعة تحت سيطرة الاحتلال الإسرائيلي وظلمه.

3. بالرغم من الظلم الواقع على المرأة إلا أنها حظيت بمكانة بارزة في الرواية الفلسطينية، بحيث ظهرت في صورة المرأة المتعلمة التي انعكس تعليمها على أفكارها ومبادئها؛ ما أدى إلى بروز دورها كمناضلة تدافع عن وطنها بعيداً عن الشعور بالضعف أو الخوف، واستطاع الروائيون إظهار صورة الأم الفلسطينية من خلال قوتها وتضحيتها ونضالها، وإظهار المرأة الصامدة المتمردة على العادات والتقاليد التي شكلت عقبة في طريقها، ونجاحها في التغلب على هذه العقبات.

4. ظهرت صورة المرأة اللعوب في الرواية الفلسطينية بنسبة قليلة؛ فلم يسلط الروائيون الضوء على هذه الصورة، بل انصرف قسم منهم إلى إبراز إيجابيتها التي ظهرت من خلال تضحياتها ونضالها وتعليمها وعملها، والقسم الآخر انصرف إلى التركيز على القهر والاضطهاد التي تعاني منه تلك المرأة في ظل مجتمعات فلسطينية لا تزال تهمش المرأة وتنظر إليها نظرة دونية.

5. ظهرت صورة المرأة لدى الكاتب محمود شقير في روايتي: "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة" من خلال الصور الآتية: المرأة المحافِظة على العادات والتقاليد، المرأة المؤمنة

بالخرافات، المرأة المتمردة، المرأة المتعلمة، المرأة العاملة، المرأة المضطهَدة، المرأة الجسد، المرأة الحبيبة، المرأة الثرثارة، المرأة العطوفة (الطّيّبة).

6. استطاع الكاتب شقير أن يُظهر صورة المرأة في هاتين الروايتين بكل واقعية وصدق؛ إذ عكس واقع مجتمع البداوة بمن فيه النساء، والتغيرات التي طرأت عليهن؛ نتيجة انتقالهن إلى قرية على مشارف مدينة القدس واختلاطهن بحياة هذه المدينة.

7. كان لاضطهاد المرأة وظلمها نصيب كبير في رواية "فرس العائلة"، وقد ظهر هذا الظلم نتيجة العادات والتقاليد المتبعة في مجتمع البداوة الذي هو جزء من المجتمع الفلسطيني، واضطهادها لم يقتصر على ظلم الرجل لها، بل امتد إلى ظلم المرأة لها أيضاً. ولكن في رواية "مديح لنساء العائلة" اختلف وضع المرأة؛ نتيجة انتقال العائلة إلى مشارف المدينة، واختلاطها بسكان هذه المدينة، وتغير الزمان، ودخول المتغيرات الجديدة كالأجهزة الحديثة، وتعلم المرأة، وتغير طبيعة عملها من العمل داخل البيت، والزراعة، ورعي الأغنام إلى العمل خارج البيت؛ ما انعكس ذلك على أفكارها ومواقفها وطريقة تفكيرها، ومنحها الشعور بالاستقلالية والتحرر إلى حد ما؛ إذ حظيت المرأة في هذه الرواية بمكانة متميزة، وبرز دورها بشكل إيجابي وفاعل.

8. يتضح من خلال صورة المرأة في الروايتين بأن محمود شقير ينتصر لفكرة المساواة بين الرجل والمرأة، ويؤمن بدور المرأة و ضرورة الاعتراف بحقوقها، ويدعو إلى تحررها، وبدا واضحاً اختباء شقير خلف شخصية الراوي محمد الأصغر في رواية "مديح لنساء العائلة" التي كانت أفكاره وقناعاته انعكاساً لأفكار شقير؛ فقد كان الأصغر مؤمناً بأن المرأة في

عائلته مظلومة، وينادي بضرورة التغيير من وضعها، وربط تحررها بتحرر البلاد. وبالرغم من شيوع صورة المرأة الثرثارة في الروايتين التي تحب القيل والقال، وتنشغل باستغابة الناس، وخصوصاً النساء، إلا أن الأصغر برر لها سبب ذلك، فهذا ليس إلا تعبيراً عن فراغها وبؤس حالها، ورأى بأنها تستحق المدح لا الذم.

9. تتضح رؤية شقير من خلال تصويره للمرأة المحافظة على العادات والتقاليد، الرافضة لفكرة التجديد والتغيير؛ إذ رأى أن هذه الصورة تقليدية منتزعة من البيئة الفلسطينية، وقد أثبت التطور اللاحق أن موقفها كان خاطئاً، ولم تصمد أمام الزمن.

10. يتضح من خلال صورة المرأة الجسد في الروايتين أن شقيراً لم يبرز هذه الصورة على حساب إنسانية المرأة واحترامها لجسدها، وإنما باعتباره عنصراً من عناصر حياة الكائن البشري في ضع اجتماعي محدد.

11. من الواضح أن شقيراً يدعم صورة المرأة المتمردة على العادات والتقاليد التي تظلم المرأة، وتسلب حقها في التعليم والعمل وفي أبسط أمور حياتها؛ إذ أن فكره يناقض ذلك؛ فهو يؤمن بدور المرأة في المجتمع، وينادي بتحررها وتعلمها؛ لتعمل جنباً إلى جنب مع الرجل في مختلف أمور الحياة.

12. ظهر في الروايتين إيمان شقير بطيبة المرأة وحنانها بالرغم من ثرثرتها، وأظهر شقير ذلك من خلال محمد الأصغر الذي رأى بأن نساء العائلة طيّبات، جديرات بالمدح لا بالذم، وهذا ظهر جليّاً من خلال صورة المرأة العطوفة (الطيّبة).

13. بالرغم من الاضطهاد والظلم الذي عانت منه المرأة إلا أنها حظيت بجانب من المحبة والاحترام؛ فقد كانت الحبيبة والعشيقة للرجل، يُنظر لها على أنها أنثى لها مشاعرها، تدلّل وتحظى بالاهتمام، وهذا ظهر جلياً من خلال صورة المرأة المحبوبة.

14. بالإضافة إلى موضوع النسوية الذي ظهر في الروايتين والذي عكس فكر الكاتب ونظرته إلى المرأة، برز بشكل واضح في الروايتين –أيضاً– موضوع الأيدولوجية الماركسية الذي يؤمن بها شقير، من خلال حديث عثمان في رواية "فرس العائلة" عن الدكتور بندلي الجوزي وكتابه الذي "يبحث فيه تاريخ الحركات الاجتماعية في الإسلام. الحركات التي كانت تعمل من أجل العدالة الاجتماعية والدفاع عن فقراء الناس. راقت لعثمان هذه الأفكار حينما شرحها له معلم مدرسة يتردد على حانوت التاجر الذي يشتري منه عثمان بضائعه.....أكد لهم أن بندلي الجوزي مطّلع على الثقافة الإسلامية، وأن للمسيحيين الفلسطينيين دوراً كبيراً في نشر العلم والمعرفة في فلسطين"،[229] ذلك يُظهر –أيضاً– فكر شقير بإقصاء الطائفية بين أفراد الشعب الفلسطيني، وإيمانه بفكرة المواطنة التي ترى أن للجميع حق العيش في فلسطين سواء أكان مسلماً أم مسيحياً، وهي وطن الأدباء والمفكرين التنويريين الذين لهم فضل كبير على وطنهم، ويؤكد ذلك زواج محمد الأكبر من مريم المسيحية التي حظيت بدور إيجابي بارز في الرواية الثانية. تظهر الأيدولوجية الماركسية – أيضاً– في رواية "مديح لنساء العائلة" من خلال تفسير فليحان لسبب ارتداء المرأة البدوية السروال الطويل واختلافه عن لباس المرأة المدنية؛ إذ ربط هذا الاختلاف "بعلاقات الإنتاج

[229] محمود شقير، فرس العائلة، مصدر سابق، ص159.

حسب التفسير المادي التاريخي؛ إذ أنطقه الكاتب بالأيدولوجيا الماركسية، وإن لم يستخدم مفرداتها"،[230] كما ظهر في الرواية ذاتها انضمام محمد الكبير إلى الشيوعية، وتعرضه للسجن عدة مرات، ولم يلق ذلك أي تذمر أو استنكار من أهله بسبب هذا الانتماء، بل كانوا يزورونه في سجنه أينما كان.

15. برزت الفتاة المرغوب بها في روايتي "أنا وجمانة" و"كوكب بعيد لأختي الملكة" وقصة "بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد" بصورة الفتاة القيادية الإيجابية المحبوبة التي احتلت مكانة بارزة بين أصدقائها، وحظيت بمحبة واهتمام الجميع بها؛ فقد كانت فتاة متعلمة مثقفة حريصة على قراءة الكتب وزيارة المكتبة باستمرار؛ ما انعكس ذلك على تفكيرها ومواقفها وقراراتها الفاعلة، كما برزت بصورة الفتاة المناضلة الحريصة على الدفاع عن وطنها، وصورة الفتاة المتمردة على أصدقائها الذين كانت أفكارهم تقود إلى الشر وإيذاء الناس؛ فقد كانت ترفض كل ما يسبب الإزعاج للآخرين؛ فهي طيبة تعطف على الغير وتفكر بالآخرين. وبذلك تكون صورة الفتاة في المؤلفات الثلاثة كما صورها شقير وكما يرغب أن تكون كلها إيجابية بعيدة كل البعد عن السلبية أو الاضطهاد.

16. يتضح من خلال الصور الإيجابية للفتاة في المؤلفات الثلاثة بأن شقيراً ينتصر لفكرة مساواة الرجل بالمرأة، ويبشر بمستقبل إيجابي من خلال إنشاء جيل جديد من الفتيان والفتيات متحرر من قيود المجتمعات العربية البطريركية الذكورية، ويهيئ هؤلاء الفتيان والفتيات ليكونوا رجال المستقبل ونساءه يحملون هموم أمتهم ويدافعون عن قضاياها، كما يدفعهم إلى

[230] طارق حميدة، قراءة في روايتي فرس العائلة ومديح لنساء العائلة، مرجع سابق، متوفر على http://www.shuun.ps/page-871-ar.html

الاهتمام بالأجواء الثقافية من حولهم، وتطوير مواهبهم وقدرتهم على الإبداع، وتكوين جيل قادر على الحوار الناضج، منفتح على المتغيرات الحديثة، متسم بقيم تربوية إيجابية، وبعيد كل البعد عن الطائفية.

17. لم يغفل شقير في مؤلفاته الثلاثة المساواة بين الفتاة والفتى التي ظهرت من خلال عناوين هذه المؤلفات والتي جعل للفتاة نصيب فيها، وتقديم مفردة "الفتيات" على "الفتيان" في تحديده للفئة العمرية الموجهة لها هذه المؤلفات، كما ظهرت المساواة في الصور والرسومات التي تحتويها هذه المؤلفات، ومساواة عدد الذكور بالإناث، وفي البطولة بينهما، بالإضافة إلى ابتعاده عن التقسيم الوظيفي للأدوار بينهما الذي هو أساس لتوليد الفوارق بين الجنسين.

18. تتطابق صورة الفتاة المرغوب بها في المؤلفات الثلاثة مع صورة المرأة في الروايتين السابقتين من خلال الصور الآتية فقط: صورة المرأة (الفتاة) المتعلمة، صورة المرأة المحبوبة، صورة المرأة الطيبة، صورة المرأة المتمردة. وجميع هذه الصور إيجابية، أما صورة المرأة السلبية (الثرثارة، المضطهدة..) فلا تتطابق مع صورة هذه الفتاة؛ فشقير ركز في تصويره لهذه الفتاة على سماتها الإيجابية؛ بما يخدم رسالته التربوية، بالإضافة إلى أنه ينظّر لمجتمع تشترك فيه المرأة أو تقوده. أما المرأة في الروايتين الموجهتين للكبار فكانت صورة أكثر واقعية، تخلى فيها شقير عن نزعته التربوية؛ فصور الواقع كما هو. وعلى الرغم من تصويره للواقع إلا أنه ظهر جلياً انحيازه للمرأة ودفاعه عنها؛ فهي جديرة بالاحترام والتقدير كما يرى، رغم النواقص والسلبيات الموجودة في الواقع وفي حياة المرأة الفلسطينية.

19. ظهرت من خلال المؤلفات الثلاثة الموجهة للفتيان والفتيات، مثلما ظهرت في الروايتين السابقتين، أيدولوجية شقير في إقصاء الطائفية بين أفراد الشعب الفلسطيني؛ إذ تعمد إظهار فتاة مسيحية أو فتى مسيحي بجانب الفتيات والفتيان المسلمين في كل مؤلف؛ كي يبين حق المسلم والمسيحي العيش في فلسطين والتمتع بكافة حقوقهما دون أي تفرقة.

20. تجلت قدرة شقير الإبداعية في اختياره لعنوان الروايتين، وصورة غلافيهما، واختياره للمكان، ونجح في لفت انتباه القارىء إلى العنوان وصورة الغلاف، وبدا واضحاً ارتباط العنوان وصورة الغلاف وتعالقهما مع النص الأدبي، وارتباط المكان بأحداث الرواية، وزمانها، والأشخاص وحركتهم.

21. أكثر شقير من تصوير الأماكن المركزية والأماكن الثانوية في الروايتين ونوّعَ فيها، وقد منح ذلك الروايتين الامتداد والاتساع في أحداثهما دون أن يشتت القارىء، أو يُفقد رونق الأحداث، وجاء هذا التنوع منسجماً مع واقع الشعب الفلسطيني الذي يقبع تحت ظل احتلالات متعاقبة، ويعيش حياة التشتت والتشظي وعدم الاستقرار.

22. ظهر جلياً في الروايتين تكامل المكان مع العناصر الأخرى (الزمان، وأحداث الرواية، والأشخاص)؛ فالمكان جزء لا يتجزء من هذه العناصر؛ فهو"الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه".[231]

[231] ياسين النصير، الرواية والمكان: دراسة المكان الروائي، مرجع سابق، ص70.

ثبت المصادر والمراجع

- المصادر

1. جبرا إبراهيم جبرا، البحث عن وليد مسعود، ط1، دار الآداب، بيروت، 1978.
2. جمال بنورة، انتفاضة، ط1، دار الشروق، رام الله، 1998.

3. رشاد أبو شاور، العشاق، ط1، دار العودة، بيروت، 1977.

4. سحر خليفة، باب الساحة، ط1، دار الآداب، بيروت، 1990.

5. سحر خليفة، الصبار، دار الآداب، بيروت، 1999.

6. سحر خليفة، عباد الشمس، دار الكاتب، القدس، 1980.

7. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988.

8. عبد الله تايه، الذين يبحثون عن الشمس، وكالة أبو عرفة، القدس، 1979.

9. علي الخليلي، ضوء في النفق الطويل، ط1، منشورات الأسوار، عكا، 1983.

10. غسان كنفاني، أم سعد، ط4، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1987.

11. ليانة بدر، بوصلة من أجل عباد الشمس، ط2، مكتبة الوحدة، نابلس، 1980.

12. ليلى الأطرش، وتشرق غربا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988.

13. محمود شقير، أنا وجمانة، ط1، مركز أوغاريت الثقافي، رام الله، 2001.

14. محمود شقير، بنت وثلاثة أولاد في مدينة الأجداد، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله،2012.

15. محمود شقير، خبز الآخرين، منشورات صلاح الدين، القدس، 1975.

16. محمود شقير، فرس العائلة، دار نوفل، بيروت، 2013.

17. محمود شقير، كوكب بعيد لأختي الملكة، ط1، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، 2007،

18. محمود شقير، مديح لنساء العائلة، الأهلية، عمّان، 2015.

19. هيام قبلان، رائحة الزمن العاري، ط1، دار التلاقي للكتاب، القاهرة، 2011 متوفر على الموقع الالكتروني http://www.alnoor.se/article.asp?id=169917 .

- المراجع

1. إبراهيم صموئيل، أفق التحولات في القصة القصيرة: شهادات ونصوص، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، دارة الفنون، عمان- الأردن، 2001.
2. إحسان الحسن، علم اجتماع المرأة: دراسة تحليلية عن دور المرأة في المجتمع المعاصر، ط1، دار وائل، عمّان، 2008.
3. بلسم الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي "رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني نموذجاً"، ط1، مجلس تنمية الإبداع الثقافي، الجماهيرية الليبية، 2004.
4. حسان الشامي، صورة المرأة في الرواية الفلسطينية 1965-1985، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.
5. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990.
6. حسين رشوان، المرأة والمجتمع: دراسة في علم اجتماع المرأة، ط2، دار الوفاء، الإسكندرية، 2011.
7. حسين العودات، المرأة العربية في الدين والمجتمع: عرض تاريخي، ط1، دار الأهالي، دمشق، 1996.
8. حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.

9. حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة "مخلوقات الأشواق الطائرة لإدوار الخراط نموذجاً"، دار نينوى، دمشق، 2011.

10. خالد حسين، في نظرية العنوان: مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين، دمشق، 2007.

11. خالدة سعيد، المرأة، التحرر، الإبداع، نشرالفنك، الدار البيضاء، 1991.

12. خديجة الحباشنة، اتجاهات الكتابة حول المرأة الفلسطينية، مركز الأبحاث: منظمة التحرير الفلسطينية، رام الله، 2014.

13. رسول بلاوي، دلالات الألوان في شعر يحيى السماوي، إضاءات نقدية، ع8، 2012، ص24.ملف pdf.

14. زكي العيلة، المرأة في الرواية الفلسطينية، ط1، مركز أوغاريت، رام الله، 2003.

15. سامي السرخي، الفن القصصي عند محمود شقير، رسالة ماجستير، جامعة القدس– فلسطين، 2007.

16. سامية الساعاتي، علم اجتماع المرأة: رؤية معاصرة لأهم قضاياها، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.

17. سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

18. شكري عياد، تجارب في الأدب والنقد، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967.

19. طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1994.

20. عابد الزريعي، المرأة في الأدب الشعبي الفلسطيني، ط3، دار الأسوار، عكا، 1989.

21. عبد الملك مرتاض، في نظرية الروائية: بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.

22. علي أحمد سعيد، الثابت والمتحول: بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، ج1: الأصول، ط7، دار الساقي، بيروت، 1994،ملفpdf. ج3: صدمة الحداثة، دار العودة، بيروت، 1974-1979.

23. علي الحديدي، في أدب الأطفال، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، 1988 ملفPdf .

24. علي خواجة، الذاكرة والإبداع "قراءة في روائي فلسطيني معاصر"، ط1، مجمع القاسمي للغة العربية، 2014.

25. علي خواجة، في استنطاق الرواية الفلسطينية المعاصرة "انتفاضة الأقصى أنموذجاً"، ط1، مركز أوغاريت الثقافي، رام الله، 2009.

26. علي خواجة، قراءات أدبية، ط1، دار الجندي، القدس، 2013.

27. عمر رحال، المرأة في النظام السياسي الفلسطيني، ط1، المعهد العربي للنشر، كندا، 2012.

28. غدير طوطح، المرأة في روايات سحر خليفة، رسالة ماجستير، جامعة بيزيت- فلسطين، 2006.

29. فيحاء عبد الهادي، أدوار المرأة الفلسطينية في الخمسينيات حتى أواسط الستينيات: المساهمة السياسية للمرأة الفلسطينية: روايات النساء: نصوص المقابلات الشفوية، ط1، مركز المرأة الفلسطينية للأبحاث والتوثيق، البيرة، 2009.

30. فيحاء عبد الهادي، نماذج المرأة البطل في الرواية الفلسطينية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

31. قاسم أمين، تحرير المرأة، دار المعارف، تونس، 1990.

32. محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة والقطاع1967 – 1993، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1997.

33. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط12، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2013.

34. ناصر الدين الأسد، الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن حتى سنة 1950، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمّان، 2000.

35. نبيلة إسبانيولي وهالة إسبانيولي، الجنسوية في أدب الأطفال العربي، مركز الطفولة، مطبعة الجليل، الناصرة، 2002.

36. نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي: الوجه العاري للمرأة العربية، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990.

37. نوال السعداوي، المرأة والجنس، ط2، ملفPdf .

38. هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، ط6، دار نلسن، بيروت، 1999.

39. هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، ط4، دار نلسن، بيروت، 2000.

40. وائل الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، دروب، عمان، 2010.

41. وصال نجيب العزاوي، المرأة العربية والتغيير السياسي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، 2012.

42. وليد احشيش وصادق الخضور، صورة الطفل في أدب الأطفال الفلسطيني، ط1، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، 2011.

43. ياسين النصير، الرواية والمكان: دراسة المكان الروائي، ط2، دار نينوى، دمشق، 2010.

44. يوسف محمد ذياب الشحادة، الرواية الفلسطينية في الضفة وقطاع غزة، ط1، وزارة الثقافة الفلسطينية، الهيئة العامة للكتاب، 2009.

45. تقرير حول وضعية المرأة الفلسطينية بالاستناد إلى اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، مركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي، القدس– فلسطين، 2001.

46. مقابلات أجرتها الباحثة مع الكاتب محمود شقير، تاريخ المقابلات 2016/7/21، 2017/3/15، 2017/3/21، 2017/4/29.

– المجلات

1. جميل السلحوت، محمود شقير أديب مدينة السلام، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، إعداد وتحرير ياسين كتاني، ج3، مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها، 2013.

2. خليل حسونة، المرأة في التراث الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع، ع58، 2015.

3. دنيا الأمل إسماعيل، المرأة الفلسطينية بين الدمج والتهميش، مجلة سياسات، مجلد32، 2015.

4. سميح حمودة، أوضاع التعليم في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني، مجلة حوليات القدس، ع.2014،18.

5. سميح حمودة، المرأة والعمل في فلسطين العثمانية، مجلة التراث والمجتمع، ع58، 2015.

6. سمير الشريف، أنموذج المرأة في أدب سميرة عزام، المجلة الثقافية، ع.43، 1998-1999.

7. عائشة الدرمكي، سيميائيات المكان في النص الأدبي "مقاربة في رواية ترميم الذاكرة"، مجلة أيقونات، ع3، 2012، ملف pdf.

8. علي خواجة، البكاء على زهرة القمر:العنوان مقاربة سيميائية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2، مجلد36، 2009.

9. عيسى برهومة، سيمياء العنوان في الدرس اللغوي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع97، مجلد25، 2007.

10. محمد البنداق، الفضاء المكاني في رواية حقول الرماد، المجلة الجامعة، مجلد3، ع15، 2013.

11. محمود شاهين، عناق الشكل والمضمون في مديح لنساء العائلة، مجلة مشارف مقدسية، ع2، 2015.

المواقع الالكترونية

1. إلياس نصر الله، فرس العائلة تروي قصة الانتقال من البرية إلى الحياة الحضرية في التاريخ الفلسطيني، جريدة الرأي الكويتية، 2013، متوفر على الموقع http://www.alraimedia.com تاريخ الزيارة 2017/3/23 .
2. أوس يعقوب، روحي الخالدي: رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين وأبرز المناهضين للحركة الصهيونية في عصره، مؤسسة القدس للثقافة والتراث متوفر على http://alqudslana.com/index.php?action=article&id=2480 تاريخ الزيارة 2017/8/1.
3. جابر سليمان، نصري الجوزي والحركة المسرحية في فلسطين: قراءة في ذاكرته وأوراقه، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 7، عدد28، 1996، ص135، ملفpdf متوفر على الموقع http://www.palestine-studies.org/sites/default/files/mdf-articles/%D8%AC%D8%A7%D8%A8%D8%B1%20%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86.pdf تاريخ الزيارة 2017/8/1.
4. السيد حسين، مقابلة أجراها مع الكاتب محمود شقير، مجلة الأهرام، ع1019، 2016، متوفر على الموقع الالكتروني http://www.ppp.ps/ar_page.php?id=138abbdy20491197Y138abbd تاريخ الزيارة 10 /2017/3 .

5. صبحي فحماوي، مقالة بعنوان "سحر ربوع البداوة الفلسطينية"، موقع القدس العربي، 2013 متوفر على الموقع الالكتروني http://www.alquds.co.uk/?p=41800 تاريخ الزيارة 2017/4/4.

6. طارق حميدة، قراءة في روايتي "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة"، شؤون فلسطينية، عدد265، متوفر على الموقع الالكتروني http://www.shuun.ps/page-871 – ar.html تاريخ الزيارة 2017/3/27.

7. عاطف سعد، "فرس العائلة"، نداء من أجل حرية الوطن، موقع بانوراما، 2013، متوفر على الموقع الالكتروني http://www.panoramafm.ps/?ID=13993.

8. عبد الله دعيس، قراءة في رواية "مديح لنساء العائلة"، دنيا الوطن، 2015، متوفر على الموقع https://pulpit.alwatanvoice.com تاريخ الزيارة2017/3/27.

9. عبد الله المتقي، حوار أجراه مع محمود شقير، تاريخ الحوار2009/11/4، متوفر على موقع الكاتب محمود شقير http://mahmoudshukair.com/web1/modules/news/article.php?storyid=607 تاريخ الزيارة 2017/4/28.

10. عصام حجاج، من موقع الكاتب محمود شقير، حوارات، متوفر على الموقع الالكتروني http://mahmoudshukair.com/ar/modules/news/article.php?storyid=446 تاريخ الزيارة 2016/7/20

11. علي الخليلي، مقالة بعنوان "محمود شقير في كوكب بعيد لأختي الملكة إبداع تربوي للفتيات والفتيان"، جريدة الأيام، رام الله، 2007، متوفر على موقع الكاتب محمود شقير http://mahmoudshukair.com/web1/modules/news/article.php?storyid=60 تاريخ الزيارة 2017/3/19.

12. محمود حسني، في مديح النساء.. جمع شتات العائلة الفلسطينية، موقع الكاتب محمود شقير، قراءات نقدية، تاريخ النشر 2016/4/24 متوفر على http://mahmoudshukair.blogspot.com/2016/04/blog-post_24.html تاريخ الزيارة 2017/8/2.

13. محمود شاهين، البطولة الجماعية في فرس العائلة، مجلة شؤون فلسطينية، ع.254،253، متوفر على الموقع الالكتروني http://www.shuun.ps/page-187-ar.html تاريخ الزيارة 2017/4/5.

14. مصلح مصلح، مقال نشر بعنوان" العشيرة تدخل الحداثة"، 2016، متوفر على الموقع www.ultrasawt.com تاريخ الزيارة 2017/3/10.

15. ناجح شاهين، خليل السكاكيني: انعتاق التلميذ، عقلاً وروحاً وفكراً وجسداً، ملفpdf، ص4،3 متوفر على http://www.rosaluxemburg.ps تاريخ الزيارة 2017/8/1

16. هيثم حسين، "مديح لنساء العائلة" توثق تفاصيل من حياة المقدسيين، شبكة الجزيرة الإعلامية، متوفر على الموقع الالكتروني http://www.aljazeera.net/news/cultureandart تاريخ الزيارة 2017/3/5.